

International Journal of Research and Islamic Studies

An International Refereed Scientific Journal



المجلة الدولية
للبحوث والدراسات الإسلامية

مجلة علمية دولية مُحَكَّمة

Volume 5 Issue 1 2023

ISSN: 2708 - 7883

Onlin ISSN: 2708 - 7891

Director of the Editor Board

Prof- Emad Abdalla Al-shrifeen

Editorial Board

Prof. Kaled ali suliman Bani ahmad	Jordan
prof .Mohammad Okleh Alhasan	Jordan
Prof. Yahya Amara	Morocco
Prof. Mohammad senini	Algeria
Dr. Abdulkhaleq Naji Obaid	Iraq
Dr- Eman Shanab	Egypt
Prof. Mufreh Bin Sulaiman Al - Qussi	Saudi Arabia
prof . Sami fridhi	tunis
Dr. Abdulilah Mohamad Nimir	Indonesia
Prof.Emad Abdelkarim Salim Khasawneh	Jordan
Prof . Ismail Shindi Amayreh	Palestine
Prof.Abu Huraire Abdullah M Yacoub	AlSudan
Dr. Nawal Abd AlMajeed	Algeria
Dr. Haifa Fayyad Fawares	Jordan
Dr. Abdullah mnawer wardat	Jordan
prof. Elias bin Mohammed Dardour	Tunis

Dr. Eman Ali Al_ghananeem	Jordan
prof. Sulaiman Mohammed Alkaabi	Oman
Dr. Qotaiba almomani	Jordan
Prof. Belkheir Tahiri	Algeria
Dr. Safa Mohammad AlAli	Jordan
Prof. Abdeljalil zuhair Damrah	Jordan
Dr. Omar Habes Nawafleh	Jordan
prof. Bouchemma khaled	Algeria
prof. Nouraddin karat	Morroco
prof. yosri saad abdalla	AlSudan
Dr. Hayel abedelhafeed dawood	Jordan
Prof. Khlouq Daifallah Moh'd Agha	Jordan
Prof. Zakarya alkader	Morroco
Dr. Marwan salimali al_ rayahneh	Jordan
Dr. faraj al-zubaidi	Jordan
Prof. Adnan Mustafa khatatbeh	Jordan
Dr. hicham qazzout	Morroco
Prof. Mohammed Mahmoud Talafheh	Jordan

Secretary of the Journal

Dr. Qotaiba Almomani

شروط النشر

- ١- يشترط في البحث المقدم للنشر في المجلة أن لا يكون قد نُشر أو قُدم للنشر في مجلة أخرى، وعلى الباحث أن يقدم إقراراً خطياً بذلك عند تقديم البحث للنشر.
- ٢- تخضع جميع البحوث المقدمة للنشر في المجلة للتحكيم العلمي الدقيق حسب الأصول المتبعة مع الحفاظ على سرية التحكيم.
- ٣- تشمل معايير التقويم كلاً من: الأصالة العلمية للبحث، ومدى إضافته للمعرفة، وإمكانية تطبيقه، ومنهجيته، وأسلوبه، ونتائجه، ومدى مراعاة الأمانة العلمية، وسلامة اللغة.
- ٤- تحتفظ المجلة بالحق في عدم نشر أي مخطوط دون إبداء الأسباب، ويُعدّ قرارها نهائياً.
- ٥- الآراء التي ترد في الأبحاث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء الباحثين أنفسهم ولا تعكس بالضرورة سياسة المجلة أو هيئة تحرير المجلة.

مواصفات البحث المقدم للنشر

- ١- أن لا يزيد عدد صفحات البحث عن (20) صفحة، بما في ذلك الأشكال و الرسوم و الجداول أو حوالي (7000) كلمة.
- ٢- تشتمل الصفحة الأولى من البحث على عنوان البحث، والاسم الثلاثي للباحث أو الباحثين (بالعربية والإنجليزية) ورتبهم العلمية وأماكن عملهم الحالية، وعنوان المراسلة للباحث الرئيس بالتفصيل.
- ٣- تشتمل الصفحة الثانية من البحث ملخصاً للبحث باللغة العربية واللغة الإنجليزية في حدود (150) كلمة لكل منهما، وفي صفحة واحدة.
- ٤- بعد الملخص مباشرة يتم كتابة قائمة بالكلمات الدالة (الحد الأدنى 3، والحد الأقصى 7)، يفضل الابتعاد عن المصطلحات العامة والمفاهيم المتعددة.
- ٥- أن يرفق الباحث مع بحثه السيرة الذاتية والعلمية موضحاً فيها مكان عمله ورتبته الأكاديمية وتخصصه الدقيق وأهم أبحاثه.
- ٦- أن يكون البحث مطبوعاً على الحاسوب بخط Simplified Arabic حجم (١٤) Normal، وذلك لنص المتن؛ وبالخط نفسه للتوثيق الموضوع في نهاية المتن.
- ٧- أن يكتب البحث على وجه واحد؛ مع ترك مسافة مزدوجة بين السطور.

٨- هذه المجلة لا تنشر حواشي سفلية (في نهاية البحث)، لذلك لا ينبغي استخدام أي منها، حاول تضمين المعلومات الإضافية في النص الرئيسي أو في هوامش نهاية الصفحة إن دعت الحاجة، واستعمال المراجع والاستشهاد في داخل النص كلما أمكن.

طريقة توثيق المراجع في متن البحث :

تدوين المراجع يكون في آخر المقال باعتماد طريقة (APA) American Psychological Association

أولاً : توثيق كتاب :

- في متن البحث يكتب (اسم المؤلف، سنة النشر) مثال : (العمرى، ٢٠١٨م)

ثانياً: توثيق جزء من كتاب

في متن البحث يكتب (اسم المؤلف، سنة النشر، رقم الصفحة) مثال : (العمرى، ٢٠١٨م، ص ١٢).

- عندما يكون هناك مؤلفين اثنين يكتبان كالتالي :-

في متن البحث يكتب (الاسم الأخير للمؤلف الأول و الاسم الأخير للمؤلف الثاني، تاريخ النشر). مثال : (الكردي، عدوي، ٢٠٠٠م).

ثالثاً: توثيق الأطروحات :

الباحث، عنوان الأطروحة، الجامعة، البلد، السنة.

مثال : (الخطيب، الديانات الشرقية (عرض ونقد)، الجامعة الأردنية، الأردن، ٢٠١٧م)

رابعاً : توثيق المقالات :

المؤلف، عنوان المقالة، اسم المجلة، المجلد، العدد، تاريخ الانعقاد، الجامعة، البلد)

مثال : الكيلاني، مكانة الأقصى في الإسلام، مجلة دراسات، المجلد ٤٤، العدد (٢٥)،
٢٠٠٣م، الأردنية، الأردن)

خامساً: توثيق مواقع الانترنت:

اسم الكاتب (السنة)، العنوان الكامل، ذكر الموقع بالتفصيل. مثال : الشرقاوي (٢٠١٢م)
مكانة المرأة في الإسلام، <https://islamonline.net/archive>

طريقة التوثيق الآيات القرآنية:

يتم توثيق الآيات القرآنية بوضع اسم السورة ورقم الآية بين قوسين بعد نهاية الآية، ومثال
ذلك : {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [البقرة: ١٨٥] .

قائمة المصادر والمراجع

يدون المرجع كاملاً في قائمة المصادر والمراجع كالتالي :-

الاسم الأخير للكاتب، الحرف الأول من الاسم الأول.. (سنة النشر). عنوان المؤلف العلمي
بخط مائل. (المحررون بنفس طريقة كتابة اسم الكاتب)، عنوان المقابلة (رقم الطبعة، عدد
الصفحات). المدينة، الدولة: الناشر.

مثال : الغزالي (١٩٨٧)، محمد، خلق المسلم، الطبعة الأولى، ٢٤١، مصر، القاهرة:
دار الريان للتراث.

طريقة إرسال البحث :

يتم استقبال البحث إلكترونياً على الإيميل الخاص بالمجلة

journal.ijris@ewdr.org

محتويات العدد		
١	أساليب الإقناع والخطاب في البرامج التلفزيونية الإسلامية - دراسة تحليلية لبرنامج سواعد الإخاء ١١	د. محمد هاشم المومني د. عدي أحمد قاقيش
٢	صيغ ترك العزيمة للرخصة "دراسة أصولية"	د. سوار أحمد حسين عنانبه
٣	بيداغوجيا الخطاب الديني في الإسلام	أ. أمل حمدي
٤	أثر البرامج الوثائقية على قناة الجزيرة الوثائقية في إبراز دور الحضارة الإسلامية	د. عدي أحمد قاقيش
٥	المسجد ودوره المستجد في الحد من التطرف وخطاب الكراهية	د. سلطان عودة القرالة
٦	دراسة السلوك الحيواني وأثره في فهم أحاديث صحيح البخاري	أ.د. رائد علي محمد الكردي
٧	ضمان رأس المال في المضاربة المصرفية	د. قتيبة رضوان راشد المومني
٨	كظم الغيظ في ضوء السنة النبوية المطهرة -دراسة تحليلية تربوية لثمرات كظم الغيظ-	أ. روضة ريعاوي
٩	"تعليماتُ سُلطةِ النّقدِ الفِلَسطينيّةِ النّائِمةُ لِعَمَلِ المصّارفِ الإسلاميّةِ العامّةِ في فِلَسطين -دراسةٌ تحلّيليّةٌ تَقْويميّةٌ"	أ.د. إسماعيل محمد شندي (عمايره)
١٠	نماذج من الوسائل الحسية التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم في تعليم الصحابة	أ. فاطمة حوري فرج المومني
١١	ظاهرة الفساد الاقتصادي وأثرها على النمو الاقتصادي في الدول الإسلامية في ضوء مؤشرات منظمة الشفافية العالمية	د. عمار رياض المومني

أساليب الإقناع والخطاب في البرامج التلفزيونية الإسلامية

- دراسة تحليلية لبرنامج سواعد الإخاء ١١

د. محمد هاشم المومني

E-mail: Mhm_momni@yahoo.com

د. عدي أحمد قاقيش

E-mail: qaqish69@gmail.com

الملخص:

ركزت هذه الدراسة على توضيح الأساليب التي يتم توظيفها لتحقيق معايير الإقناع في الخطاب الديني المتمثل في البرامج الدينية التلفزيونية وتحديدًا برنامج سواعد الإخاء في نسخته الأخيرة ١١ التي تصدرت البرامج الدينية في شهر رمضان المبارك، والتطرق لمهارات الإقناع والاستمالات التي يوظفها القائمون على البرامج التلفزيونية المتخصصة والموجهة للشرائح التي تركز على القيم الإسلامية. وكان سؤال الدراسة ما الأساليب الإقناعية المستخدمة في الخطاب الديني في برنامج سواعد الإخاء ١١.

تتدرج هذه الدراسة ضمن البحوث الوصفية التي تستهدف التركيز على الظروف والممارسات ووجهات النظر والقيم والاتجاهات إلى جانب المعتقدات والآراء حول موضوع أو ظاهرة ما، باستخدام المنهج المسحي وتكونت عينة الدراسة من حلقات الموسم الحادي عشر من برنامج سواعد الإخاء الذي تم بثه خلال رمضان للعام ٢٠٢٣، تم التحليل على الحلقات (١، ٨، ١٦، ٢٤) من خلال عمل الأسبوع الصناعي على حلقات البرنامج.

توصلت الدراسة إلى اعتماد البرنامج في مصادر المعلومات والعلوم الدينية والدينية على القرآن الكريم بنسبة ٢١% والسنة النبوية بنسبة ١٦% ثم القصص والمواقف الاجتماعية من سيرة النبي المصطفى والصحابة الكرام بنسبة ١٨% وهذا دليل على التوازن في الطرح والإيجاز بما يعزز تنويع المعرفة وتكاملها في حياة المسلم. وقد ركز البرنامج على العقيدة الإسلامية بفئاتها الإيمان بالله والرسول والقضاء خيره وشره في فئة الموضوعات بنسبة ٣٦% ثم تفسير القرآن الكريم والسنة النبوية بنسبة ٣١% ثم السيرة النبوية والصحابة والتابعين بنسبة ٢١% وهو مؤشر على قوة البرنامج وحسن توظيف العاملين فيه للموضوعات الرئيسة في عقيدة المسلم وصولاً لتبسيط كلام الله وسنة نبيه ليسهل فهمها والعمل بها.

الكلمات المفتاحية: البرامج التلفزيونية، سواعد الإخاء، البرامج، الخطاب.

Abstract:

This study focused on explaining the methods used to achieve persuasion standards in the religious discourse of religious television programmes, namely “Swaed alekhaa” Programme in its latest edition 11, which led religious programmes in the holy month of Ramadan, and addressing the skills of persuasion and grooming employed by specialized television programmes directed at segments focused on Islamic values. The study asked what persuasive methods were used in religious discourse in the 11 Brotherhood Rules programme.

This study is part of descriptive research aimed at focusing on circumstances, practices, views, values and trends along with beliefs and opinions on a topic or phenomenon with the survey curriculum and the sample study consisted of the 11th season of the brotherhood programme broadcast during Ramadan for 2023, the analysis was carried out on the episodes (1,8,16, 24) through the work of Industrial Week on the program’s episodes.

The study reached the adoption of the program in the sources of information and religious and religious sciences on the Holy Quran by 21% and the Prophet's Sunnah by 16% and then social stories and attitudes from the biography of the Prophet Mustafa and the dignified companion by 18%. This is evidence of the balance in the thesis and succinct in order to promote the diversification and integration of knowledge in the life of Muslims.

The program focused on the Islamic faith in the categories of belief in God, the apostles, the judiciary, the good and evil in the category of subjects by 36%, then interpretation of the Holy Koran and the Prophet's Sunnah by 31%, then prophetic biography, companionship and followers by 21%.

Keywords: Television programs, Brotherhood efforts, Programs, Discourse.

مقدمة:

تتميز البرامج في العمل الإعلامي بأنها إحدى الأساليب التي تتبنى تقديم فكري معين في تقديم توصيف معرفي لمجال ما وتستند في ذلك إلى الأساليب المعرفية والإقناعية، ويمكن وصف الأساليب الإقناعية بأنها الطريقة التي يتم اتباعها لتحقيق هدف معين، وتتجسد خلالها كافة الأساليب التي تم اتباعها لشرح الفكرة وعرضها، وهناك من يصنفها بأنها أساليب تحليلية وأخرى نقاشية إضافة لكونها أساليب دعائية وترويج لفكر وفكرة معينة، كما تعتبر تبادل للآراء والاتجاهات والأفكار (السهيلي، ٢٠١٨، ص ١٧٨).

وتعتبر الأساليب الإقناعية وسيطا لتقديم الأفكار خاصة في المجال الديني لكونها تستهدف التأثير في الجمهور وتغيير السلوك، خاصة أنها تركز في تأثيرها على معتقدات الأفراد والعقيدة التي يؤمنون بها، وهذه الأمور يدركها القائمون على إعداد هذه البرامج، لكونها تعتبر بوصلة لتحقيق مشاهدات أعلى وتفاعل أوسع معها، كما يجب أن تستند هذه البرامج على معلومات دقيقة وحجج دامغة تساهم جميعها في تعزيز متابعة الجماهير وانتظار المزيد منها دون إكراه أو إجبار أو تصنع.

ويقول الله سبحانه وتعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ البقرة ٢٥٦، وبالنظر في تفسير ابن كثير لهذه الآية يتبين أن الدين واضح جلي لدلائله وبراهينه واضحة لا تحتاج إلى أن تكرر أحد للدخول فيه" (أبي الفداء، ٢٠١٨، ص ٥٢١)، وفي ضوء ذلك هناك حاجة لتقديم حقائق الدين وبراهينه بصورة من الإقناع الذي يحتاج لأساليب تواجه الشكوك التي يطرحها الملاحدة والمشككين في الدين، وهذا يتطلب تسلسلا في تقديم الأفكار المتبوعة بالأدلة والبراهين الدامغة التي تعتبر جزءاً رئيساً في تركيبة البرامج الدينية. كذلك فإن الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة هو المبدأ الذي ساد الدعوة الإسلامية منذ أن قام بها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فكان يدعوهم للنظر والتفكير في ملكوت الله ويبصرهم بنعم الله ودلائل قدرته وفق أساليب إقناعية مدعمة بالشواهد والحقائق الدامغة (حامد، ١٩٩٦، ص ٢٣).

كما سطع نجم برنامج سواعد الأخاء في العالم الإسلامي خلال العقد الماضي، وتتميز بتنوعه لجميع المجالات التي تهتم بعقيدة المسلم، حيث يقدمه نخبة من العلماء المسلمين من شتى الأقطاب العربية، وبصفة عامة يلحظ المشاهد تنوعاً في مضامينه وأساليب الخطاب التي تراعي أذهان المتلقين، حيث تقدم توصيفا لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم وقصص ومواقف من حياته، تجعل المشاهد يعيش هذه اللحظات كأنه في

صلبها، وهذا يظهر تفوق قدرات القائمين على هذا البرنامج في مخاطبة الجمهور بمختلف أساليب الخطاب والاقناع.

الإشكالية:

نظرا لما يتميز به الخطاب في أساليب الاتصال الإعلامي من توظيف لمهارات الاقناع لإيصال الأفكار والغايات المعرفية فقد ركزت دراستنا على توضيح الأساليب التي يتم توظيفها لتحقيق معايير الاقناع في الخطاب الديني المتمثل في البرامج الدينية التلفزيونية وتحديدًا برنامج سواعد الاخاء في نسخته الأخيرة ١١ التي تصدرت البرامج الدينية في شهر رمضان المبارك، والتطرق لمهارات الاقناع والاستمالات التي يوظفها القائمون على البرامج التلفزيونية المتخصصة والموجهة للشرائح التي تركز على القيم الإسلامية. لذا تحاول هذه الدراسة الإجابة على التساؤل التالي:

ما الأساليب الاقناعية المستخدمة في الخطاب الديني في برنامج سواعد الاخاء ١١؟

أهمية الدراسة:

تتبع أهمية هذه الدراسة من جانبين جوهريين أولاً أهمية البرنامج الذي تتناوله الدراسة من حيث المضامين التي تركز على سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وتركيزها على قضايا العقيدة الإسلامية التي يقدمها نخبة من علماء هذه الامة، ومن جانب آخر تحليلها لمضامين الخطاب الإسلامي وأساليب الاقناع في هذا البرنامج وكلا الجانبين يثري بعضه ويحقق تكاملاً في الفكرة، ويبلغنا غاية معرفية في الأدوار التي يؤديها برنامج سواعد الاخاء في نسخته الأخيرة نحو المتلقين.

أسئلة الدراسة:

- ما الموضوعات التي تم التركيز عليها في البرنامج؟
- ما هي أبرز الاستمالات الاقناعية التي وظيفها القائمون على البرنامج؟
- ما هي أبرز القيم التي ركز عليها البرنامج؟
- ما المصادر التي اعتمد عليها مضمون هذا البرنامج؟
- ما طبيعة الاتجاهات التي حملتها مضامين البرنامج؟
- ما هي القوالب الفنية التي وظيفها البرنامج ووسائل الايضاح؟

- ما هي القوى الفاعلة في البرنامج والسمات التي يتمتع بها الفاعلون في البرنامج؟
 - ما أنواع الأطر الإعلامية التي استخدمت في البرنامج؟
 - ما المجالات التي تناولها البرنامج؟
- اهداف الدراسة:**

الهدف الرئيس لهذه الدراسة هو التعرف الى الأساليب الاقناعية المستخدمة في الخطاب الديني لبرنامج سواعد الاخاء ومن هذا الهدف يتفرع لدينا عدد من الأهداف أبرزها:

- التعرف على الموضوعات التي تم التركيز عليها في البرنامج.
- التعرف على أبرز الاستمالات الاقناعية التي وظفها القائمون على البرنامج.
- التعرف على أبرز القيم التي ركز عليها البرنامج.
- التعرف على المصادر التي اعتمد عليها مضمون هذا البرنامج.
- التعرف على طبيعة الاتجاهات التي حملتها مضامين البرنامج.
- التعرف على القوالب الفنية التي وظفها البرنامج ووسائل الايضاح.
- التعرف على القوى الفاعلة في البرنامج والسمات التي يتمتع بها الفاعلون في البرنامج.
- التعرف على الأطر الإعلامية التي استخدمت في البرنامج.
- التعرف على المجالات التي تناولها البرنامج.

مصطلحات الدراسة:

- **البرامج الدينية التلفزيونية:** البرامج التي تزود الجماهير بالمعارف الإسلامية والمعلومات المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله الكريم بواسطة قائم بالاتصال لديه خلفية واسعة متعمقة في موضوع الرسالة التي يتناولها، بهدف تكوين رأي عام يعنى بالحقائق الدينية وتترجم في سلوكه ومعاملاته (احمد، ٢٠١٧، ص١٤).

- **برنامج سواعد الاخاء:** هو برنامج تلفزيوني ديني على منهج أهل السنة والجماعة يقدمه الدكتور محمد السيد ويستضيف البرنامج مجموعة من الشيوخ وتتنوع الموضوعات المطروحة خلال الحلقات وللبرنامج عدة

أجزاء. حقق برنامج سواعد الإخاء في موسمه الرابعة السابقة نجاحا جماهيريا كبيرا، وعرضت حلقاته على أكثر من خمسين قناة عربية (برنامج سواعد الإخاء، <http://bitly.ws/lmjv>، ٢٠٢٣).

- **الخطاب الديني:** هو الأسلوب المقترن بالحكمة المستندة الى دستور الدين الإسلامي وهما الكتاب والسنة، كما يعتمد على مصادر التشريع الإسلامية كالاقتداء والاجماع والقياس والاستحسان والعرف وغيرها من المصادر الأخرى، ويعتمد في تطوره وتقدمه على اختلاف الأسلوب مع المحافظة على الثوابت (إسماعيل، ٢٠١٧، ص ١٢-١٧).

- **الأساليب الإقناعية:** تعرف بانها تلك الأساليب التي تستخدم في التأثير وإقناع الطرف الآخر بالفكرة المراد إيصالها، عبر طرق ووسائل واستمالات تبلغ الغاية الإقناعية، ومن هذه الوسائل الاعتماد على الأدلة والشواهد وعرض جوانب متعددة للموضوع من عدة زوايا ووجهات، بهدف تعديل السلوك او تغييره (مطلق، ٢٠٢١، ص ٣١).

الدراسات السابقة:

- **دراسة هناء فارس (٢٠٢١)، بعنوان "الأساليب الإقناعية في البرامج الدينية: دراسة تحليلية لبرنامج سواعد الإخاء للمواسم من ٢٠١٣-٢٠١٨"،** تناولت هذه الدراسة الوصفية إشكالية العلاقة بين الأساليب الإقناعية والبرامج الدينية من خلال برنامج (سواعد الإخاء)، استعانت الدراسة بالمنهج المسحي بنوعيه: المسح الوصفي والمسح التحليلي.

توصلت الدراسة الى ان القائم بالاتصال في برنامج سواعد الإخاء وظف الأساليب الإقناعية العلمية إلى جانب الأساليب الإقناعية غير العلمية، مع تركيزه على الأساليب العلمية بمعدل (٥٠٩) تكرارات. وبرز أسلوب تقديم الرسالة مدعّم بأدلة وشواهد كأكثر الأساليب الإقناعية العلمية توظيفا بنسبة (٥٤.٠٢%). برز أسلوب التركيز على النواحي العاطفية وأسلوب الفكاهة كأكثر الأساليب الإقناعية غير العلمية توظيفا بنسبة (٤١.٦٦%) و(٣١.٦٦%) على التوالي.

- **دراسة سلطاني وفارس (٢٠١٩)، بعنوان "الأساليب الإقناعية في البرامج الدينية - دراسة تحليلية لبرنامج حديث الاثنين"،** وتهدف هذه الدراسة الى التعرف على الأساليب الإقناعية الموظفة في برنامج حديث الاثنين لمحمد الغزالي، بالاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي باستخدام أداة تحليل المحتوى، وتوصلت

الدراسة الى ان القائم بالاتصال أولى اهتمام كبيراً بمواضيع التفسير التي تصدرت نسبة ٤٢%، ووظف القائم بالاتصال العديد من الأساليب الإقناعية في عرضه للمواضيع.

منهجية الدراسة:

تندرج هذه الدراسة ضمن البحوث الوصفية التي تستهدف التركيز على الظروف والممارسات ووجهات النظر والقيم والاتجاهات الى جانب المعتقدات والآراء حول موضوع او ظاهرة ما، باستخدام المنهج المسحي، باعتباره جهداً علمياً منظماً يساعد الباحث في الحصول على المعلومات المتعلقة بموضوع الدراسة.

عينة الدراسة:

تتكون عينة الدراسة من حلقات الموسم الحادي عشر من برنامج سواعد الاخاء الذي تم بثه خلال رمضان للعام ٢٠٢٣، عبر اتباع أسلوب الأسبوع الصناعي لجميع حلقات البرنامج.

أداة الدراسة:

استخدم الباحث أداة تحليل المضمون بوصفها تركز على الوصف الموضوعي المنظم والكمي للمحتوى المرئي، ويركز هذا المنهج على وحدات بحثية غير إنسانية، ويستخدم هذا المنهج لتسهيل دراسة البرامج ووصف خصائصها وتحديد اهداف الرسالة التي يسعى المرسل لتحقيقها، والتعرف الى تأثيرها كذلك اخضاع المضمون للقياس والتلخيص (الحسن، ٢٠٠٥، ص ١٦٢).

التحليل الاحصائي:

تم استخدام وحدة الموضوع في التحليل، واستخدام وحدة التكرار في العد والقياس، كذلك استخدام وحدة الكلمة في تحليل ادوار القوى الفاعلة وسماتها، والعمل على حساب التكرارات والنسب المئوية وفقاً لأسئلة الدراسة.

تم استخدام البرنامج الاحصائي (SPSS) من خلال الاساليب الاحصائية التالية:

– التكرارات والنسب المئوية.

– اختبار مربع كاي لإيجاد الفروق في النسب المئوية.

وحدات التحليل:

١- ماذا قيل:

- أ- فئة المصادر: القرآن الكريم - السنة النبوية - دراسات - قصص ومواقف اجتماعية - سيرة الصحابة - الشواهد والاحداث التاريخية في الإسلام - الدراسات العلمية - التجارب العملية.
- ب- فئة الموضوعات: ١- التفسير: للقران والسنة، ٢- العقيدة: الايمان بالله والرسول والقضاء خيره وشره، ٣- السيرة النبوية الشريفة: سيرة الأنبياء والصحابة والتابعين. ٤- فئة قضايا الامة والصراعات والتحديات التي تواجهها. ٥- إضافة أي فئة مستحدثة اثناء التحليل.....
- ج- فئة الاهداف: الشرح والتفسير - الرد على الشبهات - التوجيه والإرشاد.
- د- فئة القوى الفاعلة: والمقصود بها الشخصيات البارزة في الحلقات وتضم: (فئة الضيوف الدعاة، الجمهور، الأطفال، الشباب).
- هـ- فئة الاستمالات الانعائية: يقصد بها الاساليب الانعائية التي استخدمها القائم بالاتصال لإثراء الموقف عقلانيا وعاطفيا في البرنامج وتضم: عاطفية: (أساليب لغوية، أساليب حسية) - عقلانية: (استدلال بالقران والسنة، معلومات، مواقف، ارقام واحصائيات، حقائق مسلمة الحدوث) - تخويفية: (التحذير، والترهيب).
- و- الاطر الاعلامية: تقدم الاطر الاعلامية تفسيراً منتظماً للدور الذي تقوم به وسائل الاعلام لتشكيل الافكار والاتجاهات حيال القضايا المطروحة، وتحديد اولويات الجمهور من خلال التحكم في التدفق الاخباري للأحداث كذلك القدرة على تشخيص المشكلات واسبابها واصدار الاحكام بشأنها ويزداد هذا الدور من قبل وسائل الاعلام اثناء وقوع الاحداث والازمات الطارئة. وفي الدراسة تتضمن (اطر: الضخامة - الاستراتيجية - العاطفي - النتائج الاقتصادية - العقلي - الصراع - المبادئ الاخلاقية - المسؤولية - الاهتمامات الانسانية)
- ز- فئة القيم:
- القيم الدينية: التدبر في الكون، التمعن في آيات القرآن الكريم، حسن الظن بالله، المحبة في الله، الهدى، التقوى، حلاوة الايمان، الاقتداء بصحابة الرسول، يمكن الإضافة.
- قيم أخلاقية: الحياء المروءة، الكرم، العطاء، الاحسان، البر، التسامح، التضحية، المودة والرحمة، التواصل.

- قيم اجتماعية: التكافل الاجتماعي، حقوق الوالدين، صلة الارحام، الاحسان الى الجار، ...الخ.
- قيم اقتصادية: الكسب الحلال، الانفاق على الاسرة، الزكاة، الصدقة.
- ح- فئة المجال: والمقصود هو الحقل الواسع والعام وفي الدراسة (سياسي - اقتصادي - اجتماعي - أمني - بيئي - انساني - ديني - عسكري - اخرى).

٢- كيف قيل:

- اللغة: العربية الفصحى، مختلط (العامية، لغات أجنبية).
- القوالب الفنية: حوار جماعي، حديث وصفي، قصة.
- عناصر الابرار: لغة الجسد: تعبيرات الوجه - حركات الجسم - نبرة الصوت.
- المؤثرات الصوتية: مؤثرات طبيعية - اصطناعية
- الديكور: طبيعي، تقليدي.

خطة الدراسة

اشتملت خطة الدراسة على مقدمة، وأربع مباحث، وتكونت من المقدمة وتضمنت مشكلة الدراسة وسؤالها، وأهدافها، وأهميتها، ومنهج البحث، وخطة، وأربع مباحث، على النحو التالي:

- المبحث الأول: نظرية الدراسة
- المطلب الأول: نظرية الأطر الإعلامية
- المبحث الثاني: الخطاب الديني
- المطلب الأول: الاقناع والخطاب في البرامج التلفزيونية الدينية
- المطلب الثاني: الخطاب الديني تجديد أم تغيير
- المطلب الثالث: مهارات الاقناع وغايات الخطاب الإسلامي المعاصر
- المبحث الثالث: البرامج الدينية
- المطلب الأول: البرامج الدينية في وسائل الإعلام
- المطلب الثاني: برنامج سواعد الإخاء
- المبحث الرابع: نتائج تحليل الدراسة
- المطلب الأول: نتائج التحليل الإحصائي
- المطلب الثاني: النتائج العامة للدراسة

المطلب الثالث: توصيات الدراسة

المبحث الأول: نظرية الدراسة

المطلب الأول: نظرية الأطر الإعلامية

يعد مفهوم الأطر الإعلامية أحد المفاهيم الجوهرية التي يتفاعل في تكوينه العديد من المداخل النظرية التي تسعى لتناول دور وسائل الإعلام وتأثيراتها، وهي من أبرز المفاهيم الحديثة التي توضح دور وسائل الإعلام في تشكيل معارف الجمهور، واتجاهاته حول القضايا المتعددة (عبد، ٢٠٠٩، ص ١٣٤).

واتسعت نظرية الأطر لتشمل المواد الإخبارية والمقالات المتخصصة، والتغطيات الإخبارية التي تركز على هموم المجتمع وقضاياها؛ للتعرف إلى العناصر التي تلجأ إليها وسائل الإعلام لنقل وجهة نظرها للجمهور لتشكيل اتجاهاته (Goshorn & Gandy, 1995)، وهذا يقدم فكرة شاملة عن التأثيرات الوجدانية لوسائل الإعلام في الرأي العام باختلاف مستوياته وخصائصه.

وتقتضى البحوث الخاصة بالأطر الإعلامية فرضا علميا، وهو أن تركيز وسائل الإعلام في رسائلها على جوانب بعينها في القضية دون غيرها من الجوانب، أي تحديدها لأطر خبرية بعينها، يؤدي لوجود معايير متعددة يستخدمها أفراد الجمهور عندما يفكرون في هذه القضية، ويشكلون آراءهم بشأنها (أحمد ٢٠٠٩، ص ٥٤)، وهذا يسهم في توجيه ذهن المتلقي لفهم الحدث، وتشكيل فكرة وموقف حياله، حيث يبدأ ذلك بتحديد ماهية المشكلة التي يتمحور حولها الحدث، ثم القوى الفاعلة التي تعنى به، وصولا إلى بناء تصور أخلاقي للحدث، والحلول الممكنة له.

المبحث الثاني: الخطاب الديني

المطلب الأول: الاقناع والخطاب في البرامج التلفزيونية الدينية

وصف الخطاب الديني مؤخرا بأنه الأسلوب الذي يقدم وجهات النظر الإسلامية من المتكلم بهدف التأثير في المستمع أو المشاهد، مع مراعاة الظروف والممارسات التي تموضع خلالها، ومصطلح الخطاب تبوء خصوصية قصدية يعنى فيها الدين الإسلامي على وجه التحديد، فالغرب قصدوا في كلمة الخطاب الدين الإسلامي نظرا لوجود الكثير من الهجمات التي طالها هذا الدين عندما قصد الغرب وصف الاسلاموفوبيا والتطرف وغيرها من الهجمات التي كانت مجحفة بحق هذه الرسالة الإلهية (مصطفى، ٢٠١٧، ص ١٦).

وهذا يؤكد أهمية صياغة الخطاب الديني ليحقق اشباعاً معرفية لدى الجمهور، حيث يعتبر استقبال الجمهور للخطاب الديني واستيعابهم له عبر تأويلات مختلفة فردية وجماعية معززا للتباين بين الافراد والجماعات فقد يساهم في تعزيز الاعتدال او تغذية التطرف، وهذا يعكس أهمية صياغة الخطاب والاهتمام ببنائه ليرقى الى مستوى نشر الوسطية والاعتدال والارتقاء بالجمهور وبفكره لبناء السلوك والفكر بصورة إيجابية، وهذا الامر كان دافعا لتفكير العلماء والباحثين لدراسة الدور المشط للمتلقي وبالتالي إعادة بناء معنى الخطاب الديني وآلياته (الرجال، ٢٠٢٠، ص ١٠).

المطلب الثاني: الخطاب الديني تجديد أم تغيير

ان البحث في الآراء التي تقول ان "تجديد الخطاب الديني" هو تغيير للمفاهيم التي يساء فهمها من قبل الجمهور وإعادة صياغتها لتوضح مقاصد الشريعة وغاياتها هو الرأي السديد الذي تشكل لدينا لمعنى بناء الخطاب الديني عند كتابة هذا المحور، فالاعتقاد لدى الكثير من الباحثين ان تغيير الخطاب يعني ترميم القديم وتشكيله بصورة جديدة، أي اجراء عملية تجميلية دون احداث التغيير على الجوهر، او مراعاة للمفاهيم الخاطئة والصور النمطية التي يشكلها المتطرفون ويأخذها المشككون على انها مسلمات (السيسي، ٢٠٢١، ص ٢٥).

بالتالي ان الاهتمام بدراسة الخطاب يوضح الأسس الصحيحة للتجديد، وهي ما يتصل بالتحديات الدولية التي تحيط بالإسلام في ظل الاهتمام بالعلاقة القائمة بين الدين والمجتمع والسياسة الداخلية والخارجية للبلدان الإسلامية، فسياسات تجديد التعليم والخطاب الديني هي سياسات عامة تنبثق من طبيعة النظام السياسي ورؤيته وأولوياته المعاصرة والمستقبلية، ولا يمكن صياغة التجديد في الخطاب الإسلامي دون الاستناد الى الأصول العقائدية والغايات والقيم النبيلة التي عززها الإسلام في التخاطب مع الآخرين (البيومي، ٢٠٠٦، ص ٢٢).

والإسلام كان دائما ولا يزال المنهج العالمي الأول الذي عزز من التخاطب والتعايش وفق منهج سوي قويم، لا يقلل من شأن الآخرين ولا يسيء لكرامة معتقد او شخص، وتشكلت مبادئه على قيم الانسنة والاعتدال، وأنسنة الخطاب الديني لا يعني بالمطلق بان الدين من صناعة البشر وانما هو تأكيد على بشرية التدين والاقرار بأهمية البعد الاجتماعي في الاعتقاد والفضاء التواصل للأيمان، والعمل على مخزون المقاصد على مستوى الاستحسان وسد الذرائع (الخويلدي، ٢٠١٨، ص ٩).

وهذا الامر يوضح ان الدين لا يجدد، باعتبار ان الزمن هو الذي يساير الدين وليس العكس كما يزعم الجاهلون، وانما الغاية التي يسعى اليها بناء الخطاب الديني بصورة معاصرة هو فهم الإسلام وقضاياها في ضوء مستجدات العصر وتحدياته او بعبارة أخرى التعامل مع العصر من منطلقات مختلفة، الإشكاليات والتحديات، نظرا لما تتميز به العقيدة الإسلامية من الكمال والمرونة التي تعطيها الثبات وتفتح المجال للعقل المسلم التجديد والانطلاق في كل القضايا التي تواجهه، والغاية المأمولة كما اكدنا آنفا تطوير الاليات ومفاهيم النظر الى القضايا الإسلامية في الواقع الذي نعيش به (سيدبي، القاهرة، ٢٠١٨، ص ٢٣).

المطلب الثالث: مهارات الاقناع وغايات الخطاب الإسلامي المعاصر

يعتبر الاقناع الركيزة الأساسية التي يبني عليها الخطاب، لان الهدف منه هو التغيير والبناء والتأثير وهذه سمة طاغية على الاقناع باعتباره يركز على القناعات والسلوك ويستهدف الأفكار والأشخاص والأشياء لنقل المعلومات وبناء الصور والغايات، والاقناع في الدرجة الأولى يستهدف السلوك لأنه نتاج المواقف والسلوك يندرج الى أنواع بعضها يستند للعوي او الجهل، او يتنوع بين المكتسب والفطري، وقد ينظر اليه انه منطقي او غير منطقي، وهذا جميعه قدي يكون بصفة طوعية او بالإكراه (السويدان والشنكالي، ٢٠٢٢، ص ١١-٢١). ولعل ما يجسد هذه الفكرة قوله تعالى "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" (سورة البقرة، الآية ٢٥٨).

ومهارة الاقناع يتصف حاملها بالقيادة والتأثير على العواطف والانفعالات لتيسير التآلف بين الأفكار، وهذه المهارة تعتبر فن ذو صلة متلازمة بالمجتمع، فهي تراعي العقيدة والثقافة واللغة والعادات والتقاليد السائدة في المجتمع، وفي سياق دراستنا يمكن تصنيف عملية الاقناع الى أدوار متنوعة تتراوح بين الفاعل الذي يقوم بعملية الاقناع وهم الدعاة وأئمة المسلمين وقادة الفكر الإسلامي، والمادة الاقناعية كالقرآن الكريم والسنة المطهرة والحقائق العلمية والتجارب الإنسانية، والوسيلة التي تتصف بانها الالية التي يتم من خلالها تداول المادة الاقناعية كالتلفاز ووسائل الاعلام والكتب والمنابر الدعوية وغيرها من الوسائل التي تحقق الغاية الاقناعية (السباعوي، ٢٠٠٥، ص ١٩).

ولعل امتلاك المعايير البرهانية التي تحقق الوصول الى المعارف والمعطيات حول قضية ما هي صلب الخطاب الإسلامي والغاية التي تتمركز حولها المعرفة إشكالية اللغة واختلاف دلالات الالفاظ من مذهب فكري الى اخر ومن ثقافة الى أخرى هي أمور ناجمة عن إشكالية غياب المعايير البرهانية، لان توفر هذه المعايير يمكن على هداها قراءة أي مدلول على نحو موحد بما يعزز التوافق حول الدلالات التي يحملها اللفظ، وان مصلحة أي مجتمع انساني تقتضي ان تسعى الغاية الخطابية الى ترشيد الخطابات النظرية والعملية التي تطرح لإدراك الحق في القضايا التي تتصدى لأي اثار سلبية تهدد الفكر والمعرفة، لان ادراك الحق في الخطاب الإسلامي واجب يفرضه الإسلام على أي خطاب يطرح في المجتمع المسلم حتى يتصف بأنه خطاب إسلامي (السماسيري، ٢٠١٦، ص ٤٧).

المبحث الثالث: البرامج الدينية

المطلب الأول: البرامج الدينية في وسائل الإعلام

احتل الخطاب الديني مكانة هامة على سدة الدورات البرمجية التلفزيونية خلال العقود الماضية، وبات التوسع في التركيز على هذه الأنماط من جوانب العمل الإعلامي سياسة تتبعها اغلب وسائل الاعلام، لما لها من متابعين ينتظرون الفكر الإسلامي الذي يتبلور على شاشات التلفزة ليلبي الحاجات المعرفية العقائدية للجمهور العربي، وتتوحد الخطاب الديني وشكل حضورا كبيرا في الحياة اليومية، فضلا عن التغيرات الاجتماعية والثقافية والتكنولوجية التي عززت من الحاجة الى خطاب إسلامي معاصر يعالج التداعيات السلبية الناجمة عن هذه التغيرات، الى جانب الحاجة الى تجديد الخطاب الديني الذي يوضح المفاهيم والغايات العقائدية الإسلامية التي تشكل حولها فكر نمطي هدد مكانة العقيدة الإسلامية في الساحة العالمية باعتبارها عقيدة للبشرية جمعاء خاصة بعد احداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١.

ومن الجماليات في البرامج التلفزيونية الدينية انه يغلب عليها طابع الوعظ والإرشاد، ويتميز القائمون على اعدادها بألقاء الدروس والخطب الدعوية بصورة توجيهية، وتتوحد الأساليب التي وظفت لتقديم الرسالة الإسلامية في هذه البرامج وفق أساليب جمالية كتقديم البرامج في الطبيعة الخلابة والاستفادة من عناصر الطبيعة كالأشجار والأزهار والألوان المختلفة التي تجذب المتابعين وتحقق راحة بصرية إضافة الى الراحة الوجدانية التي تتبع سياق البرنامج الدعوي والفقهية، حيث تفعل العناصر الجمالية أساليب التلقي وتزيد قابلية الجمهور للمتابعة وتبسط الفكر والأسلوب الدعوي بطريقة مشوقة وميسرة (عدوي، ٢٠١٦، ص ٧٦).

وفي ظل التغيرات التي طرأت على سوق الاعلام الجماهيري تزايد الدور الذي تلعبه في مجالات الحياة كافة، حيث أصبحت هذه الوسائل الناقل الرئيس للفكر الدعوي والإسلامي، ولم يتركز دورها على نقل المعارف والمعلومات فقط وإنما امتد ليصل الى تشكيلها والاستفادة من خصائصها وتوظيفها لخدمة المجتمع الإسلامي، وباتت تتميز هذه الوسائل بان لها قدرة فريدة لتعزيز التعايش والتفوق على العديد من الأساليب القديمة التي قامت على التلقين دون وجود التفاعل حول المواضيع المطروحة، وساهمت في تخطي حواجز المكان والامية الثقافية (نوال، ٢٠١٨، ص ١٤).

وتتنوع البرامج الدينية على وسائل الاعلام فمنها الترفيهية والتثقيفية والتعليمية في السياق الإسلامي، كاستعراض التاريخ الإسلامي ومواقف من سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، كذلك قصص واقعية من حياته فيها الدروس والعبر، وبرامج المسابقات التي تركز على المعلومات الدينية والحقائق التاريخية الإسلامية، إضافة الى برامج الحوار والحديث النبوي، وهي جميعها تلبي فئات الجماهير ورغباتهم، كذلك برامج تستعرض الآثار التي خلفتها الحضارة الإسلامية والتركيز على الشخصيات كالصحابية والتابعين ممن كان لهم دور في رسوخ العقيدة الإسلامية ونقلها، وبالتالي فان العناصر التي يجب ان تتصف بها هذه البرامج هو تلبية احتياجات الجمهور واتجاهاته، والافاق التي تتناسب معه وضرورة استنباط المضامين الدينية من المصادر الصحيحة التي تشمل جميع جوانب الحياة (التميمي، ٢٠١٧، ص ٥٠-٥٥).

المطلب الثاني: برنامج سواعد الإخاء

هو برنامج تليفزيوني ديني توعوي على منهج أهل السنة والجماعة يقوم بتقديمه الدكتور محمد السيد ويستضيف البرنامج مجموعة من الشيوخ وتتنوع الموضوعات المطروحة خلال الحلقات وللبرنامج عدة أجزاء، وقد حقق برنامج سواعد الإخاء في مواسمه الاحدى عشر السابقة نجاحا جماهيريا كبيرا، وعرضت حلقاته على أكثر من خمسين قناة عربية.

المبحث الرابع: نتائج تحليل الدراسة

المطلب الأول: نتائج التحليل الإحصائي

التحليل الإحصائي لبرنامج سواعد الإخاء رمضان ٢٠٢٣

تم التحليل على الحلقات (١، ٨، ١٦، ٢٤) من خلال عمل الأسبوع الصناعي على حلقات البرنامج.

ماذا قيل

أ- فئة المصادر:

يمثل الجدول رقم (١) فئة المصادر التي اعتمد عليها برنامج سواعد الاخاء ١١، حيث شكل كتاب الله سبحانه وتعالى اعلى المصادر التي يعتمد عليها البرنامج بعدد تكرارات بلغ ٢٣ تكرارا، ثم شكلت القصص والمواقف الاجتماعية المرتبة الثانية بتكرارات بلغت ٢٠ تكرارا، ثم السنة النبوية المطهرة ١٨ تكرارا تبعتها سير الصحابة رضي الله عنهم ١٥ تكرارا، تلاها الاقوال المأثورة بتكرارات بلغت ١٤ تكرارا، ثم على التوالي الشواهد والاحداث الدينية ٧ تكرارات ثم قصص الأنبياء ٦ تكرارات ثم الدراسات العلمية ٥ تكرارات.

الجدول رقم (١): فئة المصادر

الفئة	التكرار	النسبة المئوية
القرآن الكريم	٢٣	٢١.٣٠%
السنة النبوية	١٨	١٦.٦٧%
الدراسات العلمية	٥	٤.٦٣%
قصص ومواقف اجتماعية	٢٠	١٨.٥٢%
سير الصحابة	١٥	١٣.٨٩%
الشواهد والاحداث الدينية	٧	٦.٤٨%
أقوال مأثورة	١٤	١٢.٩٦%
قصص الأنبياء	٦	٥.٥٦%

ولعل من الطبيعي ان يحظى القرآن الكريم بالمرتبة الأعلى لاستشهاد القائم بالاتصال في هذا البرنامج ضمن المواضيع والمحاور التي يتطرق لها السادة الضيوف، وهذا دليل على مكانة القرآن الكريم باعتباره اول مصادر التشريع وللقدسية التي يتحلى بها في ديننا الحنيف، وتلاها القصص الاجتماعية من السيرة النبوية المطهرة لما لها من خير مكانة يقتدي بها المسلمون، ثم السنة النبوية والتي تضمنت الأحاديث الصحيحة

والتي تتطابق في مضمونها مع السياق العام للبرنامج، ما يعطي الحوار والنقاش طابع الانسجام والايجاز. كذلك باقي المحاور لكل منها دلالة ومكانة سطرها القائم بالاتصال في مكانها الصحيح ليعطي مكانة مرموقة للبرنامج على سلم أولويات المشاهد.

ب- فئة الموضوعات:

يمثل الجدول رقم (٢) الموضوعات التي تناولها البرنامج في سياق حلقاته عينة الدراسة، حيث كانت أكثر الموضوعات التي ركز عليها البرنامج هي العقيدة الإسلامية بتكرار بلغ ١٥ تكرارا، ثم التفسير للقران والسنة النبوية بتكرار بلغ ١٣ تكرارا، تلاه السيرة النبوية الشريفة بتكرار بلغ ٩ تكرارات، ثم أخيرا قضايا الامة الإسلامية والتحديات والمشاكل التي تعرض لها المسلمون بتكرار بلغ ٤ تكرارات.

الجدول رقم (٢): فئة الموضوعات

النسبة المئوية	التكرار	الفئة
٣١.٧١%	١٣	التفسير: للقران والسنة
٣٦.٥٩%	١٥	العقيدة: الايمان بالله والرسول والقضاء خيره وشره
٢١.٩٥%	٩	السيرة النبوية الشريفة: سيرة الأنبياء والصحابه والتابعين
٩.٧٦%	٤	فئة قضايا الامة والصراعات والتحديات التي تواجهها

ونرى وفقا للجدول السابق ان العقيدة هي اكثر المواضيع التي تطرق لها البرنامج والتي تعبر عن التصور اليقيني عن الخالق عز وجل والكون والحياة والانسان، كذلك تناول مباحث الشريعة والايمان واصول الدين والفقه، وأركان الايمان والاحكام والثوابت العقائدية والتوحيد باعتباره جوهر العقيدة الإسلامية، ثم تلاها تفسير القران والسنة حيث يشكلان تكاملا للعقيدة الإسلامية ولكل مكانته الخاصة، كما شهدت حلقات البرنامج تفسيرا للقرآن الكريم بالحديث الشريف وهذا مؤشر جلي واضح على قوة البرنامج وحسن توظيف القائمين عليه للحديث النبوي في تبسيط كلام الله وشرحه للناس ليسهل فهمه والعمل به، وكان للسيرة النبوية الشريفة تناول واضح لسيرة الأنبياء والصالحين وابرز الدروس المستفادة من حياتهم لتدعيم عقيدة المسلم وتحفيزه على الاقتداء بالصحابه الكرام، ثم تناول البرنامج قضايا الامة والصراعات التي شهدها المسلمون واثر الصبر والتمسك بالعقيدة لمجابهة الفتن التي تعصف بالمسلمين.

ج- فئة الأهداف

وقد ركز البرنامج في فئة الأهداف على عنصر التوجيه والإرشاد بتكرار بلغ ٢٢ ثم الشرح والتفسير بتكرار بلغ ١٦ تكراراً، وأخيراً عنصر الرد على الشبهات بتكرار بلغ ٢ تكراراً.

الجدول رقم (٣): فئة الأهداف

الفئة	التكرار	النسبة المئوية
الشرح والتفسير	١٦	٤٠%
الرد على الشبهات	٢	٥%
التوجيه والإرشاد	٢٢	٥٥%

وبالرجوع إلى الجدول رقم (٣) يمكننا أن ندرك أهمية التوجيه والإرشاد في العقيدة الإسلامية باعتبارها مرتكز يرشد إلى المنهج النبوي الصحيح في تكوين الإنسان الصالح، وهي تجمع أمور الدنيا والآخرة باعتبارها سبب الخير والصالح في هذه الحياة، لدعوتها إلى الأخلاق والفضائل التي تبرز دور الفرد المسلم نحو المجتمع وتعزز من التزام المجتمع كالفرد في بيته وعمله والجماعة في التزامها وتعاضدها لمصلحة المسلمين وتطبيق شرع الله في الأرض، وهي عملية تفاعلية تنمي السلوك الإيجابي وتمد المسلم بالرأي السديد والاجابة الوافية لشؤون حياته تحقيقاً لطاعة الله ورسوله، ثم تبعها الشرح والتفسير ليكون مكملاً لعنصري التوجيه والإرشاد فالشرح والتفسير يوضحان غايات العبادة وسبلها السليمة بعيداً عن التطرف وتطبيقاً لقواعد الفقه الإسلامي وغايات الشريعة الإسلامية ويدحض كل المؤامرات التي تتال من العقيدة. كما جاء الرد على الشبهات في آخر أولويات البرنامج نظراً لأن الانشغال بها قد يشتت المسلمين عن الهدف الرئيس للعبادة.

د- فئة القوى الفاعلة

وفي هذا الجانب كانت التكرارات الأكثر لعنصر الدعاة باعتبارهم أكثر فعالية في البرنامج وهم محور التركيز والاهتمام بتكرار بلغ ٢٠ تكراراً، ثم تبعه عنصر الشباب بتكرار بلغ ٢، وكان لعنصر الأطفال تكراراً واحداً فقط.

بالنسبة لهذه الفئة البرنامج مخصص للدعاة وهم متواجدون دائماً، هناك تواجد للأطفال والشباب لكن بحكم اختيار العينة كان هناك حلقة واحدة ظهرت فيها هذه الفئات.

الجدول رقم (٤): فئة القوى الفاعلة

الفئة	التكرار	النسبة المئوية
الضيوف (الدعاة)	٢٠	%٨٦.٩٦
الشباب	٢	%٨.٧٠
الأطفال	١	%٤.٣٥

وبالنظر الى الجدول السابق يظهر لنا ان البرنامج اخذ مكانته لدى الجمهور العربي نتيجة وجود الدعاة الذين ينتظرهم المجتمع واستحوذوا على اهتمامه واولوياته، فالدعاة هم سبب النور الذي يضيء حياة المسلمين بالهدى والتقوى، وهم الفكر الناضج للامة وقادة المجتمع الذين يواجهون التحديات والفتن التي تهدد حياة المسلمين، ولهم منزلة خاصة عند الله جعلت لهم من الاجر والكرامة الشيء الكثير، وهم الذين يسيرون على نهج الأنبياء وقد كان توظيفهم في هذا البرنامج معززا لمكانة الدعوة واهميتها على سلم البرامج الإسلامية، وقد جاء عنصر الشباب تالياً على الرغم من ضعف الاهتمام بهذا الجانب الا انه لا يقلل من مكانة هذا البرنامج.

هـ - فئة الاستمالات الانعائية

جاءت الاستمالات العقلانية من حيث الاستدلال بالقران والسنة والمعلومات والمواقف والأرقام والاحصائيات والحقائق المسلمة الحدوث في الدرجة الأولى من حيث التناول في البرنامج بالنسبة للاستمالات الانعائية بتكرار بلغ ٢٤ تكراراً، ثم تبعها الاستمالات العاطفية (اللغوية والحسية) بتكرار بلغ ١٦ تكراراً، ثم الاستمالات التخويفية من تحذير وترهيب بتكرار بلغ ٢.

الجدول رقم (٥): فئة الاستمالات الانعائية

الفئة	التكرار	النسبة المئوية
عاطفية: (أساليب لغوية، أساليب حسية)	١٦	%٣٨.١٠

عقلانية: (استدلال بالقران والسنة، معلومات، مواقف، ارقام واحصائيات، حقائق مسلمة الحدوث)	٢٤	%٥٧.١٤
تخويفية: (التحذير، والترهيب)	٢	%٤.٧٦

وبالنظر الى الجدول السابق يتضح أهمية العقل باعتباره أداة الادراك والفهم، وكان توظيف القائمين على البرنامج لهذا العنصر في مكانه ويعزز من أهمية البرنامج تطبيقا لشرع الله في الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، خاصة ان العقل يعتبر محور الثواب والعقاب وهو مناط التكليف واساس النقل وهو ما يثبت صدق الدعوة والنبوة بالشواهد التي ادركها الانسان بعقله ثم قلبه، ثم تبع العقل العاطفة باعتبارها أساس الأسلوب التعاملى وهي محور التوجيه نحو غايات السعادة في الدنيا والاخرة فتدفع الانسان نحو اللين والفضيلة والغايات التي تسمو بالروح الإنسانية، والعاطفة جزء من وجدان الانسان تعزز الحب والكره، وتناولها في هذا البرنامج لتنمية حب العبادلة لدى الانسان وكره الشرك بالله، كذلك التقرب مما أراد الله ورسوله والابتعاد عما نها الله ورسوله. وباعتقادنا ان استمالات التخويف لم تكن غاية القائمين على البرنامج لرؤيتهم ان نشر القيم المحببة في النفس البشرية وتشجيعها على حب العبادلة والاقبال على الله أسمى واعلى مرتبة من تخويف النفس للإقبال على خالقها.

و- الأطر الإعلامية

من خلال الاحصائيات التي تتضح في الجدول رقم (٦) يتضح لدينا ان الأطر الإعلامية الأكثر وضوحا في البرنامج كان أطار التوجيه والإرشاد بتكرار بلغ ١٥ تكرارا، ثم تبعه أطار المسؤولية بتكرار بلغ ١٠، ثم المبادئ الأخلاقية بتكرار بلغ ٨، تبعه الأطر العقلية واطر الاهتمامات الإنسانية بتكرار بلغ ٥ وحدات، أخيرا اطر الصراع والاطر العاطفية بتكرار بلغ ٣ وحدات.

الجدول رقم (٦): الأطر الإعلامية

النسبة المئوية	التكرار	الفئة
٦٠.١٢%	٣	العاطفية
١٠.٢٠%	٥	العقلية
٦٠.١٢%	٣	الصراع
١٦.٣٣%	٨	المبادئ الأخلاقية
٢٠.٤١%	١٠	المسؤولية
١٠.٢٠%	٥	الاهتمامات الإنسانية
٣٠.٦١%	١٥	التوجيه والإرشاد

وبالرجوع الى الجدول السابق يظهر لنا ان ابرز الأطر الإعلامية التي طغت على مضمون البرنامج كان عنصر التوجيه والإرشاد فقد قال سبحانه وتعالى في سورة الكهف "ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا"، فهي الطرق التي يوظف بها الفرد طاقاته وقدراته وعلمة لنهضة حاله والارتقاء بمستواه الفكري والديني لمستوى يمكنه من خدمة المجتمع والناس، ويعزز من دور الفرد في الاختيار وفهم الحاضر والاعداد للمستقبل للتوافق مع الحياة في اطار تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وهي عوامل تستهدف النفس البشرية لذا يرتقي البرنامج بالقيم والمثل الأخلاقية والعوامل النفسية والاجتماعية لمستوى يتقبله الافراد ويقبلون عليه لتحسين واقعهم والارتقاء بحياتهم وحل مشكلاتهم والوصول الى انسب القرارات التي تتوافق مع غايات ومقاصد الشريعة الإسلامية. وبكامل هذا الجانب إطار المسؤولية الذي حل ثانيا في عنصر الأطر الإعلامية والذي يوضح أدوار الافراد في المجتمع خاصة انهم يشكلون المجتمع وهويته، وبالتالي هم يتبنون في البرنامج توعية افراد المجتمع بالمسؤوليات التي تقع عليهم وهذا من منطلق الحديث النبوي " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته".

ز - فئة القيم

وفي هذا الجانب شكلت القيم الدينية النسبة الأعلى بتكرار بلغ ١٨ تكراراً، تلاها القيم الأخلاقية بتكرار بلغ ١٤ تكراراً ثم القيم الاجتماعية بتكرار بلغ ١٠ تكرارات، ثم القيم الاقتصادية ٢ تكراراً.

الجدول رقم (٧): فئة القيم

النسبة المئوية	التكرار	الفئة
٤٠.٩١%	١٨	القيم الدينية
٣١.٨٢%	١٤	القيم الأخلاقية
٢٢.٧٣%	١٠	القيم الاجتماعية
٤.٥٥%	٢	القيم الاقتصادية

وبالنظر الى الجدول رقم (٧) تتضح أهمية القيم الدينية باعتبارها أساس يقوم عليه البرنامج باعتبارها السلوكيات والمبادئ التي يتبناها الناس وتظهر في سلوكهم، بالاستناد الى العقيدة والشريعة الإسلامية ومبادئها وقيمها الرصينة، فهي تستند للقرآن الكريم والسنة النبوية وما صح من سيرة التابعين وفق ما قدمه الدعاة والتي تظهر مدى الاستقامة وفق الفضائل الدينية وقد اتضحت في تعبير القائمين على البرنامج انها مستمدة من قاعدة فقهية تتضح في قوله تعالى (دينا قيما) أي دين قائم على الاستقامة لا عوج فيه. ثم حلت القيم الأخلاقية في التصنيف الثاني ضمن سياق القيم باعتبارها مكملاً للقيم الدينية ورديف فاعل لها، باعتبارها أساس الحضارة السوية ومعياري لرقى المجتمع وتقدمه، وتنظم حياة الافراد نحو غاية العبادة والتعامل القويم وتشمل الفكر والسلوك والتعامل وتجمع مصالح الدنيا والاخرة. ويكمل عنصر الدين والأخلاق عنصر رئيس وهي القيم الاجتماعية باعتبارها الخصائص والصفات التي يتسم بها الافراد والجماعات، وتعكس ثقافة وقيم المجتمع وتعكس المثل كالتسامح والصدق والايثار وغيرها من المعايير الصحيحة التي لا تتعارض مع الفطرة الإسلامية.

ح- فئة المجال

وفي هذا الإطار تسيدت المجالات الدينية بتكرار بلغ ١٥ تكراراً، ثم المجال الإنساني بتكرار بلغ ١١ تكراراً، ثم المجال الاجتماعي بتكرار بلغ ٧ تكرارات وأخيراً المجال الأمني بتكرار واحد.

الجدول رقم (٨): فئة المجال

النسبة المئوية	التكرار	الفئة
٢٠.٥٩%	٧	اجتماعي
٢.٩٤%	١	أمني
٣٢.٣٥%	١١	إنساني
٤٤.١٢%	١٥	ديني

ويتضح من الجدول السابق ان المجال الديني تسيد المشهد نظرا لان طبيعة البرنامج تقوم عليه، وقد أدى دورا في تبسيط القضايا الدينية والدنيوية تتصل بتعاليم الدين وظواهره المتنوعة، حتى يؤدي رسالة وسطية تتناول جميع مجالات الحياة التعبدية والتعاملية، والفقه والتشريع والقضاء والعلوم الفلسفية والثقافية وغيرها، وهذا الجانب متصل بالشق الثاني من المجالات الإنسانية نظرا لتركيزها على الانسان وواقعه وظروفه وبيئته التي تستند الى التقاليد والعادات والموروثات المختلفة. وجاء ثالثا المجالات الاجتماعية التي تركز على نواحي الحياة والممارسات والطقوس المعيشية حيث ربط الدعاة جميع مسارات الحياة بصورة تسلسلية عمادها الدين واساسها الإنسانية ودينها التعايش ومجارات الاحداث والتكيف معها بالاستناد الى الشريعة الإسلامية.

كيف قيل:

أ- اللغة

كانت لغة البرنامج لغة عربية فصيحة ولم يتم استخدام أي لغة أجنبية أو لهجة عامية أو محكية.

ب- القوالب الفنية

وكانت القوالب الفنية المستخدمة في أسلوب السرد الحوارى للبرنامج استخدام أسلوب القصة لزيادة مستوى التشويق والاندماج مع مجريات الاحداث التي تهدف الى إيصال رسالة وتعميق مقصد ليظهر على المجتمع ويتبناه الافراد في حياتهم، وغالبا ما تجسد القصة ابرز الأساليب التي يرغبها الناس ويألفها المجتمع لأنها تجعلهم يعيشون احداثها كأنهم جزء رئيس فيه، ثم تبع القصة سياق الوصف باعتباره يحدد السمات التي يقصدها المحدث، وتطغى على معالمه شكلا ومضمونا، ثم تبعها الحوار الاجتماعي مدعما بأساليب التواصل

الفعال التي تغرس الفكرة وتسقط أحداثها على واقع الناس وبيئتهم، حيث قدم الدعاة أبرز الأفكار الدينية من منظور اجتماعي يحقق القبول لدى المشاهد.

الجدول رقم (٩): القوالب الفنية

النسبة المئوية	التكرار	الفئة
٢١.٨٨%	٧	حوار اجتماعي
٣٤.٣٨%	١١	حدث وصفي
٤٣.٧٥%	١٤	قصة

يمكن اعتبار أن القالب الفني الرئيس المستخدم هو حوار اجتماعي تم فيه استخدام العناصر الفنية الأخرى، لأن طبيعة البرنامج حوارى منضبط هادف يحترم الترتيب يهدف للتوجيه وليس للجدال.

ج- المؤثرات الصوتية

وكانت أبرز المؤثرات المستخدمة في البرنامج مؤثرات اصطناعية بتكرار بلغ ٦ تكرارات، بالتالي فهي تبسط تلقي الأفكار وتعطيها إطاراً من التشويق والاستحسان لتقبلها، ثم تبعها المؤثرات الصوتية الطبيعية كالأنشيد بتكرار بلغ ٥ تكرارات، ثم الأذان بتكرار بلغ ٢ والقرآن الكريم بتكرار واحد.

الجدول رقم (١٠): المؤثرات الصوتية

النسبة المئوية	التكرار	الفئة
مؤثرات طبيعية		
٧.١٤%	١	١- قرآن كريم
١٤.٢٩%	٢	٢- آذان
٣٥.٧١%	٥	٣- نشيد
٤٢.٨٦%	٦	اصطناعية

وللمؤثرات الصوتية وظائف جمة كالتأكيد على الواقعية والايحاء بأحداث خارج إطار الشاشات وموقع التصوير وتضفي طابع الصدق وتخلق جواً نفسياً من الراحة والطمأنينة.

د- الديكور

ويعكس الديكور خصائصا متنوعة للتوازن النفسي وتعزز من الاقبال على البرنامج وتساهم في الراحة في الرؤية والسعادة في تلقي المعلومات والتفاصيل.

الجدول رقم (١١): الديكور

النسبة المئوية	التكرار	الفئة
٦٦.٦٧%	١٢	طبيعي (خارج الاستوديو)
٣٣.٣٣%	٦	تقليدي (داخل أستوديو أو قاعة)

المطلب الثاني: النتائج العامة للدراسة

- اعتمد برنامج سواعد الاخاء في مصادر المعلومات والعلوم الدينية والدينية على القرآن الكريم بنسبة ٢١% والسنة النبوية بنسبة ١٦% ثم القصص والمواقف الاجتماعية من سيرة النبي المصطفى والصحابة الكرام بنسبة ١٨% وهذا دليل على التوازن في الطرح والايجاز بما يعزز تنويع المعرفة وتكاملها في حياة المسلم.
- ركز البرنامج على العقيدة الإسلامية بفئاتها الايمان بالله والرسول والقضاء خيره وشره في فئة الموضوعات بنسبة ٣٦% ثم تفسير القرآن الكريم والسنة النبوية بنسبة ٣١% ثم السيرة النبوية والصحابة والتابعين بنسبة ٢١% وهو مؤشر على قوة البرنامج وحسن توظيف العاملين فيه للموضوعات الرئيسة في عقيدة المسلم وصولا لتبسيط كلام الله وسنة نبيه ليسهل فهمها والعمل بها.
- ركز البرنامج في فئة الأهداف على عنصر التوجيه والإرشاد بنسبة ٥٥% ثم التفسير والشرح بنسبة ٤٠% وصولا الى الرد على الشبهات بنسبة ٥% ولذلك دلالة واضحة على أهمية بناء عقيدة المسلم على غايات العبودية لله تعالى وجمع أمور الدنيا والاخرة لتحقيق التفاعلية في سلوك المسلمين وتطبيق قواعد وغايات الشريعة الإسلامية، وكان الرد على الشبهات اخر أولويات البرنامج تطبيقا لدعوة الله تعالى بالإعراض عن الجاهلين حتى يخوضوا في امر غيره.

- كانت أبرز القوى الفاعلة في البرنامج هم الدعاة بنسبة ٨٦% باعتبار ان البرنامج يقوم على فكرهم وعلمهم ودورهم في اثراء معلومات المسلم حول دينه وعقيدته، ثم فئة الشباب بنسبة ٨% ولم يكن ذلك مأخذاً على البرنامج لان اغلب الدعاة من أصحاب الفكر النير الذي يتمتع به الجيل الشاب وهم من أصحاب القدرة على فهم متطلبات هذا الجيل الذي يحتاج لعلمهم ومعارفهم لتتوير بصائرهم وحثهم على الالتزام بشرع الله وسنة نبيه الكريم.
- وركز البرنامج في جانب الاستمالات الاقناعية على الاستدلال بالقرآن والسنة بنسبة ٥٧% وذلك لانهما منهجان شاملان لاستمالات العقل والعاطفة وتركيزهما على ذلك في عدة مواضع في القرآن الكريم كالذي حاج إبراهيم في ربه، وحديث الرسول انما انا بشر وانه ليأتيني الخصم فلعل بعضكم ان يكون ابلغ بالحجة من بعض. الخ)، ثم جاءت الاستمالات العاطفية بنسبة ٣٨% وجميع ذلك يعكس أهمية العقل والعاطفة في فهم غايات الشريعة ومقاصدها.

المطلب الثالث: توصيات الدراسة

وتوصي هذه الدراسة المؤسسات الإعلامية والهيئات المعنية بضرورة الأخذ بعين الاعتبار التوصيات الآتية:

- على وسائل الإعلام العمل على إعداد برامج دينية تساهم في تصحيح المعلومات الخاطئة وتوضيح الصورة الصحيحة عن الإسلام وسماحته عكس ما يتم وصفه من قبل الغرب وأتباع الأيديولوجيات المختلفة من المسلمين الذين يحاولون تشويهه بمختلف الطرق والوسائل.
- العمل على التركيز على التوجيه والإرشاد في البرامج الدينية.
- ضرورة إنشاء برامج دينية تساهم في الرد على الشبهات التي تسيء للإسلام ومنهجه السليم والقويم والمتمثل بالسنة والجماعة.
- العمل على إنشاء برامج موجهة للشعوب الغير إسلامية على غرار برنامج سواعد الإخاء وكذلك العمل على ترجمته ودبلجته للغات العالم الرسمية والأكثر تداولاً، وكذلك للمسلمين من غير العرب.

المراجع

- أبي الفداء، إسماعيل (٢٠١٨) فهارس تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير، تحرير: محمد حسين شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية.
- أحمد، جمال (٢٠٠٩) "أطر إنتاج الخطاب الخبري في المواقع الإلكترونية في الأزمات الدولية: دراسة حالة لموقعي BBC والعالم، العدد ٣٤، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، القاهرة: جامعة القاهرة.
- أحمد، نجلاء (٢٠١٧) الاعلام الديني والتعددية الثقافية، عمان: دار المعتر للنشر والتوزيع.
- إسماعيل، بليغ (٢٠١٧) فقه الخطاب الديني المعاصر: هل الدين والسياسة لحظتان متعاقبتان، ط٢، عمان: دار الخليج للنشر.
- البيومي، إبراهيم وآخرون (٢٠٠٦) حال تجديد الخطاب الديني في مصر، تحرير: نادية مصطفى، مكتبة الشروق الدولية.
- التميمي، محمد زايد (٢٠١٧) المنظور الاستراتيجي للإعلام الدعوي، عمان: دار أمجد للنشر والتوزيع.
- حامد، إسماعيل (١٩٩٦) الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الحسن، احسان (٢٠٠٥) مناهج البحث الاجتماعي، عمان: دار وائل للنشر والتوزيع.
- الخويلدي، زهير (٢٠١٨) أنسنة الخطاب الديني، لندن: الشركة البريطانية للنشر e-kutub.
- الرجال، أسماء (٢٠٢٠) تلقي الخطاب الديني: القنوات والسياق والاثار، القاهرة: العربي للنشر والتوزيع.
- السبعوي، طه (٢٠٠٥) أساليب الاقناع في المنظور الإسلامي، بيروت: دار الكتب العلمية.
- سلطاني، علي وفارس، هناء (٢٠٢٠) الأساليب الاقناعية في البرامج الدينية، المجلد ٧، العدد ٣، مجلة العلوم الإنسانية لجامعة ام البواقي.
- السماسيري، محمود (٢٠١٦) نظرية الخطاب "الفكر" الإسلامي: قراءة علمية تأسيسية، بيروت: دار القلم للطباعة والنشر.
- السهيلي، نوال (٢٠١٨) البرامج الثقافية الإذاعية من حيث الشكل والمضمون، عمان: اليازوري للنشر والتوزيع.
- السويدان، طارق والشنكالي، عماد (٢٠٢٢) الاقناع علم وفن: طرق فعالة وتجارب عملية، شركة الابداع الفكري للنشر.

- سيدبي، جمال (٢٠١٨) منهج تجديد الخطاب الديني: رؤية نقدية جديدة، القاهرة: نيويورك للنشر والتوزيع.
- السيسي، أكرم (٢٠٢١) تجديد الخطاب الديني: دراسات تحليلية، مصر: دار لمار للنشر والتوزيع والترجمة.
- عبده، سلام (٢٠٠٩) "الأطر الخيرية للمعالجة الصحفية للقضايا العربية في المجالات المصرية: الاعتداءات الإسرائيلية على قطاع غزة"، المجلة المصرية لبحوث الاعلام، العدد الثالث والثلاثون، القاهرة: جامعة القاهرة.
- عدوي، عبد الله (٢٠١٦) الجماليات في الاعلام التلفزيوني، القاهرة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- فارس، هناء (٢٠٢١) الأساليب الاقناعية في البرامج الدينية: دراسة تحليلية لبرنامج سواعد الاخاء، أطروحة دكتوراة غير منشورة، الجزائر: جامعة العربي التبسي.
- مصطفى، محمد (٢٠١٧) الخطاب الديني: تجديد لا تبديد.. وتطوير لا تحريف، القاهرة: كنوز للنشر والتوزيع.
- مطلق، فهد (٢٠٢١) الأساليب الاقناعية للعلاقات العامة وتكوين الصورة الذهنية في المؤسسات الكويتية، عدد ٩، المجلة العلمية لبحوث الإعلام وتكنولوجيا الاتصال.
- موسوعة عريق، برنامج سواعد الاخاء، <http://bitly.ws/lmjv>، تاريخ الدخول ٢٠٢٣/٦/١٤.
- ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، برنامج سواعد الاخاء، تاريخ الزيارة ٢٠٢٣/٦/٢٠، <http://bitly.ws/lXhN>.
- Goshorn (kent) & Gandy (Oscar), "Race Risk and Responsibility: Editorial constant in the framing of in guality", journal of communication, vol.45, no.2, 1995.

صيغ ترك العزيمة للرخصة "دراسة أصولية"

الدكتورة سوار أحمد حسين عنانبه

E-mail: Swearennab36@gmail.com

الملخص:

تهدف الدراسة إلى بيان حقيقة كل من الرخصة والعزيمة عند الأصوليين، وبيان الصيغ الدالة على الأخذ بالعزيمة، والصيغ الدالة على الأخذ بالرخصة، يوضح فيها متى يترك العمل بالعزيمة للرخصة. واتبعت الدراسة كلاً من المنهج الاستقرائي، والتحليلي، وذلك بتتبع واستقراء المادة العلمية، وتحليلها، واستعراض أقوال الفقهاء في ذلك، مع بيان وجه ترك العمل بالعزيمة للرخصة فيها. وخلصت الدراسة إلى أن صيغ ترك العمل بالعزيمة للرخصة كثيرة فمنها ما هو واجب، أو مندوب، أو مباح، أو مكروه، إلا أنه لا يوجد صيغ للتحريم في الرخص الشرعية؛ لأنه لا توجد رخصة محرمة في الشريعة الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: الرخصة، العزيمة، الحكم الأصلي، استثناء من حكم أصلي.

Abstract :

The study aims to show the reality of both the license and the determination of the fundamentalists ،and to indicate the formulas indicating the adoption of determination ،and the formulas indicating the adoption of the license ،in which it is explained when to leave the work of determination to the license.

The study followed both the inductive and analytical approach ،by tracking and extrapolating the scientific material ،analyzing it ،and reviewing the statements of jurists in that ،with a statement of the face of leaving the work with determination to license it.

The study concluded that the formulas of leaving the work of the intention of the license are many ،some of which are obligatory ،delegated ،permissible ،or abhorrent ،but there are no formulas for prohibition in Sharia licenses ،because there is no forbidden license in Islamic law.

Keywords : license ،determination ،original judgment ،exception to original judgment.

المقدمة:

الحمد لله الذي أنار قلوبنا بالقرآن، ووفقنا إلى طاعة الرحمن، واتباع خير الأنام، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وبعد:

فقد نهجت الشريعة الإسلامية في تشريع أحكامها منهج التوسط والاعتدال مراعية مصالح المكلفين، موازنة بين التخفيف والتشديد على حسب أحوال المكلفين من القوة والضعف، والصحة والمرض، والإقامة والسفر، والقدرة والعجز... فجاءت التكاليف الشرعية مستوعبة لجميع الناس على مختلف أحوالهم البدنية، والنفسية، والاجتماعية... شاملة لهم بعزائم الأمور ورخصها.

إلا أنه قد يقع اختلاف في الحكم بين الرخص والعزائم بناءً على حال المكلف في وقوع حكمها في حقه، فيتوهم البعض أن هناك تناقضاً في أحكام الشريعة الإسلامية بين مانع ومبيح، لذا جاءت هذه الدراسة لبيان الصيغ الدالة على الأخذ بالعزيمة، والصيغ الدالة على الأخذ بالرخص الشرعية في الأحكام التكليفية الخمس، وإثبات أن الشريعة الإسلامية جاءت مخففة، وميسرة على المكلف، بحسب طبيعة حاله.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة من خلال ما يأتي:

أولاً: بيان الصيغ التي يعمل بها بالعزيمة والرخصة؛ من خلال بيان أوجه التيسير والتشديد على المكلف، وبيان الحكم المناسب الذي ينسجم مع أهداف، وأصول، ومقاصد الشريعة الإسلامية، من خلال تحقيق شريعة الله تعالى على أكمل وجه وأعظم أجر.

ثانياً: إثراء المكتبة الأصولية بدراسة متخصصة تجمع بين التأصيل والتطبيق في موضوع الصيغ الدالة على العزيمة والرخصة؛ لما تمثله من تأصيل علمي مهم، إذ تسهل التعامل مع المستجدات، وتيسر عملية الاجتهاد، وتعطي تصور للعديد من الصور والجزئيات التفصيلية التي تندرج تحت العزيمة والرخصة.

مشكلة الدراسة :

تكمن مشكلة الدراسة في تشعب الفروع والمسائل المتعلقة بالعزيمة والرخصة في جميع شؤون الحياة؛ لأن حال العباد يختلف ما بين متشدد يلتزم بظاهر النصوص فقط دون النظر إلى حال المكلف، ومقصد الشريعة الإسلامية، وبين متساهل يقوم بها حتى يخرج من الثوابت العامة فقط؛ لذلك جاءت الدراسة لبيان حقيقة كل من العزيمة والرخصة من خلال تحديد حقيقتها، والصيغ الدالة عليها، ومدى صلاحيتها لكل مكان وزمان؛

للخروج بها من الجانب النظري إلى التطبيقات العملية، ويمكن التعبير عن مشكلة الدراسة بالسؤال الرئيس الآتي: ما صيغ ترك العزيمة للرخصة؟ وتتفرع عنه الأسئلة الآتية:

١. ما تعريف كل من العزيمة والرخصة؟

٢. ما الصيغ التي يعمل بها بالرخصة بدلاً عن العزيمة؟

أهداف الدراسة:

هدفت هذه الدراسة إلى الإجابة عن أسئلتها من خلال تحقيق الآتي:

أولاً: بيان تعريف كل من العزيمة والرخصة.

ثانياً: تحديد الصيغ التي يعمل بها بالرخصة بدلاً عن العزيمة.

الدراسات السابقة:

لم أجد - في حدود اطلاعي - دراسة كتبت تحت عنوان " صيغ ترك العزيمة للرخصة "دراسة أصولية"؛ ولكن بحثت بعض جوانب الموضوع بنظرة فقهية، أو حديثية، أو من جانب مقاصدي، أو دراسة نوع من أنواعه، ويلحظ على العموم ندرة الكتابات التأصيلية، فبقي جانب التأصيل ثم التطبيق مفتقراً إلى كتابة تجمع بينهما، ومن الدراسات السابقة في الموضوع:

الدراسة الأولى: الحربي، محمد بن فهد، العزيمة والرخصة: دراسة أصولية، مجلة العلوم الإسلامية الدولية، المملكة العربية السعودية- أم القرى، بحث محكم جامعة المدينة العالمية - كلية العلوم الإسلامية، مجلد (٥)، عدد (١)، ٢٠٢١م.

احتوت الدراسة على مبحثين، تناول الأول العزيمة مبيناً تعريفها، وذكر أقسامها وأمثلة عليها، وحكمها، وتناول الثاني الرخصة مبيناً تعريفها، وأسبابها، وأنواعها ومثال عليها، وحكم تعارض الرخصة مع العزيمة.

تتفق الدراسة مع موضوع دراستي، في التعريف بالعزيمة والرخصة، بينما تختلف دراستي عن دراسة الحربي، بأنها تناولت أوجه التيسير وموقعة من الأحكام، وأوجه التيسير في كل من الرخص، وأوجه التشدد في العزيمة، مبيناً صيغ العمل بالعزيمة على الرخصة، وصيغ العمل بالرخصة على العزيمة.

الدراسة الثانية: أبو سعد، أرحيم الهادي محمد، العزيمة والرخصة عند علماء أصول الفقه الإسلامي، مجلة العلوم القانونية، جامعة الزيتونة - كلية القانون ترهونة، بحث محكم، س٤، ع١، ٢٠١٦م.

احتوت الدراسة على مبحثين، تناول الأول تعريف العزيمة والرخصة، وتناول الثاني صيغ العزيمة والرخصة، وتناول الثالث ترجيح الأخذ بأحدهما على الآخر.

تتفق الدراسة مع موضوع دراستي، في التعريف بالعزيمة والرخصة، بينما تختلف دراستي عن دراسة أبو السعد، بأنها تناولت الصيغ الدالة على الأخذ بالعزيمة، والصيغ الدالة على ترك العمل بالعزيمة للرخصة، مع بيان أوجه التيسير وموقعة من الأحكام.

الدراسة الثالثة: أبو حدايد، بكر محمد إبراهيم، دور المقاصد في توجيه الحكم بين العزيمة والرخصة، الجامعة الإسلامية (غزة)، كلية الشريعة والقانون، فلسطين، رسالة ماجستير، ٢٠٠٩م.
احتوت الدراسة على ثلاثة فصول، تناول الأول أثر المقاصد في توجيه الأحكام، وتناول الثاني العزيمة وعلاقتها بالمقاصد، وتناول الثالث الرخصة وعلاقتها في المقاصد.

تتفق الدراسة مع موضوع دراستي، في تعريف العزيمة، والرخصة الشرعية، بينما تختلف دراستي عن دراسة أبو حدايد، بأنها تناولت الصيغ المبيحة للعزيمة والرخصة، وبحثتها من جهة أصولية وليست مقاصدية، وبيّنت التيسير وموقعة من الأحكام، وأوجه التيسير في كل من الرخص، وأوجه التشدد في العزيمة.

منهج الدراسة:

ستتبع الدراسة المناهج الآتية:

أولاً: المنهج الاستقرائي: وذلك من خلال تتبع واستقراء ما جاء في كتاب الله، وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-، وأقوال الأصوليين والفقهاء من الصحابة والتابعين، وغيرهم، فيما يتعلق بالعزيمة والرخصة.

ثانياً: المنهج التحليلي: وذلك بتحليل النصوص المتعلقة بالعزيمة والرخصة، وبيان وجوه الدلالة منها، ومعرفة صيغ الرخصة والعزيمة فيها.

خطة الدراسة:

وقد جاءت خطة الدراسة على النحو الآتي:

المقدمة، وأهميتها، مشكلة الدراسة، وأسئلتها، وأهدافها، والدراسات السابقة، ومنهج الدراسة، وخطتها...

المبحث الأول: التعريف بمفردات الدراسة.

المطلب الأول: التعريف بالعزيمة.

المطلب الثاني: التعريف بالرخصة.

المبحث الثاني: الصيغ التي تستخدم للدلالة على العزيمة والرخصة.

المطلب الأول: الصيغ الدالة على الوجوب.
المطلب الثاني: الصيغ الدالة على المندوب.
المطلب الثالث: الصيغ الدالة على التحريم.
المطلب الرابع: الصيغ الدالة على المكروه.
المطلب الخامس: الصيغ الدالة على الإباحة.

الخاتمة

المصادر والمراجع

المبحث الأول: التعريف بمفردات الدراسة

المطلب الأول: التعريف بالعزيمة

الفرع الأول: التعريف بالعزيمة لغةً:

العزيمة: مأخوذة من مادة عزم، عزم على الأمر يعزم عزمًا، وجمعها عزائم، وهي عقد القلب على إمضاء أمرٍ ما؛ أي قصد الشيء والتصميم عليه، فهي القصد المؤكد (الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة (عزم)، ج ٤، ص ١٧٤. الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، مادة (عزم)، ص ١٥٥. ابن منظور، لسان العرب، مادة (عزم)، ج ١٢، ص ٣٩٩).

الفرع الثاني: التعريف بالعزيمة إصلاً:

اختلفت تعريفات الأصوليين (البخاري، كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، ج ٢، ص ٤٣٣. السرخسي، أصول السرخسي، ج ١، ص ١١٧. الغزالي، المستصفى، ج ١، ص ٧٨. الآمدي، الأحكام في أصول الأحكام، ج ١، ص ١٨٨. وغيرهم.) في العزيمة تبعاً لاختلافهم فيما يدخل تحتها من الأحكام، فعرفوها بتعريفات كثيرة ومتعددة، إلا أن أكثر الأصوليين (البخاري، كشف الأسرار، ج ٢، ص ٤٣٣. الشاطبي، الموافقات، ج ١، ص ٢٠٩. الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، ج ١، ص ٣٢٥) جعلها تتدرج تحت الأحكام التكليفية الخمسة جميعها، وأذكر من هذه التعريفات تعريف البهوتي بأنها: "ما ثبت بدليل شرعي خالٍ عن معارض راجح" (البهوتي، شرح منتهى الإرادات، عالم، ج ١، ص ٥٦).

حيث وضح البهوتي أن العزيمة تكون في الأحكام التكليفية الخمس فقد شرعت على جميع المكلفين دون تفریق وتمييز بينهم ؛ لأن ما ثبت بدليل شرعي تعثره هذه الأحكام، كما أنه أضاف البهوتي قيدا لهذا التعريف أخرج منه الرخصة؛ فالمعارض الراجح استثناء من دليل شرعي (البهوتي، شرح منتهى الإرادات، ج ١، ص ٥٦). وهذا مرادف للمعنى اللغوي؛ لأن هذه فريضة الله تعالى التي فرضها على عباده.

المطلب الثاني: التعريف بالرخصة

الفرع الأول: التعريف بالرخصة لغة:

الرخصة: من الفعل الثلاثي رَخَصَ، ومفردا رُخْصَة وجمعها رُخَص، ضد الغلاء، والرخصة التسهيل في الأمر والتيسير، وخلاف التشديد (الفیومی، المصباح المنیر، مادة (رخص)، ص ٨٥. الرازي، مختار الصحاح، مادة (رخص)، ص ١٠١).

وتأتي الرخصة أيضاً بمعنى نعمة الملمس -أي الناعم اللين وهو ضد الخشونة-، والإذن في الأمر بعد النهي، والحظ والنصيب (الفیروزآبادي، القاموس المحيط، مادة (رخص)، ج ٢، ص ٣١٦. ابن منظور، لسان العرب، مادة (رخص)، ج ٧، ص ٤٠).

الفرع الثاني: التعريف بالرخصة إصلاحيًا:

تعددت تعريفات الأصوليين (السرخسي، أصول السرخسي، ج ١، ص ١١٧. القرافي، نفائس الأصول في شرح المحصول، ج ١، ص ٣٣٤. الأمدي، الأحكام، ج ١، ص ١١٧. وغيرهم.) في الرخصة تبعاً لاختلافهم في تعريف العزيمة فيما يدخل تحتها من الأحكام الشرعية، فعرفوا الرخصة بتعريفات كثيرة ومتعددة أذكر منها تعريف الطوفي: "استباحة المحظور شرعاً مع قيام السبب الحاضر" (نجم الدين، شرح مختصر الروضة، ج ١، ص ٤٦٠).

فقد وضح الطوفي في تعريفه أنها استباحة المحظور شرعاً، فتشمل بذلك استباحة المحظور من الفعل واستباحة المحظور من الترك، وذلك يكون بقاء وهو ثبوت السبب الموجب للحظر، وبقاء الحكم الأصلي للدليل، فتشمل الرخصة بهذا المعنى الحرام، والواجب، والمندوب؛ لأن المكلف يختلف الحكم في حقه بحسب حال والمال والأزمان، فتارة يكون الحكم في حقه واجباً وتارة أخرى مندوباً، فالحكم لا يكون ثابتاً في حال معيماً، كما أنه يختلف باختلاف الأعذار؛ لذلك لا نحكم بالرخصة في جميع الأحوال (الطوفي، شرح مختصر الروضة، ج ١، ص ٤٦٠).

المبحث الأول: الصيغ التي تستخدم للدلالة على العزيمة والرخصة.

إن الأحكام التكليفية لها أساليب متنوعة ومتعددة، فإما أن تكون صريحة اللفظ أو الدلالة، أو تكون غير صريحة، فالشارع الحكيم حينما يعرض الحكم يعرضه بأساليب متعددة؛ لأن المقصود من الحكم، إما طلب الفعل، أو طلب الترك، أو التخيير بين الفعل والترك، ويتضح المقصود بالحكم من خلال صيغة الطلب وأسلوبه، فمنه ما كان على وجه الحتم والإلزام، فعبر عن طلب فعلها بالأمر أو الفرض، أو الوعيد على تركها، ومنه ما كان على سبيل الاختيار، فعبر عنها بالحث والترغيب على فعلها، أو ترك الشارع حكم الأمر فيه للمكلف والخيار بينهما دون ترتب العقاب أو الثواب على ذلك؛ لذلك جاء هذا المبحث لبيان الصيغ المتعلقة في كل حكم على سبيل العرض والذكر لا على سبيل الحصر، وبحث كل واحد منها بشكل منفصل، على النحو الآتي:

المطلب الأول: الصيغ الدالة على الوجوب.

إن العزيمة والرخصة تشمل على الأحكام التكليفية؛ لذلك تتنوع وتتعدد الصيغ والأساليب الدالة عليها، بتنوع وتعدد أنواع الحكم التكليفي، فتألف المطلب من فرعين، تناول الأول الصيغ الدالة على الوجوب في العزيمة، وتناول الثاني الصيغ الدالة على الوجوب في الرخصة، وذلك على النحو الآتي:

الفرع الأول: الصيغ الدالة على الوجوب في العزيمة:

إن الواجب هو الحكم الوحيد المتفق على وجوده في الأحكام التكليفية عند جميع الأصوليين، فالمقصود من الواجب هو طلب الفعل على وجه الحتم والالتزام، وهذا المعنى المراد والمقصود من العزيمة عند الأصوليين (البخاري، كشف الأسرار، ج ٢، ص ٤٣٣. السرخسي، أصول السرخسي، ج ١، ص ١١٧. الغزالي، المستصفى، ج ١، ص ٧٨. الأمدي، الأحكام، ج ١، ص ١٨٨. القرافي، نفائس الأصول في شرح المحصول، ج ١، ص ٣٣٤. وغيرهم).

فهناك صيغاً وأساليباً كثيرة للواجب، في الشرع تدل على الوجوب والإلزام، وتنوع هذه الصيغ إلى عدة أنواع، ولا تخرج عنها غالباً (خصيفان، صيغ الإيجاب عند الأصوليين، ص ٣٢٦)، فقد قال ابن القيم: "ويستفاد الوجوب: بالأمر، بالتصريح بالإيجاب، والفرض، والكتب، ولفظة "على" ولفظة "حق على العباد"

و"على المؤمنين" وترتيب الذم والعقاب على الترك، وإحباط العمل بالترك، وغير ذلك" (ابن قيم، بدائع الفوائد، ج ٤، ص ١٣٠٧)، فمن هذه الصيغ:

أولاً: صيغ الأمر:

لأمر صيغ متعددة دالة عليه، ومن هذه الصيغ: صيغ فعل الأمر (أفعل) أو ما في معناه، وصيغ فعل المضارع المقرون بلام الأمر، وصيغ اسم الأمر، وصيغ المصدر النائب عن فعل الأمر، وصيغ الجملة الخبرية التي تأتي بمعنى الأمر (السبكي، الإبهاج في شرح المنهاج، ج ٢، ص ١٦. الشاشي، أصول الشاشي، ج ١، ص ١١٦. الحفيان، القرائن الصارفة للأمر عن حقيقته، ص ٤٤. الباني، حاشية الباني على شرح المحلى على جمع الجوامع، ج ١، ص ٣٦٦. ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج ٤، ص ٧٤-٧٩)، وكلها صيغ تدل على الإيجاب والالتزام، فيعاقب تاركها ويثاب فاعلها.

ثانياً: الألفاظ المستعملة لغة للإيجاب والالتزام:

هناك ألفاظ كثيرة ومتعددة إذا أطلقت القصد منها طلب فعلها، وعدم مخالفتها، ومن هذه الألفاظ: الكتب، والفرض، واللزم، والوصية، والقضاء، والوجوب، والحث، والحق، وغيرها... فهذه الألفاظ جميعها تدل على وجوبها وعدم مخالفتها إجماعاً (الغزالي، المستصفى، ج ٣، ص ١٢٨. الآمدي، الأحكام، ج ٢، ص ١٢. صدر الشريعة، التوضيح، ج ٢، ص ٤٤).

ومن الأمثلة على ذلك: قوله تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۚ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ} (سورة البقرة، آية: ١٨٠)، فلفظ كتب في الآية الكريمة من الألفاظ التي تدل على الإيجاب والالتزام.

ثالثاً: الوعيد، والذم على ترك الفعل، ونفي الإيمان عن من لم يفعل:

إن الألفاظ التي تحمل معنى الوعيد، والتهديد، والعقاب، والذم على ترك العمل، نفي الإيمان عن من لم يفعل، تدل على وجوب العمل به وعدم تركه، فهي ألفاظ تدل على الإيجاب والإلزام (أبو يعلى، العدة في أصول الفقه، ج ١، ص ٢٤٢. خفيفان، صيغ الإيجاب عند الأصوليين، ص ٣٣٧).

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: {وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ} (سورة النساء، آية: ١٤)، فالوعيد بالنار لمن يعصى الله تعالى ورسوله - صلى الله عليه وسلم - يدل على وجوب الطاعة وعدم معصيته، وكذلك لمن ترك فعلاً معيناً أمر الله تعالى العمل به؛ يدل على وجوب فعله وعدم الابتعاد عنه.

الفرع الثاني: الصيغ الدالة على الوجوب في الرخصة:

إن الواجب ليس له صيغ ثابتة للدلالة على الرخصة، فالأحكام التكليفية ليست قوالب جامدة، بل إنها تتغير تبعاً لتغير الظروف والأحوال، وذلك ضمن قيود وضوابط معينة، فكل مكان وزمان له حكم خاص به؛ لذلك نجد أنه ليس هناك صيغ للوجوب للرخصة بعينها، إلا أنه لها حالات إذا اقترنت بالفعل أو المكلف أصبحت واجباً الفعل أو الترك، فجميع الصيغ الدالة على الوجوب وعلى التحريم في العزيمة – سيأتي بيانها في مطلب مستقل –، إذا اقترنت بظرف خاص بالمكلف أو ظرف خارج عن إرادة المكلف، محققاً الأسباب والضوابط، يصبح الحكم الواجب فعله على سبيل الحتم والإلزام، واجب الترك على سبيل الحتم والإلزام، والحكم الواجب تركه أصبح واجب الفعل، فتحول مقتضى الواجب من العزيمة إلى رخصة (الغزالي، المستصفى، ج ١، ص ٨٧. الأسنوي، نهاية السؤل، ج ١، ص ٣٤. المرداوي، التحرير شرح التحرير، ج ٣، ص ١١١٩)، وذلك على عدة أحوال منها:

أولاً: الصيغ أو الأحوال الدالة على عدم القدرة على الترك، يتحول الحرام فيها عن مقتضاه، من وجوب الترك إلى وجوب الفعل، في حالة عدم قدرة المكلف على القيام بالترك، ولا يترتب العقاب على فاعله، بل يترتب العقاب على تاركه ويثاب فاعله؛ فالشارع الحكيم لا يكلف نفساً بما لا تطيق وتقوى (الغزالي، المستصفى، ج ١، ص ٨٧. الأمدي، الإحكام، ج ١، ص ١٣١-١٣٢. الغمراوي، السراج الوهاج على متن المنهاج، ج ١، ص ٢١٨. ابن النجار، شرح الكوكب المنير، ج ١، ص ٣٦١)، وبالأخص إذا كانت هذه الأفعال تؤثر على أحد المقاصد الخمسة ومراتبها (الشاطبي، الموافقات، ج ١، ص ٥٤١).

فمن الأمثلة على ذلك: قوله تعالى: {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (سورة البقرة، آية: ١٧٣). فقد تحول الحكم هنا من وجوب ترك أكل لحم الميتة والدم ولحم الخنزير... إلى وجوب أكلها؛ لأنه يؤدي إلى هلاك المكلف، ولم يرتب الشارع الحكيم على فاعلها العقاب، فهي رخصة جعلها الله للمكلف وجب عليه الإتيان بها، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} (سورة النساء، آية: ٢٩)، كما قال أيضاً: {وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۚ وَأَحْسِنُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (سورة البقرة، آية: ١٩٥).

ثانياً: الصيغ أو الاحوال الدالة على عدم القدرة على الفعل، يتحول الواجب عن مقتضاه، من وجوب الفعل إلى وجوب الترك، في حالة عدم القدرة على القيام بالفعل، ولا يترتب العقاب على تركه، بل يترتب العقاب على فعله؛ فالشارع الحكيم لا يكلف نفساً بما لا تطاق وتقوى على الفعل (الغزالي، المستصفى، ج ١، ص ٨٧. الآمدي، الإحكام، ج ١، ص ١٣١-١٣٢. الغمراوي، السراج الوهاج على متن المنهاج، ج ١، ص ٢١٨. ابن النجار، شرح الكوكب المنير، ج ١، ص ٣٦١).

فمن ذلك قوله تعالى: {أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۖ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۚ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ۚ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} (سورة البقرة، آية: ١٨٤)، لقد رخص الله تعالى لمن لا يقوى على الصوم بسبب المرض أن يفطر في رمضان، فالأصل في الحكم وجوب الصوم، إلا أنه حال المكلف نقل الحكم إلى وجوب الترك بسبب عدم القدرة عليه.

المطلب الثاني: صيغ الدالة على المندوب.

للمندوب صيغ كثيرة، وأساليب متعددة ومتنوعة، تدل على طلب الفعل، ولكن ليس على سبيل الحتم والالزام، ففعلها يعتبر عزيمة ويترتب عليها الأجر والثواب، وعدم فعلها يعتبر رخصة من الله بعدم الفعل، ولا يترتب على تركها العقاب، أو الإثم فمن هذه الرخص ما ثبت بدليل خاص كالجمع بين الظهرين أو العشائين، وقصر الصلاة الرباعية في حالة السفر مع أن الأصل وجوب الإتمام فيما سواه، وإسقاط وجوب الصيام في رمضان للمسافر، وغيرها.... ومنها لم يرد دليل خاص عليها، ولكن بعموم الأدلة ومقاصد الشريعة يفهم منها الترخيص، وهناك حالات تفيد بنفي العقاب، أو الإثم، على تركه الواجب، لسبب اقتضى ذلك في أحوال استثنائية، فأصبح الحكم مندوباً، مع بقاء الحكم الأصلي في الأحوال المعتادة (الغزالي، المستصفى، ج ١، ص ٩٧. الآمدي، الإحكام، ج ١، ص ١٣١-١٣٢. ابن النجار، شرح الكوكب المنير، ج ١، ص ٤٧٨).

فالصيغ الواردة في هذا المطلب صيغ للعزيمة والرخصة على حد سواء، ولكن الرخصة تقتضي وجود العذر أو السبب الصارف عن العزيمة، وفيما يلي بعض الصيغ الدالة على المندوب:

قال ابن القيم: "وكل فعل عظمه الله ورسوله، أو مدحه، أو مدح فاعله لأجله، أو فرح به، أو أحبه أو أحب فاعله، أو رضي به أو رضي عن فاعله، أو وصفه بالطيب أو البركة أو الحسن، أو نصبه سببا لمحبه، أو لثواب عاجل أو آجل، أو نصبه سببا لذكره لعبده، أو لشكره له، أو لهدايته إياه، أو لإرضاء فاعله، أو لمغفرة ذنبه وتكفير سيئاته، أو لقبوله أو لنصرة فاعله، أو بشاره فاعله أو وصف فاعله بالطيب، أو وصف الفعل بكونه معروفاً، أو نفى الحزن والخوف عن فاعله، أو وعده بالأمن، أو نصبه سببا لولايته، أو أخبر عن دعاء الرسل بحصوله، أو وصفه بكونه قربة، أو أقسم به أو بفاعله، كالقسم بخيل المجاهدين وإغارتها، أو ضحك الرب جل جلاله من فاعله أو عجبه به، فهو دليل على مشروعيته المشتركة بين الوجوب والندب" (ابن قيم، بدائع الفوائد، ج ٤، ص ١٣٠٧). ويمكن إجمال الصيغ والأساليب التي تأتي على سبيل الندب بعدة صيغ، أذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً: صيغ الأمر الصريح إذا وجدت قرينة تصرفه من الوجوب إلى الندب، أو الاستحباب، لا الوجوب والإلزام، سواء أكانت القرينة نصاً شرعياً، أم قاعدة من قواعد الشريعة الإسلامية، أم غير ذلك، ومن ذلك قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ۚ ...} (سورة البقرة، آية: ٢٨٢)، الآية الكريمة تقضي بوجوب كتابة الدين، إلا أنه وجدت قرينة صرفتها من الوجوب إلى الندب وذلك في قوله تعالى: {وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَالَّذِينَ لَا يَبْتَاعُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۚ وَآتُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَانَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (سورة النور، آية ٣٣)، والقرينة الصارفة دلت على أنه للندب؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد هذا الأمر لم يكتب عبده، ولا كل الصحابة أيضاً كاتبوا عبيدهم، فعدم امتثالهم للأمر، صرف الأمر من الوجوب إلى الاستحباب، فتكون مكاتبة السيد لعبده مستحبة لا واجبة (النملة، المذهب، ج ١، ص ٢٣٥. المرداوي، التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، ج ٥، ص ٢١٨٦. السرخسي، أصول السرخسي، ج ٢، ص ٣٢١).

ثانياً: صيغ لفظية تدل على الندب: كالسنة، والنافلة، والتطوع، والحسن، والأفضل، والخير، والمستحب، وصيغ الترغيب، وصيغ الحث على الفعل، وغيرها (البعلي، الذخر الحرير بشرح مختصر التحرير، ص ٢١٤. النملة، الجامع لمسائل أصول الفقه وتطبيقاتها على المذهب الراجح، ص ٣٨).

فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- يرفعه قال: "سُئِلَ: أَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ؟ وَأَيُّ الصِّيَامِ أَفْضَلُ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ؟ فَقَالَ: «أَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، الصَّلَاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، وَأَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ، صِيَامُ شَهْرِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ»" (مسلم، صحيح مسلم، كتاب الصوم، باب فضل صوم المحرم). فلفظ (أفضل) في الحديث الشريف لا يدل على الوجوب، بل يدل على الندب؛ لأنه يحث المخاطب ويحضه، ويحببه في فعل الأمر.

ثالثاً: ترتيب الأجر والثواب على فعل معلوم أنه ليس من الفرائض: فإذا جاء عمل أو فعل ليس فيه فرض أو أمر بالقيام به، إلا أنه يترتب على فعله الأجر والثواب، فالمقصود من الفعل هو الندب وليس الوجوب (النملة، المهدب، ج ١، ص ٢٣٥. المرداوي، التحرير شرح التحرير، ج ٥، ص ٢١٨٦. السرخسي، أصول السرخسي، ج ٢، ص ٣٢١).

فعن أبي هريرة: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «مَنْ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ، إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا، وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا وَيُفْرَغَ مِنْ دَفْنِهَا، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ مِنَ الْأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ»" (البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب اتباع الجنائز من الإيمان)، فهذا ليس من الفرائض، بل من العمل المندوب، وترتب عليه الأجر والثواب.

المطلب الثالث: الصيغ الدالة على التحريم.

إن الصيغ الدالة على الحرام في العزيمة كثيرة ومتنوعة، ولها أساليب متعددة، تدل على ترك الفعل على سبيل الحتم والالزام، فقد قال ابن القيم: "ويستفاد التحريم: من النهي، والتّصريح بالتحريم والحظر، والوعيد على الفعل، وذم الفاعل، وإيجاب الكفارة بالفعل. وقول: "لا ينبغي" فإنها في لغة القرآن والرسول للمنع عقلاً أو شرعاً، ولفظة: "ما كان لهم كذا"، "ولم يكن لهم"، وترتيب الحدّ على الفعل، ولفظة: "لا يحل ولا يصلح"، ووَصَفَ الفعل بأنه فساد، وأنه من تزيين الشيطان وعمله، وأنّ الله لا يحبّه، وأنه لا يرضاه لعباده، ولا يُرَكَّبِي فاعله، ولا يكلمه، ولا ينظرُ إليه، ونحو ذلك" (ابن قيم، بدائع الفوائد، ج ٤، ص ١٣٠٧). ويمكن إجمال الصيغ والأساليب التي تأتي على سبيل التحريم بعدة صيغ، أذكر منها:

أولاً: صيغ التحريم الصريحة، أي الصيغ الدالة عليه بطريقة اللفظ، أذكر منها: النهي -لا تفعل- وكل ما هو مشتق من مادة (نهي)، وكل ما هو مشتق من مادة (حرم)، وكل ما هو مشتق من مادة (كره)، والأمر بترك الفعل، والاستثناء من الإباحة (أبو يعلى، العدة، ج ٢، ص ٤٢٤. الشيرازي، اللمع في أصول الفقه، ص ٢٤. الصنعاني، سبل السلام، ج ٤، ص ١٦٧. ابن عقيل، الواضح في أصول الفقه، ج ٣، ص ٢١٨).

فمن الأمثلة على لفظ النهي وما ينصرف عنها، قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (سورة النحل، آية: ٩٠)، فالفحشاء ومنكر وبغي من الأمور المحرمة الذي نهى الله تعالى عنها بأمر صريح فيحرم إتيانها بأي شكل من الأشكال، وأما لفظ (كره) وما ينصرف عنها فمن الأمثلة عليها: (إن الله كره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وإضاعة المال وكثرة السؤال) (البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: {لا يسألون الناس إلحافاً} /البقرة: ٢٧٣/). فقد دل لفظ الكره في هذا الحديث على التحريم، فمن جاء بواحدة من هذه الأمور فقد ارتكب أمراً محرماً؛ لأن الله تعالى كره هذه الأفعال.

وأما الاستثناء فمن الأمثلة عليه، قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ} (سورة المائدة، آية: ١)، فقد بينت الآية الكريمة أن الصيد في الإحرام حرام من خلال استثناءه من الإباحة. فإذا وردة ألفاظ النهي أو الكره أو الاستثناء من الإباحة في أي موضع، يفهم منها التحريم الصريح، فيحرم فعلها ويؤجر تاركها.

ثانياً: صيغ التحريم غير الصريحة، أي الصيغ الدالة عليه بطريقة المعنى، من هذه الصيغ: الأمر الذي يستفاد منه النهي، والأمر بالتولي والإعراض عن الفعل، والأمر المقترن بقربه تدل على التحريم (أبي يعلى، العدة، ج ٢، ص ٣٦٨. العنزي، تيسير علم أصول الفقه، ص ٣٥ - ٤٠. السرخسي، أصول السرخسي، ج ١، ص ١٠٩. الشيرازي، اللمع، ص ٢٤. اللخمي، التبصرة، ص ٩٩).

ومن الأمثلة على هذه الصيغ: قوله تعالى: {اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} (سورة الأنعام، آية: ١٠٦)، فقد أمر الله تعالى رسوله الكريم بإتباعه وإكمال الرسالة التي بعث من أجلها، وأمره بالتولي والإعراض عن المشركين.

ثالثاً: صيغ التحريم التي تدله عليه بطريقة اللزوم، وهذه صيغ كثيرة ومتعددة، أذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر: الوعيد بالعقاب على الفعل أو إيقاعه، وزوال النعمة أو حلول النعمة، ولعن الفاعل، وترتيب الغضب على الفعل، وترتيب الحد أو التعزير على الفعل، ونفي محبة الله عن الفاعل، والوصف بالكفر أو الظلم أو الفسق، وذم الفاعل، وترتيب الإثم على الفاعل، وتوبيخ الفاعل، والتوبة والاستغفار من الفعل، وغيرها الكثير... (أبو يعلى، العدة، ج ٢، ص ٤٢٤. السرخسي، أصول السرخسي، ص ٢٠٩. الشيرازي، اللمع، ص ٥١. ابن النجار، شرح الكوكب المنير، ج ٣، ص ٦٦ - ٧٠. ابن قيم، بدائع الفوائد، ج ٤، ص ١٣٠٧ -

١٣١٠. الآمدي، الأحكام، ج ١، ص ١٦٥. الصنعاني، سبل السلام، ج ٣، ص ١٢٧. ابن عقيل، الواضح، ج ٣، ص ٢١٨).

فمن الأمثلة على ذلك: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (سورة النساء، آية: ١٤)، فقد توعّد الله تعالى لمن يعصيه ورسوله -صلى الله عليه وسلم- بالعقاب والعذاب في نار جهنم. وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ (سورة الأعراف، آية: ٤٠)، فقد بين الله تعالى أن الذين يكذبون بآياته يحرمهم من نعمة دخول الجنة وتحل عليهم النعمة والعذاب لفعلهم.

أما الرخص الشرعية فليس لها صيغٌ للتحريم دالةٌ عليها؛ لأنه لا توجد رخصة محرمة في الشريعة الإسلامية، فالرخص تأتي استثناءً من أصل كلي للتيسير والتخفيف على المكلف؛ فكيف تكون رخصة محرمة وجاءت للتخفيف على المكلف؛ لذلك لا أرى أن هناك رخص محرمة، إلا أنه هناك حالات يحرم على المكلف الأخذ بها بالرخصة، فتكون في حقه محرمه، كانتفاء أسباب الرخصة، أو انتفاء ضوابطها، أو وجود مانع من الأخذ بالرخص، وهذا سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله.

المطلب الرابع: الصيغ الدالة على المكروه.

يتألف المطلب من فرعين، تناول الأول الصيغ الدالة على المكروه في العزيمة، وتناول الثاني الصيغ الدالة على المكروه في الرخصة، وذلك على النحو الآتي:

الفرع الأول: الصيغ الدالة على المكروه في العزيمة:

إن للمكروه صيغ متعددة، وأساليب كثيرة، نذكرها البعض منها على سبيل الذكر لا الحصر، فقد قال ابن القيم: "وكلُّ فعل طلب الشرع تركه أو ذمَّ فاعله، أو عتب عليه أو لعنه، أو مقتَه أو مَقَّتَ فاعله الرضى به أو الرضاء عن فاعله، أو شبه فاعله بالبهائم، أو بالشیاطين، أو جعله مانعا من الهدى أو من القبول، أو وصفه بسوء أو كراهة، ... وأما لفظه: "يكرهه الله ورسوله"، أو "مكروه"، فأكثر ما تستخدم في المحرم، وقد يستعمل في كراهة التنزيه. وأما لفظه: "أما أنا فلا افعل"، فالمتحقق منه الكراهة" (ابن قيم، بدائع الفوائد، ج ٤، ص ١٣٠٨-١٣١١).

أولاً: صيغ التحريم الصريحة إذا وجدت قرينة تصرفها من التحريم إلى الكراهة: أي ما طلب الشارع الكريم تركه ليس على سبيل الحتم الإلزام؛ ولكن رتب على تركه المدح والثواب والأجر، سواء أكانت القرينة نصاً شرعياً، أم قاعدة من قواعد الشريعة الإسلامية، أم غير ذلك (الاشبيلي، القبس في شرح موطأ مالك بن أنس، ج ٣، ص ١١١٠).

فمن ذلك: "تَهَيَّ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، عَنِ الْوَصَالِ" قَالُوا: إِنَّكَ تُوَصِّلُ، قَالَ: «إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ إِنِّي أَطْعَمُ وَأُسْقِي» (البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب الوصال، ومن قال: «ليس في الليل صيام»). فالنهي هنا جاء على الكراهة لا التحريم؛ لأن هناك من الصحابة من واصل بعد الحديث (ابن قدامة، المغني، ج ٣، ص ١٧٦).

ثانياً: صيغ لفظية تدل على الكراهة: كره، بغض، العيف، لا يحب، عدم الرضا، نفي الأفضلية، وصيغ الحث على ترك الفعل، وغيرها... ومن الأمثلة على ذلك: عن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، قال: " أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا" (مسلم، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح، وفضل المساجد). إن المقصود بالبغض هنا كراهة ملازمة الأسواق لمن لا حاجة له فيها؛ لأنها مخصوصة بطلب الدنيا، ولكيلا يغفل عن ذكر الله (القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، ج ٢، ص ٦٤٧).

كما جاء عن ابن عباس، عن خالد بن الوليد، قال: "أَتَيْ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِضَبِّ مَشْوِيٍّ، فَأَهْوَى إِلَيْهِ لِأَكْلٍ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُ ضَبٌّ، فَأَمْسَكَ يَدَهُ، فَقَالَ خَالِدٌ: أَحَرَامٌ هُوَ؟ قَالَ: «لَا، وَلَكِنَّهُ لَا يَكُونُ بِأَرْضِ قَوْمِي، فَأَجِدُنِي أَعَافُهُ» فَأَكَلَ خَالِدٌ وَرَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَنْظُرُ قَالَ مَالِكٌ: عَنْ ابْنِ شِهَابٍ: «بِضَبِّ مَحْنُودٍ» (البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب الشواء).

ثالثاً: ترتيب الأجر والثواب على ترك فعل معلوم أنه ليس من الفرائض: فإذا جاء عمل أو فعل ليس فيه فرض أو أمر بالترك، إلا أنه لا يترتب على فعله الأجر والثواب، ويحصل تاركه على الأجر والثواب، وهو ما يعرف بخلاف الأولى؛ لأنه لا يوجد نص صريح بالفعل أو الترك فالنهي فيه غير مقصود، أما المكروه فالنهي فيه مقصود وأعم وأقوى من خلاف الأولى (ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار، ج ٢، ص ٤٢٤ - ٤٢٥. شمس الدين، الفوائد السنية في شرح الألفية، ج ٣٥٦. المرداوي، التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، ج ٣، ص ١٠١٠).

بين ابن السبكي الفرق بين المكروه وخلاف الأولى حيث قال: "وافترق خلاف الأولى مع المكروه اختلاف الخاصين، فالمكروه ما ورد فيه نهى مخصوص مثل: " إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ، فَلَا يَجْلِسْ حَتَّى يُصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ " (جاء البخاري معلقاً في صحيحة، صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب ما جاء في التطوع مثني مثني)، وخلاف الأولى ما لا نهى فيه مخصوص كترك سنة الظهر؛ فالنهى عنه ليس بمخصوص ورد فيه؛ بل من عموم أن الأمر بالشيء نهى عن ضده أو مستلزم للنهي عن ضده، وعند من يقول: ليساً نهياً عن الضد ولا مستلزماً، لعموم النهي عن ترك الطاعات" (السبكي، الأشباه والنظائر، ج ٢، ص ٧٨).

ومن الأمثلة على ذلك: عن ابن عباس، قال: حدثتني خالتي ميمونة، قالت: " أَذْنَيْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - غُسْلَهُ مِنَ الْجَنَابَةِ، فَعَسَلَ كَفَّيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ أَدَخَلَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ، ثُمَّ أَفْرَغَ بِهِ عَلَى فَرْجِهِ، وَغَسَلَهُ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ ضَرَبَ بِشِمَالِهِ الْأَرْضَ، فَذَلَكَا دَلَكًا شَدِيدًا، ثُمَّ تَوَضَّأَ وَضُوءَهُ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ أَفْرَغَ عَلَى رَأْسِهِ ثَلَاثَ حَفَنَاتٍ مِلءَ كَفِّهِ، ثُمَّ غَسَلَ سَائِرَ جَسَدِهِ، ثُمَّ تَنَحَّى عَنْ مَقَامِهِ ذَلِكَ، فَعَسَلَ رِجْلَيْهِ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ بِالْمَنْدِيلِ فَرَدَّه " (مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب صفة غسل الجنابة). فالرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يستعمل المنديل؛ لأنه الماء أثراً لعبادته، فكان التنشيف من الوضوء مكروه (المزورؤذي، التعليقة للقاضي حسين (على مختصر المزني)، ج ١، ص ٣٠٥).

الفرع الثاني: الصيغ الدالة على المكروه في الرخصة:

لقد سبق توضيح الألفاظ أو الحالات التي تكون فيها الرخصة إما واجبة الفعل، أو الترك، أو مندوبة الفعل، أو مباحة الفعل، إلا أنه لم نبين الحالات التي تكون فيها ترك الرخصة أولى من فعلها بالنسبة للمكلف، حتى لو لم يترتب عليه العقاب أو الأثم، فقد قال ابن نجيم: " المكروه تنزيهاً مرجعة إلى ما تركه أولى" (ابن نجيم، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ج ٢، ص ٢٠).

وهذا النوع من الرخص لا يوجد له ألفاظ أو صيغ محدده يمكن ضبطها بها، إلا أنه له حالات معينة يمكن معرفتها من خلاله ويمكن إجمالها بما يأتي:

أولاً: الصيغ أو الأحوال الدالة على الرخصة بالترك، إلا أن المكلف له القدرة على فعلها: ففي هذه الحالة يحق له أن يأخذ بالرخصة بالترك، إلا أن فعلها لها أفضل من تركها؛ لأنها خالفت الدليل الأصلي، فمن ذلك: الإفطار في رمضان للمسافر إذا لم يجهد الصوم، أي لم يحصل له به جهد، فالرخصة هنا هي ترك الصوم، إلا المسافر الذي لم يشعر بالمشقة أولى أن يصوم، فإن أجهد السفر أظفر (ولي الدين، الغيث

الهامع شرح جمع الجوامع، ص ٥٩)، وكذلك القصر والجمع في الصلاة، والمسح على الخفين (الخرشي، شرح مختصر خليل، ج ١، ص ١٧٦).

ثانياً: الصيغ أو الأحوال الدالة على الرخصة بالفعل، إلا أن المكلف له القدرة على تركها: ففي هذه الحالة يحق للمكلف أن يأخذ بالرخصة بالفعل، إلا أن تركه للرخصة أفضل من فعلها، ومن الأمثلة على ذلك: النطق بكلمة الكفر عند الإكراه (ابن قدامة، المغني، ج ٩، ص ٣١. الكساني، بدائع الصنائع، ج ٧، ص ١٧٧)، وكالاستجاء بالذهب والفضة (المرداوي، التحيير شرح التحرير، ج ٣، ص ١١٢٢-١١٢٣. ابن النجار، شرح الكوكب المنير، ج ١، ص ٤٨١)، فقد رخص الشارع الحكيم فعلها رخصة، إلا أن تركها يكون أولى وأفضل.

المطلب الخامس: الصيغ الدالة على الإباحة.

إن المباح له ألفاظ متعددة، وصيغ كثيرة، وهي صيغ مشتركة بين الرخصة والعزيمة، فالشارع الكريم ترك الأمر بالخيار للمكلف ما بين الفعل وما بين الترك، فوجه العزيمة فيها هو القيام بفعلها واتباع أمر الله تعالى، بما لا يتعارض مع حكمه، وأما وجه الرخصة فيكون بالتخفيف والتيسير على المكلف، ورفع الحرج والضيق والأثم عنه بعدم فعل العزيمة، سواء أكان ذلك لسبب يقتضيه أم لا (الشاطبي، الموافقات، ج ١، ص ٣٠٥)، فنذكر بعض هذه الصيغ بشكل موجز ويسر:

قال ابن القيم: "وتستفاد الإباحة من الإذن والتخيير، والأمر بعد الحظر، ونفي الجُناح والحرَج والإثم والمؤاخذه، والإخبار بأنه معفو عنه، وبالإقرار على فعله في زمن الوحي، وبالإنكار على من حرَّم الشيء، والإخبار بأنه خلق لنا كذا، وجعله لنا، وامتنانه علينا به، وإخباره عن فعل مَنْ قبلنا له غير ذام لهم عليه، فإن اقترن بإخباره مدح دل على رجحانه استحباباً أو وجوباً" (ابن قيم، بدائع الفوائد، ج ٤، ص ١٣٠٧-١٣٠٨).

أولاً: صيغ الأمر إذا اقترن بها قرينة تصرفها عن الواجب أو المندوب إلى الإباحة: ومن ذلك قوله تعالى: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (سورة الجمعة، آية: ١٠)، فهذا أمر جاء بالانتشار بعد حظر البيع عند سماع نداء الجمعة وإيجاب السعي إليها، فالأمر بالانتشار جاء للإباحة؛ فعندما انتهى الغرض من الحضر، عاد الأمر إلى الإباحة السابقة، بصيغة طلب أريد بها رفع الجناح العارض لأجل الجمعة (النملة، المهذب، ج ١، ص ٢٦٠. النملة، الجامع لمسائل أصول الفقه، ص ٤١).

ثانياً: الصيغ الصريحة بلفظ (الحل) وما اشتق منها (البخاري، كشف الأسرار، ج ١، ص ١٢١. القرافي، نفائس الأصول، ج ٩، ص ٣٩٧٨): فمن ذلك قوله تعالى: {لَأَجَلٌ لَّكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَارَةِ ۚ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْنُمْ حُرْمًا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} (سورة المائدة، آية: ٩٦)، فهذا اللفظ يدل على التساوي بالأمر والتخيير بالفعل أو الترك.

ثالثاً: الصيغ الدالة على نفي الجناح، ورفع الحرج، ونفي الأثم والمواخذة، ونفي السبيل، والبأس، والحنث، وغيرها... فهذه الألفاظ كلها تدل على أن المراد بذلك الإباحة والترخيص، وأن هذه الأحكام مباحة (ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، ج ٣، ص ٣٧. الشاطبي، الموافقات، ج ١، ص ٢٣١).

فمن الأمثلة على نفي الجناح، قوله تعالى: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (سورة المائدة، آية: ٩٣).

ومن الأمثلة الدالة على رفع الحرج، قوله تعالى: {لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (سورة التوبة، آية: ٩١).

رابعاً: استصحاب الإباحة الأصلية، وهو الذي يقال فيه: "الأصل في الأشياء الإباحة" (السرخسي، أصول السرخسي، ج ٢، ص ٢٠) فكل شيء مباح ما لم يرد دليل أو قرينة تنقله من الإباحة إلى غيرها من الأحكام التكليفية، يستصحب الأصل عند عدم الدليل الشرعي (العنزي، تيسير علم أصول الفقه، ص ٤٧، ٤٨. النملة، المذهب، ج ١، ص ٢٥٩، ٢٦٠)، ومن الأمثلة على ذلك إباحة أكل جميع الأطعمة إلا ما حرم الشارع منها، وكذلك الألبسة.

خامساً: الاستثناء من حكم عام، فهذا لفظ يدل على الرخصة الشرعية، فمن ذلك قوله تعالى: {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (سورة النحل: آية ١٠٦).

الخاتمة

الحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فهذه نتائج الدراسة وتوصياتها.

النتائج:

ففي ختام هذه الدراسة أذكر أبرز النتائج التي توصلت إليها من خلاله، وهي:
أولاً: إن العزيمة والرخصة تعتريا الأحكام التكليفية الخمسة، والتعريف المختار في الدراسة للعزيمة هو تعريف البهوتي: ما ثبت بدليل شرعي خالٍ عن معارض راجح. وإما الرخصة فالتعريف المختار في الدراسة هو تعريف الطوفي: استباحة المحظور شرعاً مع قيام السبب الحاضر.
ثانياً: إن الصيغ أو الحالات الدالة على العزيمة والرخصة كثيرة ومتعدد، فمنها ما اشتركت العزيمة والرخصة في الدلالة عليها كالمباح والمندوب، ومنها ما انفردت به العزيمة فقط كالصيغ المحرمة، ومنها ما كنت صيغ الواجب في الفعل والترك بالرخصة، على عكس صيغ الواجب والمحرم في العزيمة.

التوصيات:

ويمكن أن أخلص من هذه الدراسة إلى عدد من التوصيات، منها:
أولاً: أوصي طلبة العلم الشرعي الاهتمام بالجانب الأصولي وربطه مع الجانب التطبيقي في الواقع المعاصر.
ثانياً: أوصي طلبة العلم الشرعي، والمختصين في الأصول، ببيان أثر حال المكلف في المستجدات الفقهية والأصولية، وأثرها على الأحكام التكليفية.

المصادر والمراجع:

- الإسنوي، عبد الرحيم بن الحسن، نهاية السؤل شرح منهاج الوصول، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- الاشبيلي، محمد بن عبد الله، القبس في شرح موطأ مالك بن أنس، تحقيق: الدكتور محمد عبد الله ولد كريم، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٩٩٢م.
- الأمدي، علي، الأحكام في أصول الأحكام، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، لبنان، د.ط، د.ت.
- الباني، عبد الرحمن، حاشية الباني على شرح المحلى على جمع الجوامع، الشاملة الذهبية، د.ط، د.ت.

- البعلي، أحمد بن عبد الله بن أحمد، الذخر الحرير بشرح مختصر التحرير، تحقيق، وائل محمد بكر زهران الشنشوري، المكتبة العمرية - دار الذخائر، القاهرة - مصر، ط ١، ١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠ م.
- التفتازاني، سعد الدين مسعود، شرح التلويح على التوضيح، مكتبة صبيح، بمصر، د.ط، د.ت.
- ابن حزم، علي، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: محمد أحمد شاكر، بيروت، دار الآفاق الجديدة، د.ط، د.ت.
- حفيان، محمد علي محمد، القرائن الصارفة للأمر عن حقيقته، تحقيق: محمد علي إبراهيم، ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، ط ١، ١٤١٦ هـ.
- الخرخشي، محمد بن عبد الله. شرح مختصر خليل، دار الفكر للطباعة، بيروت، د.ط، د.ت.
- خصيفان، عبد الرحمن بن غازي، صيغ الإيجاب عند الأصوليين، مجلة الحكمة، نخبة من علماء الدولة الإسلامية، عدد ٥٦، محكم، د.ط، ٢٠١٨ م.
- الرازي، زين الدين أبو عبد الله، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ، المكتبة العصرية، بيروت، ط ٥، ١٩٩٩ م.
- الزركشي، محمد، البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتبي، ط ١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
- ابن سبكي، تاج الدين عبد الوهاب، الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩١ م....، الإبهاج في شرح المنهاج، دار الكتب العلمية - بيروت، د.ط، ١٤١٦ هـ.
- السرخسي، محمد بن أحمد، أصول السرخسي، دار المعرفة، لبنان، بيروت، د.ط، د.ت.
- الشاشي، أحمد بن محمد، أصول الشاشي، دار الكتاب العربي - بيروت، د.ط، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات، تحقيق: مشهور بن حسن، دار ابن عفان، ط ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- شمس الدين، محمد بن عبد الدائم، الفوائد السنية في شرح الألفية، تحقيق: عبد الله رمضان موسى، مكتبة التوعية الإسلامية، مصر - الجيزة، ط ١، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.

- الشيرازي، أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف، اللمع في أصول الفقه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ.
- الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح، سبل السلام، دار الحديث، د.ط، د.ت.
- الطوفي، نجم الدين، شرح مختصر الروضة، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.
- ابن عابدين، محمد أمين بن عمر. رد المحتار على الدر المختار، بيروت، دار الفكر، ط٢، ١٤١٢هـ.
- عقيل، علي، الواضح في أصول الفقه، تحقيق: عبد الله التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩ م.
- العنزي، عبد الله بن يوسف، تيسير علم أصول الفقه، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، المستصفى، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.
- الغمراوي، محمد الزهري، السراج الوهاج على متن المنهاج، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت، د.ط، د.ت.
- الفيروزآبادي، مجد الدين، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ٢٠٠٥ م.
- الفيومي، أحمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، بيروت، المكتبة العلمية، د.ط، د.ت.
- القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: يحيى إسماعيل، مصر، دار الوفاء، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٨٨ م.
- ابن قدامة، أبو محمد موفق الدين، المغني، مكتبة القاهرة، مصر، ط١، ١٩٦٨ م.

- القرافي، شهاب الدين أحمد، نفائس الأصول في شرح المحصول، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي محمد معوض، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، بدائع الفوائد، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عطاءات العلم - الرياض - دار ابن حزم - بيروت، ط ٥، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م.
- المرداوي، علاء الدين أبو الحسن، التحرير شرح التحرير في أصول الفقه، تحقيق: عبد الرحمن الجبرين، عوض القرني، أحمد السراح، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط ١، ١٤٢١هـ.....، التعليقة للقاضي حسين (على مختصر المزني)، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، د.ط، د.ت.
- مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: أحمد بن رفعت بن عثمان وآخرون، دار الطباعة العامة - تركيا، د.ط، ١٣٣٤هـ.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة (عزم)، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ.
- ابن النجار، تقي الدين محمد، شرح الكوكب المنير، تحقيق: محمد الزحيلي، مكتبة العبيكان، ط ٢، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، دار الكتاب الإسلامي، ط ٢، د.ت.
- النملة، عبد الكريم بن علي، الجامع لمسائل أصول الفقه وتطبيقاتها على المذهب الراجح، مكتبة الرشد - الرياض - المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ابن هشام، عبد الله بن يوسف، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت.
- ولي الدين، أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم، الغيث الهامع شرح جمع الجوامع، تحقيق: محمد تامر حجازي، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ابي يعلى الفراء، محمد بن خلف، العدة في أصول الفقه، تحقيق: أحمد بن علي بن سير المباركي، ط ٢، ١٤١٠هـ.

بيداغوجيا الخطاب الديني في الإسلام

الباحثة: أمل حمدي

جامعة الزيتونة – تونس

E-mail: hamdiamal16@gmail.com

الملخص:

جاء هذا البحث بعنوان " بيداغوجيا الخطاب الديني في الإسلام " كون الخطاب الديني أحد الركائز التي يعتمد عليها العمل الديني، فبيّن البحث دور الخطيب والجمهور في تحقيق النجاح المطلوب من الخطاب الديني، مع بيان مدى توافق الخطاب الديني المعاصر مع مبادئ الإسلام، وتناول البحث دور الخطاب الديني وتأثيره في تحريك صورة الإسلام في نظر العالم. وعرض البحث صور الخطاب الحديث وأنواعه، فتطرق لبيداغوجيا الخطاب الديني ودورها في مكافحة التطرف، وتناول موضوع تجديد الخطاب الديني، وبين فيه الضرورة الملحة لتجديد الخطابات الدينية، وأبرزت فيه أهم الضوابط لضمان فاعلية الخطاب.

الكلمات المفتاحية: بيداغوجيا، الخطاب الديني، تجديد الخطاب، تقنيات الخطابة.

Abstract:

This research was entitled “Pedagogy of Religious Discourse in Islam” The fact that religious discourse is one of the pillars on which religious work depends, The research showed the role of the preacher and the audience in achieving the success required of religious discourse, while clarifying the extent to which contemporary religious discourse is compatible with the principles of Islam. The research addressed the role of religious discourse and its impact in moving the image of Islam in the eyes of the world. The research presented images and types of modern discourse, touched on the pedagogy of religious discourse and its role in combating extremism, and addressed the issue of renewing religious discourse. It demonstrated the urgent necessity of renewing religious discourses, and

highlighted the most important controls to ensure the effectiveness of the discourse.

Keywords: pedagogy, religious discourse, speech renewal, rhetoric techniques.

المقدمة:

انطلاقاً من أهمية الخطاب الديني وما يمثله من مكانة رفيعة وغذاء روحي لحياة البشر نجد أن كل أمة، سواء كانت بدائية أو متحضرة، لها فكرة دينية أو تراث ديني تعتز به وتقده ففكرة الدين عميقة الجذور إذ من المستحيل أن نجد أمة من الأمم إلا واعتنقت ديناً سماوياً، كالإسلام والمسيحية، أو ديناً وضعياً، كالبودية ونحوها، وهذا ما أكدته التاريخ البشري من خلال تتابع الرسل وتواصل الرسالات إلى مختلف الشعوب.

فالعلاقة بين الإنسان والدين هي علاقة تتجاوز أسوار المساجد ودور العبادة والطقوس بل هو علاقة متكاملة، علاقة الأبعاد الوجودية والميتافيزيقية، علاقة لصيقة بذات الفرد يتحقق فيها الجانب العقدي والروحي والديني والحضاري.

ولئن وجد فن الخطابة في العصر الجاهلي بيئة تناسبه فإنها وجدت في البيئة الإسلامية حياة أنسب، حيث تستظل بروح الإسلام وتتغذى من التقوى والإيمان، ذلك أنه لما ظهر الإسلام كانت الخطابة من أولوياته فجعلها من مقوماته المركزية سواء أكان في صلاة الجمعة أم الأعياد والمناسبات والأحداث، حيث تكمن أهمية الخطاب الديني أنها وسيلة اتصال مباشرة ذات فاعلية وتأثير يعتمد على المواجهة والمباشرة بين الخطيب والجمهور.

كما يعتمد على السمع، إذ هو جوهره، فهو خطاب موجه إلى العقل والقلب، فالنصوص القرآنية هي التي خاطب بها الله عز وجل نبيه رسول البشرية بواسطة جبريل عليه السلام؛ ليبلغها هو بدوره للبشرية عامة لغرض نشر رسالة التوحيد، وقد أسس النبي عليه الصلاة والسلام مدرسة خطابية ذات بيداغوجيا ومنهجية

منفردة، فكانت مرجعية لمن تبعه من الصحابة والتابعين، لما تضمنته من سبل إقناع وحجاج ولما ارتكزت عليه من أدوات وتقنيات ومناهج مختلفة ومقنعة ومع مرور الوقت ازدهر الخطاب الديني وبلغ مراحل متقدمة حتى أنها استخدمت في الفتوحات الإسلامية لتعزيز الروح التنافسية وإثارة روح الحماسة والشجاعة في نفوس الرعية حتى يتحقق التأثير والدفع بهم لبناء أمة بناءة فالخطابات الدينية تأثر على المستوى الفردي والجماعي فهي تغذي حاجيات الإنسان المعرفية والعاطفية، تقوي المعلومات والمعارف وتقوي العاطفة تجاه حب الخالق فهذا ما يريح النفس ويعزز الطمأنينة ويحقق كمال الشخصية لتكون شخصية إسلامية متوازنة دينيا وروحيا ونفسيا واجتماعيا حتى صار الخطاب الديني مادة أساسية في الحوارات الثقافية والاجتماعية والإعلامية، إذ من الصعب التغافل عنه أو تهميشه في الوقت الراهن ليس في العالم العربي أو الإسلامي فحسب بل على المستوى العالمي لأنه يكتسب حصانة وقداسة روحية وروحانية وذلك لمصدرها الأصلي فهي من وحي السماء.

فما يلاحظ اليوم من مشاكل وصراعات طائفية وظواهر اجتماعية وإرهاب وتكفير واعتداءات فإنها لا تعني قصورا في الدين باعتباره وحيا ربانيا يشمل تصور للحياة متناسق يتماشى مع مختلف الأزمنة والأمكنة، فالقصور يعود إلى إخفاق الخطيب في توصيل التصور والنظرية الدينية، فهو عجز وفشل في بيداغوجيا ومنهجية البحث في تقديم خطابا يليق بحاجيات الواقع وعلى هذا الأساس نجد دعوة صريحة من رجال الدين وعلماء علم النفس والاجتماع إلى ضرورة تجديد الخطاب الديني بمعنى تجديد المنهاجيات والأساليب والأدوات وطريقة الطرح ليرتقي بالخطاب الإسلامي.

أسباب اختيار الموضوع:

تتراوح دوافع اختياري لموضوع "بيداغوجيا الخطاب الديني في الإسلام" بين أسباب ذاتية وأخرى موضوعية.

أما الذاتي منها فيتحدد في إثارة المشهد الجامعي والمجتمعي والسياسي رغبة في البحث، مما جعلني مهتما ومواكبا لجلّ النقاشات والحوارات حول المسألة الخطاب الديني، والرغبة في معرفة كل ما يتعلق

بالخطاب الديني من قريب أو بعيد، لا سيما بعد الضجة التي أحدثتها خلال السنوات الأخيرة ومطالبة الكثير بالتجديد والتغيير.

أما الأسباب الموضوعية وراء اختياري لهذا الموضوع؛ فإن الواقع الديني ودوره الإصلاحي من المواضيع المعاصرة المسيرة للأحداث والمظاهر الرائجة في المجتمعات العربية، ومواكبة للمشاهد السياسية والإعلامية، وهذا ما دفعني إلى الإسهام في ترسيخ صورة جديدة عن هذا الموضوع، وتقديم مادة موضوعية مُلمّة بأغلب جوانبها.

مشكلة البحث:

يعد الخطاب الديني أحد الركائز التي يعتمد عليها العمل الديني، ويتوقع لهذه الدراسة أن تجيب على الأسئلة الإشكالية الآتية:

١. هل الخطيب فقط هو المسؤول عن فاعلية نجاح الخطاب أم يشاركه الجمهور؟
٢. مدى توافق الخطاب الديني اليوم مع مبادئ الإسلام؟
٣. كيف يؤثر دور الخطاب الديني في تحريك صورة الإسلام في نظر العالم؟

منهجية البحث:

باعتبار أن المنهج هو الطريق المؤدي إلى الغرض المطلوب إلى هذا البحث على جملة من المناهج، أهمها المنهج التحليلي، والمنهج الاستقرائي.

وذلك أن الدراسة تقوم على استقراء التصور الديني من خلال السيرة النبوية الشريفة وتحليل ظواهر اجتماعية مختلفة سائدة في المجتمعات كما يتخلل هذان المنهجان المنهج النقدي من خلال التمهيص والنقد.

خطة البحث:

لقد استدعت طبيعة البحث وصورة إشكاليته السابقة تقسيم البحث إلى فصلين مسبقين بمدخل تمهيدي، أي فصل تمهيدي، عرضت فيه أهم المفاهيم المحورية في البحث (بيداغوجيا، الخطاب، الإسلام) والعناصر المكونة للخطاب الديني.

أما الفصل الأول من هذا البحث فحمل عنوان "تقنيات الخطابة"، وقد تضمن مبحثين: اهتم الأول بإبراز "جذور الخطابة"، وجاء المبحث الثاني بعنوان "الخطابة ما بعد النبوة"، بينت فيه أهم الخصائص والمرجعيات للخطابة في صدر الإسلام وذكر نموذج خطيب.

أما الفصل الثاني فجاء تحت عنوان "الخطاب الديني في مرتكزات الحداثة"، وقد بينت فيه صور الخطاب الحديث وأنواعه، وفيه مبحثان؛ أما المبحث الأول فهو مبين لـ "بيداغوجيا الخطاب الديني ودورها في مكافحة التطرف"، أما المبحث الثاني فحمل عنوان "تجديد الخطاب الديني"، وبينت فيه الضرورة الملحة لتجديد الخطابات الدينية، وأبرزت فيه أهم الضوابط لضمان فاعلية الخطاب.

ثم أنهيت العمل بخاتمة تضمنت أهم الاستنتاجات والتوصيات.مدخل تمهيدي: الجهاز المفاهيمي

(بيداغوجيا، الخطاب ، الإسلام)

المبحث الأول: دراسة المفاهيم

تباينت الأبحاث والدراسات حول تحديد مفهوم الخطاب مما جعل الباحث يتيه بين التصورات الفلسفية والأدبية والاجتماعية، وقد حوته العديد من العقول النظرية وعلم النفس واللسانيات والفلسفة وحقول أخرى، وجعلته ركنا رئيسيا ضمن مقرراتها واتخذته عناوين لفروع علمية مختلفة وقد استعمل الخطاب لصورة واسعة في تحليل النصوص الأدبية والنصوص غير أدبية. (نورية، الخطاب المسرحي في النقد الأدبي في الخليج العربي، ص ١٨٩)

عند البحث في المفهوم اللغوي للخطاب نجد مادة خطب (خ.ط.ب)، وهو الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام مخاطب، وخطابا وهما يتخاطبان، قال الليث: إن الخطبة مصدر الخطيب، لا يجوز إلا على وجه واحد، وهو أن الخطبة اسم للكلام، الذي يتكلم به فيوضع موضع المصدر. وفي التهذيب: الخطبة مثل الرسالة التي لها أول وآخر. (ابن منظور، لسان العرب، ص ٣٦١)

والخطاب في اللغة العربية متكون من طرفين ينتج عنه تفاعل وتأثر وهو نشاط تواصلي، وقد يتحاوران في شكل حديث حر، فيقال حينئذ بأنهما يتخاطبان، فيفهم أحدهما الآخر عن طريق البيئة وفصل الخطاب. (حجازي، مفهوم الخطاب في النظرية النقدية المعاصرة، مج ١٥، ص ١٢٤)

أما عن المدلول الاصطلاحي للخطاب في الثقافة العربية الإسلامية فهو متجذر حيث أن علماء الأصول كانوا سابقين في تبيين كلمة الخطاب عرفه الغزالي على أنه اسم مشترك قد يطلق على الألفاظ الدالة على ما في النفس، تقول سمعت كلام فلان وفصاحته، وقد يطلق على مدلول العبارات، وهي المعاني التي في النفس. (الغزالي، المستقصى من علم الأصول، ص ٦٤)

وعرفه الآمدي على أنه اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه. (الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ص ١٨)

من مميزات الخطاب أنه يتكون من متكلم ومستمع تدور بينهما حلقة من التفاعل والنقاش، والخطاب بفضل تمكّن الرسول محمد عليه الصلاة والسلام من تبليغ رسالته ومن مجادلة المخالفين له في الفكر والمعتقد والسلوك. حيث أن كلام الله هو من أكثر الخطابات الأشدّ وقعا وإقناعا على نفوس البشر، وتكررت عبارة الخطب والخطاب في القرآن كما في قوله تعالى (رب السموات والأرض وما بينهما الرحمان لا يملكون منه خطابا). (سورة النبأ، آية ٣٧)

تعددت التعريفات في الثقافة العربية وبين الثقافة الغربية ويمكن تلخيصها فهو نظام تعبير متقن ومضبوط وهو ليس إلا بناء فكري يحمل وجهة نظر وقد تمت صياغته وفق بناء محكم بفرض التأثير والإقناع، يجري بين المرسل ومتلقي ضمن عملية اتصالية مباشرة. (بدري الحربي، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص ٤٠)

المطلب الثاني: مفهوم البيداغوجيا

لا يمكن الحديث عن عملية تواصلية لها غايات تربوية وتعليمية وتنقيفية وتوعوية إلا أن نقف عند مفهوم أساسي وهو البيداغوجيا.

وتعني كلمة البيداغوجيا (la pédagogie) عامة تهذيب الطفل وتأديبه وتكوينه تأطيره والإحاطة به، وهي عملية المرافقة التعليمية، وأطلقت عليها فن التأديب أو نظرية التربية. ومن المعلوم أن كلمة البيداغوجيا إغريقية الأصل وكانت تدل على العبد الذي يرافق الطفل في تنقلاته وبخاصة من البيت إلى المدرسة، وهي جملة الأنشطة التعليمية التي تتم ممارستها من قبل المعلمين والمتعلمين.

وهي عملية في المجلد لها رابط لصيق بالمدرس والمعلم وتفتح إلى مجال أوسع خارجي كالإدارة والأسرة والمحيط التربوي، وهي نظرية تربوية تهتم بكل جوانب المتعلم السلوكية والتنقيفية والتعليمية وارتبط مفهوم البيداغوجيا بثلاث مرتكزات: المعلم والمتعلم والمعرفة المقدمة فما يعلمه المعلم من معارف ومعلومات ومضامين تدخل ضمن علاقة ديداكتيكية، أما ما يحصله المتعلم من معارف ومعلومات يدخل ضمن علاقات التعلم والجامع بين المرتكزات الثلاث يسمى بالفضاء البيداغوجي (محمد لبيب، مقدمة في فلسفة التربية، ص ٦). هذا الفضاء البيداغوجي يركز على فعل أساسي، فعل تهذيبي توعوي، تربوي، أخلاقي أهدافه نبيلة يرنو إلى تكوين ناشئة اجتماعية قيمة سليمة من الشوائب المجتمعية، خالية من الأمراض والعقد النفسية، خالية من دنس الجريمة والانحراف، تشارك في الحفاظ على القيم المجتمعية وعاداته وتقاليده تسعى لبناء أفراد يحترمون معنى المواطنة يتمتعون بحرياتهم وحقوقهم، يدركون واجباتهم تجاه الآخر والوطن.

فالتربية هي وسيلة لبناء المجتمعات وذلك لما ترتكز عليه من مبادئ كالحرية والعدل وتشجيع للمبادرات الفردية والجماعية تعطي مكانة هامة للنقاش والحوار، تبنى في عقول الناشئة أن النقد هو خطوة للبناء والتقدم ولما كان هدف التربية الأساسي هو تنمية الأفكار واستغلال الذكاء فمعنى هذا أن التربية تعمل من أجل الحرية الإنسانية. فالتأكيد على نمو الطفل إنما هو تأكيد على تحرير قدراته العقلية من قيودها وإتاحة الفرصة لها لإطلاق حتى تستطيع أن تستخدم بطريقة فعالة إمكانيات البيئة التي يعيش فيها ويصبح المجتمع الحر هو المجتمع الذي يشترك أفراداه أيضا في تطويره وتوجيه التغيير الاجتماعي الحادث له. (محمد لبيب، مقدمة في فلسفة التربية، ص ٦)

تحقق التربية العديد من الوظائف الجوهرية التي تصنع العقل الإنساني كالتعليم والثقافة وتطهر القلوب والضمائر من الخبائث والصراعات، وتهذب الأخلاق وتزكي الروح وتطور الفكر والعقل من قيود الأسطورة والخرافة والتقليد وتسمو بالإنسان نحو أفق الإنسان المثالي وفي هذا السياق ينتزل موضوع الرسالة بيداغوجيا الخطاب الديني في الإسلام ومنه دراسة النظرية التربوية والتوعية للخطاب وتتبعاته.

المطلب الثالث : مفهوم الإسلام

الإسلام هو دين الله تعالى والذي اختاره لعباده وجاء به كل الأنبياء والرسل من آدم عليه السلام إلى خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم، فكل الأنبياء اتحدت عقيدتهم على طاعة الله وحده رغم اختلاف الشرائع التي كانت تناسب كل الأزمنة والأمكنة. ولقوله تعالى (إن الدين عند الله الإسلام). (سورة آل عمران، الآية ١٩)

وحقيقة الإسلام هي الانقياد والتصديق المخلص لله تعالى ويظهر ذلك في توحيد الله وإخلاص في عبادته وحده لا شريك له وطاعة رسوله الكريم. يطلق الإسلام على الشريعة الختامية التي جاء بها النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم.

فجاء معنى الإسلام في لسان العرب على أنه الاستسلام والانقياد، يقال فلان متسلم الأمر أي مستسلم لأمر الله. (ابن منظور، لسان العرب، مادة ١٢، ص ٢٩٣).

وقيل أنه أسلم وصار مسلما. (القاموس المحيط ، ج ٤، ص ١٨٣).

أما الإسلام بالمعنى الاصطلاحي عرف بأنه الاستسلام لله لا غير بأن تكون العبادة والطاعة له وهو حقيقة لا إله إلا الله. (ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج ٥، ص ٢٣٩).

المبحث الثاني: عناصر الخطاب الديني

عندما ينسب الخطاب الديني في هذه الدراسة فالمقصود به الخطاب الديني الإسلامي أي خطاب المسلمين ، أفراد وجماعات والذي يتمثل في فهمهم للإسلام وقراءتهم لنصوصه ونطقهم لأفكاره ومفاهيمه وتعاليمه وآدابه وحكمه وتشريعاته.

يعد الخطاب من المفاهيم الفلسفية الخالصة فقد شهد تطورات في معناه ومفهومه وتغير في في أهميته ووظيفته واتخذ أبعاد إبستمولوجية مستقلة فهو الخطاب بوصفه مرتبطا بالإنسان ومؤسساته فلم يعد

طريقة للتعبير أو حديثاً مشوقاً أو مجموعة عمليات فكرية مترابطة أو تحليلاً لذات واعية تتأمل وتتعرف وتعبر وإنما أصبح إمكاناً وشرط وجود نظاماً وأصبح حقلاً تتمفصل فيه الذات ومجموعة علاقات تجد فيها مرتكزاً له. (العتوم، تحليل الخطاب في النقد العربي الحديث، ص ٧٥). وإذا كان معرفة الخطاب الديني من حيث الموضوع والمضمون ضروري في حياة الأفراد والمجتمعات فإن معرفة عناصر هذا الخطاب واجبة وبالتالي فمعرفة عناصر الخطاب أمر تفرضه غاية الخطاب ذاته.

العنصر الأول: المخاطب (المتحدث، الباث، المتكلم)

إن الحلقة الأساسية والمركزية في أي خطاب أو نقاش ومهما كان نوعه هو ذلك المتكلم فالمخاطب (الخطيب) له رسالة يريد تبليغها ولديه أفكار ومفاهيم يرغب في إيصالها إلى مستمعيه وهو يطمح دائماً إلى أن يبلغ رسالته على أفضل وجه ممكن كما يطمح إلى أن يتبنى أفكاره ومفاهيمه أكبر عدد ممكن من الناس. (عكار، المتحدث الجيد، مفاهيم وآليات، ص ٩٣)

الخطيب هو العنصر الأول الذي تركز عليه العملية التواصلية، وهو الطرف الأساسي والرئيسي وبعبارة أخرى هو النقطة التي تبدأ عندها عملية الاتصال عادة. (الصديقي، أبعاد العملية الاتصالية رؤية نظرية وعملية واقعية، ص ٢٦)

المخاطب في الخطاب الديني هو الخطيب القائم بالعملية الإبلالية وهو الذي يحمل على عاتقه مسؤولية نجاحها وهو المسؤول عن القبول والرفض لأنه هو الطرف الوحيد القادر على تحقيق الاختلاف والتغيير بالاعتماد على عدة أساليب وطرق... تمكنه من فرض انتباه الآخرين وتحقيق نتائج فعالة. ففي الدين الإسلامي يشترط الخطيب عدة شروط وأهمها ينبغي أن يكون عالماً بأحكام الخطبة والصلاة وشرائطها ومصحاتها، ومبطلاتها وجوابها، وكيفياتها وتكملاتها، ولا يشترط أن يكون عالماً مجتهداً مطلقاً ولا مقيداً، ولا أن يكون مفتياً في جميع الأحكام فإن ذلك من صفات الكمال لا من صفات الصحة والإبطال ولكن يجب على أولياء أمور المسلمين أن لا يقدموا إلا من يختارونه ويرتضونه لأن المصلحة راجعة إليهم في دينهم ودنياهم. (الدمشقي، كتاب أداب الخطيب، ص ٩١)

من الضرورات التي لا بد أن تتوفر في الخطيب من الضرورات التي لا بد أن تتوفر في الخطيب أن يكون عالماً بأمور الدين واللغة وأن يتسم بسعة حفظه لمحفوظات أدبية من نثب وشكر وكلام العرب من

أمثال والوصايا إضافة إلى حفظ القرآن والأحاديث النبوية، وكذلك الجرأة والشجاعة من الصفات الضرورية التي لا بد أن تتوفر في الخطيب فقد يتعرض لمواقف تجعله محل إحراج وتجعله يغير مجرى خطابه فعليه أن يكون شجاعاً فارضاً رأيه على سامعيه وعليه أن يكون مقبول المظهر حسن الملبس فكل ما يتصل بأناقة ورتابة المتكلم تعزز ثقته في نفسه وتولد لديه درجة عالية من الرضا عن الذات فقد سئل العديد من الشخصيات والمسؤولين والخطباء حول المنظر اللائق وتأثير اللباس، فأجمع الكل على أنهم عندما يكونون بمظهر لائق يشعرون بتأثير ذلك ومن الصعب شرح ذلك الشعور لأنه غير محدد رغم كونه حقيقة فقد منحهم الثقة بالنفس ورفع من تقديرهم الذاتي. (كارنجي، اكتساب الثقة فن الخطابة، ص ٢٦)

سعة العلم والثقافة والجرأة والشجاعة كلها من شروط التي لا بد أن تتوفر في الخطيب وهذا ما أكد عليه الإسلام، وذلك لما تتضمنه هذه الشروط من فاعلية وشجاعة وقدرة على إيصال الخطاب للناس وقدرته في التأثير والإقناع. فمهما كانت القضايا التي يطرحها ومهما كانت أهميتها فإن العامل الأساسي في نجاحه وتأثيره سيضل هو ما يملكه من معلومات ومعارف عميقة ودقيقة وشاملة حول الموضوع الذي يتحدث فيه ، فالناس لم يعودوا يؤمنون بالكلمات الأنيفة والعبارات الرنانة إذا لم ترتكز على معطيات علمية موثوقة وعلى معاني قوية ومتماسكة. (بكار، المتحدث الجيد مفاهيم وآليات، ص ٣٢)

العنصر الثاني: المتلقي (المستقبل، الباث)

وهو الشخص المعني بالأمر والذي توجه إليه الرسالة وهو عنصراً فعالاً في العملية الخطابية، إذ برود أفعاله يفهم بنجاحها أو فشلها، ولا تقاس نجاح عملية الاتصال بما يقدمه المرسل، ولمن بما يقوم به المستقبل سلوكياً، فالسلوك هو المظهر والدليل على نجاح الرسالة وتحقيق الهدف (الإعلام والاتصال بالجمهور، ص ٧٥). فالسلوك وردة الفعل سواء كانت بالحركة أو القول أو الفعل هي الدليل والحجة على نجاح الرسالة وتحقيق الغاية التي نشأ من أجلها الخطاب.

وهو الذي يهدف إليه الخطاب الديني فالكلمات والخطابات والرسائل ومختلف الدعايات والنشاطات التي يقوم بها أصحاب الخطاب كلها لها نفس الهدف وهي توجيه المسلمين ومحاولة التأثير عليهم وعلى سلوكياتهم داخل المجتمع هذا من ناحية ومن ناحية أخرى حاجة المتلقي إلى خطابات يسمعونها فحين يذهبون إلى صلاة الجمعة فإنهم لا يهدفون إلى أداء فريضة فحسب بل يتمنون أن يسمعون شيء ينفعهم.

العنصر الثالث: مخاطب به (المضمون)

وهي نسيج من الكلام من الكلام المنطوق، والذي يحمل مضمونا ورسالة معينة يهدف الخطيب إلى إيصاله للمتلقي في شكل وحلة معينة وبصيغة خاصة من الرموز والكلمات. والمقصود به الخطاب أو الرسالة أو المحاضرة أو النشاطات التي يقدمها الخطيب، أي محتوى ومضمون الخطاب. فمن المهم أن ينظر إلى الكلام الذي يوجه للناس (المخاطب به) على أنه وسيلة اتصال وامتزاج وتأثير وليس وسيلة بلاغ وبيان فحسب وحين ينظر إلى أحاديث الناس على أنها جزء من عملية اتصال لها طرفان فإن قيمة الاستماع للآخرين تساوي حينئذ قيمة الحديث إليهم . (حمادي، الخطاب الشرعي وطرق استثماره، ص ١٧٥)

العنصر الرابع: الزمان والمكان

لا يمكن أن يكون الخطاب الديني خارج عن الزمان والمكان الذي يلقي فيه، وألا يكون خطابا خياليا مجردا عن الواقع أو مثاليا لدرجة يتجاوز محدودية البشر . فالقرآن الكريم أكد على أن يكون الخطاب الديني يراعي المكان والزمان، يراعي خصوصية البشر في كل مكان بسبب ظروفهم وبيئتهم فكان القرآن مكيًا ومدنيًا ومنه قوله تعالى (وقرآن فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً). (سورة الإسراء، الآية ١٠٦) فالغاية الأساسية من تنزيل القرآن مفردًا سد حاجة اللحظة الزمنية وتفسير ما يصعب على الناس، ويسائر قضايا الأمة، فالخطاب يكون حسب الزمان الذي يدعو إليه والمكان الذي يعيش فيه حسب قضايا التي تظهر وتستجد على المجتمع فليس الخطاب الديني الذي يطلق زمن الركود والرقود، فالخطاب الذي يصدر في عهد اليقظة والنهوض لا يصح أن يكون الخطاب أيام الاستضعاف والهوان ، كالخطاب أيام الاستعلاء ولا الخطاب حال العزة والتمكين كالخطاب في حال الانهزام والتبعية، ولا الخطاب في زمن الصحة كالخطاب زمن الغفلة ولكن لكل حالة خطاب يناسبها ويسد ثغورها. (عبد الرحمان، دعوة الجماهير :مكونات الخطاب ووسائل التجديد، ص ٢٩)

لا بد أن يراعي الخطاب مستجدات العصر وما يواجهه من مشاكل وتحديات فلا يمكن أن يتقدم اليوم إلى المسلمين بفتاوي وخطابات لا تتماشى مع العقل المعاصر فلا يمكن في عصر التطور والتقدم والتحضر أن نتحدث قصص وتواريخ سبقها الزمن.

فمشكلة الخطاب الديني أنه لم يصل إلى مرحلة من التطور ليستطيع معها مخاطبة عقلية الغرب بلغة يستطيع الغرب أن يفهمها بعيدا عن أسلوب الوعظ والترغيب والترهيب ولا يستطيع أن ينقل أفكارها وفقها وتراثا ولاهوتا يؤثر في الذهنية الغربية ويزيل الفكر النمطي السائد حاليا عن الشعوب العربية. (خليفة، الإسلام وتطوير الخطاب الديني، ص ٢٢)

الفصل الأول: تقنيات الخطاب الديني

المبحث الأول: جذور الخطابة الدينية

لئن ضربت الخطابة في أعماق التاريخ البشري فأنها تعود إلى العهود الأولى وهي ضرورة ملحة للبشرية ولا يمكنهم التقويت فيها ولا الاستغناء عنها باعتبارها وسيلة من وسائل الارتباط بالغير والاتصال والتواصل معه وقد وجدت مع وجود الإنسان على المعمورة. فاللسان البشري خلق على علم البيان قال تعالى (خلق الإنسان علمه البيان) (سورة الرحمن، الآية ٢-١).

أي علمه عز وجل كيف ينطق ويتواصل ويفهم ويدرك ويتواصل مع الآخرين، حيث أن الأنبياء والرسول أول من تجسد عندهم علم البيان كان لهم المقام الأول الوفير في سبيل الدعوة وإرشاد الناس وكانت آثار خطاباتهم محفورة في ذاكرة الشعوب على مر التاريخ.

نشأ فن الخطابة عند المصريين القدامى وعرفته الحضارة اليونانية والرومانية ليكون لهما دور هام في تطوير وتنظيم هذا الفن. حتى أن أثينا تحولت إلى مركز فني وفكري نشطت فيه التمثيليات والفنون الأدبية ومنها الخطابة كما أن نظام اليونان السياسي شجع عليها. هذا الفن نشأ فطريا بين الناس، استدعته حاجيات الطبيعة البشرية، فالإنسان مدني بطبعه، يميل إلى التعامل مع الآخر وكان الخطاب أولى الوسائل التواصلية بها تتم عملية التأثير والتأثير. ولا يسعنا إلا أن نقدم الخطابة العربية الإسلامية والتي هي محور الرسالة بداية من العهد الجاهلي الذي ظهرت فيه عديد الفنون والمتعارف عن العرب آنذاك حبهم للغتهم والتي صنعوا منها فنا ولعلهم القوية على الحديث وصياغة الكلام ترجع إلى اللغة العربية وما تحتويه من نغم ونبر تنير المتكلم والسامع وتبعث الخطيب على الاستمرار في حديثه والارتجال، ومواجهة الموضوع دون إعداد مسبق بلسان بليغ وحكمة صائبة. (فرسان المنابر، ج ١، ص ٢١).

تطور فن الخطابة عند العرب لقدرتهم الخارقة في تنسيق الكلام لأن لغة الضاد ذات مقومات ثرية تطرب السامع وتثيره قوة البلاغة والفصاحة والقدرة على الارتجال سمة العربي قديما ومن عاداتهم إلقاء الخطب وما يتبعها من تفاصيل تأثيرية كحركات اليد وتفاصيل الوجه وانفعالات الجسد مثل نزول القرآن نقلة شاملة لحياة العرب فقد جاء نور الإسلام حاملا مفاهيم وتصورات جديده ومثل عليا مغايرة تماما لما عاشته الإنسانية من قبل، فالإسلام صوب نظرهم نحو عالم جديد يضم شمل الإنسانية، يصوب العقول ويهديها نحو الرشد والصلاح .

ارتكز الخطاب الديني الإسلامي على بيداغوجيا ومقومات غيرت حياة الجاهلية، فاستطاع أن يجمع شمل المسلمين ويذهب عاداتهم ويقوم طبائعهم ويخلق لهم مثل جديدة تأخذ بيديهم من هذه الوثنية المظلمة. (الشرقاوي، الفكر الديني في مواجهة العصر، ص ١٠٤)

عمل التصور الإسلامي على تنظيم العلاقات بين البشر، ومع خالقهم، ومع بعضهم البعض. فاتصل الإسلام اتصالا وثيقا بحياة الإنسان العملية وتبرز أهمية هذا التصور فيما أحدثه من انقلاب جذري في حياة العرب، فلما كان مبدأ كل انقلاب عظيم في أية أمة إنما هو دعوة دينية أو سياسية، فبعد أن عاش العرب أحوال الجاهلية في درجة كبيرة من التفكك لكثرة النزاعات والمشاحنات جاء خطاب الله عز وجل إلى عباده بلسان نبيه ورسوله محمد مبشرا ونذيرا لخلق الله داعي إلى التعامل بالحسنى والصدق وإقامة العدل، واجتتاب المعاصي والمحرمات وسفك الدماء وتطهير النفس بالأخلاق الفاضلة والشيم الرفيعة. (دارقي، المستصفي في الأدب الإسلامي، ص ٣)

المطلب الأول: فن الخطابة في الثقافة العربية الإسلامية

كان ظهور الإسلام وبعثة الرسول هو الأمر العظيم والهام الذي أثار فن الخطابة فتفنن فيه الخطباء وأبدعوا وأظهروا سحر بينها أكثر مما كانت عليه في الجاهلية فلم يشهد التاريخ بحدث أعظم أثرا وأرقى قيم من ظهور دين الإسلام. ففيه يجد الخطيب والمتكلم دعامة أساسية ففيه يستشعر الموعظة والحكمة وفيه يتعلم العقيدة الصحيحة ويكتسب أساليب الدعوة والمنهج السليم.

نزل القرآن بتراكيب قوية وأساليب متينة ومعاني هادفة ورغم تمكن العرب في هذا المجال إلا أن قدرة الخالق كانت أعظم فبالإضافة إلى الفصاحة والكلام البهي الذي تميل إليه النفوس فإن إضفاء صفة الترغيب والموعظة حققت آثار كثيرة نفسية وأخلاقية واجتماعية.

بيداغوجيا الخطاب الديني في صدر الإسلام لعبت دورا فعالا في إضفاء سمة مميزة للخطابة فقد أزلت صفة الوحشية والعنف عند العرب، فهدبت أخلاقهم وروضت ألسنتهم ولينت قلوبهم وأحاسيسهم وذلك لما يتضمنه الخطاب من رفعة في المعاني وسموها، فكلام الإسلاميين من العرب أعلى طبقة في البلاغة من كلام الجاهلية في منثورهم ومنظومهم فإننا نجد شعر حسان بن ثابت وعمر بن أبي ربيعة والحطيئة وجريير ثم كلام السلف من العرب في الدولة الأموية، وصدر الدولة العباسية وفي خطبهم وتراسلهم ومحاوراتهم للملوك أرفع طبقة من كلام الجاهلية في منثورهم ومحاوراتهم. (ابن خلدون، المقدمة، ص ٤٢٠)

في فترة النبوة المتأمل في السيرة النبوية يجدها حافلة بتقنيات وأساليب وبيداغوجيا منظمة يلتمس فيها الجهد الكبير الذي سخره النبي الكريم لإعلاء كلمة الحق وفي ثراء مضامين خطاباته التوعوية والإرشادية. ولقد حفظ التاريخ أولى المواقف في الخطابة الدينية الإسلامية محمد صلى الله عليه وسلم حين نزل قوله تعالى (فأصعد بما تؤمر وأعرض عن المشركين) (سورة الحجر، الآية ٩٩)، فدعا وخاطب صلى الله عليه وسلم قومه وهو على الصفا فقال: أرايتم لو أخبرتكم أن خيلت بالوادي تريد أن تغير عليكم، أنتم مصدقي؟ قالو: نعم ما جربنا عليك كذبا، فقال فإني نذير لكم ثم دخل الناس في الإسلام بدءا بالمقربين منه، ثم أمره الله عز وجل أن يدعو الناس أجمع إلى هذا الدين، فظهر للعلن ودعا لوحداية الله وعدم الشرك به أحدا فواجه ما واجه من تعنت أهل قريش وأسيادها. ولما نزل قوله تعالى (وقل إني أنا النذير المبين) (سورة الشعراء، الآية ١٧٨). جمع أهله من التبعية وخاطبهم قائلا: إن الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتهم، ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم والله الذي لا إله إلا هو أني لرسول الله إليكن خاصة وإلى الناس كافة والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعلمون، ولتجزون بالإحسان إحسانا، وبالسوء سوءا، وإنها لجنة أبدا، أو نار أبدا. (محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب، ص ٢٤)

إن من سنن الله وحكمته أنه خلق طبائع البشر مائلة إلى حب الشهوات والرغبات من حب المال والذهب والأمل، فلما خلقت البشرية على هذا الحال احتاجت إلى موجه ومقوم وداعية يردّها إلى طريق

الحق ويوجهها إلى الغاية التي خلقت من أجلها وهي حسن الاستخلاف وعبادة الله عز وجل، ولهذا بعث الأنبياء عليهم السلام بالترغيب والترهيب والوعظ والإرشاد والتشجيع والزجر فكانوا رسل مبشرين منذرين. فبالوعظ خاطب الرسول الكريم وبالوعظ خاطب الجهال والكافرين وبالوعظ خاطب الأتقياء، وهكذا كان نبيا واعظا مرشدا، فكانت خطاباته وأقواله وكلماته تذكيرا وتنبيها وتوجيها ويرشد العقول ويهذب النفوس ويثقف الفكر وينور المدار ويصحح المعتقدات، يبين الأسرار من العبادات. لقد ترك النبي الهاشمي خير ميراث زاخرا بالعلم والحكمة ومن اتبع منهجه فهو في مأمن من الزيغ والضلال.

وتعني الموعظة في اللغة مصدر الفعل وعظ. (ابن منظور، لسان العرب، مادة الوعظ، ص ٢٦٠) وكذا فإن المصطلح القرآني "الموعظة الحسنة" يعرف بأنه النصيحة الهادفة إلى الخير الداعية إليه والدالة عليه. وهي المقالة المشتملة على الموعظة الحسنة التي يستحسنها السامع وتكون في نفسها حسنة باعتبار انتفاع السامع بها وقيل هي الحجج الإقناعية الموجبة للتصديق بمقترحات مقبولة. (أحمد، الخطاب الوعظي النبوي، ص ١٤)

وجاء في وصف خطابات الرسول على أنه هو الكلام قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه ونزه عن التكلف واستعمل المبسوط في موقع البسط والمقصود في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي. فلم ينطق إلا عن ميراث حكمه ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالمعصية وشد بالتأييد ويسر بالتوفيق وهو الكلام الذي ألقى عليه المحبة وغشاه بالقبول وجمع له ما بين المهابة والحلاوة وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته لم يسقط له كلمة ولا زالت به قدم ولا بارت له حجة ولا أفحمه خطيب. (ابن الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٢، ص ١٧)

ظهر في جميع خطب الرسول قدرته الفائقة على زرع الثقة في الجمهور لتلقي الخطاب وذلك لما يحمله من مؤهلات في مقدمتها الصدق ، فقد كان معروفا بالصدق والأمانة حتى قالوا في خطبة الصفا ما جربنا عليك كذبا، كان صلى الله عليه وسلم يتحلى بسجايا الحق وعلى علم التعرف بما يدعو إليه وبما في مجتمعه من قيم وأفكار وتصورات فاسدة وماله من عادات وأعراف سيئة وما عنده من أخلاق فاضلة وهذه الدراية بما يدعو إليه وما عنده من جمهور وما عنده من مؤهلات تكسبه ثقة المتلقي حيث يظهر حرصه واهتمامه على مصلحة المتلقي ويظهر أسلوبه في أسلوبه الحوارية حيث يناديهم ويدعوهم لانتقاد أنفسهم.

إضافة إلى ذلك سلامة المنهج ووضوحية الأفكار مع براعة في الاستهلال، فالمتتبع لبداية خطب الرسول عليه الصلاة والسلام بدءا من الصفا إلى خطبة الوداع يتبين مدخل الجاذبية والجمال وذلك أن الإحساس بالجمال أمر مغروس في فطرة الإنسان وتحريك هذا الإحساس إنما يكون ببلاغة القول وحسن البيان الذي تقدم فيه الحقائق في وعاء جميل وشكل جذاب. والتصور الإسلامي يستمد هذا المدخل من الهدى الإلهي الذي يسير في ضل الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم إذ العقل والفطرة الإنسانية لا يبلغان مبلغه في ضلعي البيان والمنطق مادام في لسان الدهر حرف العربية. (الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ٢٥٨)

فالنبي الخطيب يتحرى الوقت المناسب للصدع بالحقيقة وهو أسلوب فعال في عملية الإقناع والتأثير ففي خطبة الصفا كشف لمجتمع قريش بالبشارة ويوم الفتح فتح مكة هو يوم دف النظام الجاهلي. وفي حجة الوداع هو يوم الإعلان عن حقوق الإنسان وحرمة النفس البشرية، مراعاة الوقت وظروف المكان والوضع النفسي للمتلقي أمر مهم في تبليغ الرسالة. زيادة على تشريك الجمهور أمر يجذب الانتباه ويجعل المتلقي يقبل سماع كامل مضمون الرسالة وفيه ملازمة للعقل والوجدان. فالحوار المفتوح يفجر خفايا الطاقات العقلية والإبداعية ويحقق التوازن والاتفاق والتألف والانسجام بين أفراد المجتمع فالحوار المفتوح تسمى فيه الأشياء بمسمياتها وتقال الحقيقة كاملة وتورد حجج الفريقين، لقد تعلم الرسول هذا الأسلوب من القرآن الكريم وطبقه بفاعلية في حركة البلاغ المبين بالدعوة الإسلامية لبث الحقائق والمعلومات والآراء بين الناس.

تعددت أساليب ومناهج الرسول في مضامين خطابات فتارة يحول انتباه المسلمين إلى القوة الحقيقية وهي قوة الإيمان وذلك لرفع الروح المعنوية وتقوية شخصية الجسد المسلم هذا ما اعتمده في غزوة بدر وتارة أخرى بحول تركيز المسلمين من المعركة مع الأعداء إلى الانتصار على النفس والجعد فيها كما صار في غزوة تبوك. الخطاب النبوي يخاطب عقل الإنسان بما له من قوة إدراكية وتمييز بين الخير والشر والحق والباطل والمصلحة والمفسدة ويخاطب الوجدان ويلامس الروح باعتبارها وعاء للإحساس والمشاعر، يخاطب إرادة الإنسان الحرة حيث كان شديد الحرص أن يكون الخطاب مناسب لعامة الناس مراعيًا تفاوت قدرات العقل والإدراك والفهم، فأخلاقه الفاضلة صلى الله عليه وسلم هي التي دعمت مشروعه التوحيدي كما جاء في كتابه العزيز (وإنك لعلی خلق عظیم) (سورة القلم، الآية ٤)، صداقا عدلا في قوله للقريب والبعيد للصديق والعدو رفيقا رحيمًا حتى مع الكفار، يدعو الناس بأحب الأسماء إليهم فلم يكن داعيًا للأخلاق فقط

بل كان عاملا بها يدعو الناس إليه من معتقدات وأفكار وتوجهات فكان أول فكان أول المطبقين فسيرته وغزواته ومعاملاته تشهد بهذا.

المطلب الثاني: خطبة الوداع أنموذجاً

الخطاب الديني الإسلامي يعتبر أسمى أنواع الخطابات لما تعالجه من إصلاح في مختلف الميادين التعبدية والأخلاقية والتعاملية ولأهمية خطبة الجمعة والأعياد ألزم الرسول الحضور بالاستماع والإنصات وأعتبر من لغى وألهى نفسه بالحديث يوم الجمعة فلا جمعة ولا أجر له، حتى فهم المسلمين المبتغى من خطبة الجمعة وأصبح يومها يوم مميز عن سائر الأيام ، اعتمد الرسول صلى الله عليه وسلم نظام الشورى الذي يقر بسيادة النقاش والحوار بين أصحابه وأهل بيته والمسلمين عامة حتى أن خطاباته لاقت إقبالا وشغفا من طرف المسلمين وبقيت بعض الأسطر والكلمات محفورة في ذاكرة المسلمين وفي هذا السياق نصيغ مثال خطبة الوداع لثراء وحكمة بيداغوجيتها ومدى أثارها على نفوس المسلمين.

انتهت خطب الرسول صلى الله عليه وسلم بانتهاء مهمة الدينية فكانت خطبة حجة الوداع والتي عرفت بحجة البلاغ، وحجة الإسلام؛ لأنه بلغ الناس شرع الله في الحج قولاً وعلماً ، فألقيت خطبة الوداع يوم عرفة الموافق للتاسع من ذي الحجة من السنة العاشرة فوق جبل الرحمة. أنزلت فيها الآية الكريمة(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) (سورة المائدة، الآية: ٣)، خطبة الوداع كانت لقاء بين أمة ورسولها، لقاء توصية ووداع، لخص فيها أحكام الدين ومقاصده المركزية ،خاطب أحبته وأصحابه والأجيال من بعده، خاطب البشرية عامة . خاطب الأجيال والتاريخ بعد أن أنهى أداء الأمانة، خدم الأمة ونصح وجاهد في دعوته صلى الله عليه وسلم ثلاثة وعشرون عاماً. يومها أنصتت كل الدنيا لسماعه. كان في خطابه يلمح بالرحيل بعد أن غرس الأرض والبشرية والقلوب والعقول بغرس الإيمان وروح الإسلام وبدأ يلخص رسالته ومبادئه في كلمات معدودات، أكد في بنوده على حرمة النفس البشرية وتحريم الاعتداء عليها حرم كل الأفعال التي كان يفعلها أهل الجاهلية كالربا وسفك الدماء والتفاخر بالفوارق الاجتماعية. حرم التلاعب بالأشهر الحرام. أكد على حسن معاملة المرأة وحرمة ظلمها والاعتداء عليها. أوصى بإتباع كتاب الله وسنته الشريفة كانت وصياه كلها في خدمة الإنسانية والارتقاء بها نحو البلوغ الحضاري.

المبحث الثاني: فترة ما بعد النبوة

لقد حققت المدرسة النبوية نقلة نوعية في تطور الخطابة وازدهارها وكان من بعدها اهتمام الخلفاء الراشدين، إذ كانوا مبدعين ونوابغ فيها، حيث كانوا يهتموا بكل من اهتم بمجال الخطابة لأنهم كانوا في أمس الحاجة إليها وذلك لشد الهمم ونشر تعاليم الإسلام وإخماد أي الفتن. ثم جاء العصر الأموي بعد انتهاء عهد الخلفاء الراشدين الأربعة فعرفت شأنًا عظيمًا حتى سمي بها العصر بالعصر الذهبي للخطابة. إذ كل الأحداث السياسية التي حفل بها هذا العصر تأثرت بها حياة الفن الخطابي، بالإضافة إلى المؤثرات الدينية. (محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب، ص ٣١)

ظهر الإسلام مثل انتقالا وانقلابا دينيا واجتماعيا وسياسيا ودعوة الدين الإسلامي كانت من أهم أهداف الخطابة حيث أثر الصعيد الديني فقضى على الوثنية وقرر التوحيد المطلق لله في الذات والصفات والتوجه له بالعبادة وعلى صعيد الروحي عزز الإسلام صفات العرب من شجاعة وكرم وجعلها عبادات لوجه الله العظيم. كما نظم المجال الاقتصادي كالاعتراف بمواهب الفرد وحقه المقدس في ثمار عمله وكفاحه. كان العصر الإسلامي عصر نهضة وتطور على جميع المستويات، أثرت في الفنون الكلامية والأدبية فكانت الخطابة والشعر عمادا للنهضة الدينية شكلا ومضمونا. فقد تشبعت موضوعات الخطابة وتطورت إلى خطب سياسية وحرية وأخرى تحث على الجهاد لنشر تعاليم الإسلام وأخرى خطب الجمعة والأعياد. فقد ساهم النظام الديمقراطي في صدر الإسلام على ازدهار الخطابات وفتح المجال أمام من شاء اعتلاء منصة الخطابة وأفصح عن آرائه ومواقفه. ضف أعلى ذلك نظام الشورى الذي ساد في ذلك العصر وهو ما ورثوه من النبي الكريم.

المطلب الأول: خصائص الخطابة عند الخلفاء

ازدهرت الخطابة حيث شكلت خطابات النبي مدرسة في الخطابة وبلغت ذروتها في عهد الخلفاء الراشدين فلم تقتصر على أيام الجمعة بل أصبحت في أي وقت واكتسبت تقنيات وأساليب مما أكسبها قدرة كبيرة في التأثير والإقناع.

وقد كتبت عديد الكتب الأدبية في تأثير العظيم للإسلام من ناحية عمق الفكر وتحليل الأحداث ودراسة النتائج ومن ناحية الأسلوب، فتحدثوا عن خصائص الفكرية والفنية للخطاب فقليل إنها فيه سبعة

خصائص منها افتتاحها بالحمد لله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله واختتامها بالدعاء والاستغفار ومحاولة محاكاتها أسلوب القول وإقامة الحجة والاقتباس منه وتجنب السجع إلا ما جاء عفوا دون تكلف وعذوبة ألفاظها ومتانة أساليبها، وقوة تأثيرها وغزارة معانيها وتراكب جملها ووحدرة موضوعاتها وسمو أغراضها واشتمالها في العصر الأموي على عبارات التهديد والوعيد والألفاظ الغريبة أحيانا مع قوة اللفظ وغزارة في المعنى وترتيب للأفكار وتأثير بمعاني القرآن وتنوعها بين الإيجاز والإطناب بحسب ما يقتضيه الحال. (عكاوي، الموجز في الكتاب العربي، ج ٢، ص ٥٥)

تميزت الخطابة في صدر الإسلام بخصائص فريدة وأهمها:

— سهولة عباراتها ورقة وصفاء ألفاظها.

— ترتيب الألفاظ ووضوح التراكيب مع جريان القول في نسق متصل وذلك أنها تشبعت بالنسق القرآني.

— استخدام الألفاظ القليلة لتأدية معاني كثيرة.

— تتميز بترتيب أفكارها والتحامها حتى كأنها قطعة واحدة وذلك على خلاف خطب الجاهلية التي جاءت منفصلة غير مرتبة.

— إضفاء المعاني الروحية على الخطاب الديني الإسلامي والاهتمام بالجانب الروحي والنفسي.

— تجدد الأفكار والمواضيع مع تحديد المعاني وبذلك يختصر الخطيب مسافات بعيدة من الفحص اليقظ والتتبع الدائب ليقدم خلاصتها الموجزة مركزة في عدة نقاط متقاربة. (العماري، التاريخ الأدبي للعصرين الجاهلي والإسلامي، ص ١٠٢)

المطلب الثاني: الخطيب أبي بكر الصديق.

وفي هذا السياق نسوق أهم شخصية قامت بدور الخطيب المثالي بعد وفاة النبي، صلى الله عليه وسلم، هي شخصية أبي بكر الصديق، وهو (عبد الله ابن أبي قحافة) ولد بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر، وهو من السابقين إلى الإسلام وأول الخلفاء الراشدين والد عائشة، رضي الله عنها، زوجة النبي عليه السلام، حارب أهل الردة، وهزم مسيلمة الكذاب، توفي في المدينة ودفن بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم. (الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص ١٠٧)

فلما انتقل الرسول الكريم للرفيق الأعلى صار الناس في حيرة عظيمة وأصابهم ذهول كبير إذ لم يتوقعوا وفاته صلى الله عليه وسلم حيث كان أبو بكر الصديق رضي الله غائباً عن البيت فلما سمع الخبر قدم على فرس له حتى نزل المسجد ثم ببيت عائشة رضي الله عنها وأقبل على الرسول وكشف عن وجهه الكريم وتأمله في تأثر واضح وشديد ثم خرج إلى المسجد والناس في صدمتهم وسكونهم فخطب خطبة قال فيها ما يلي: "أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، وأشهد أن الكتاب كما نزل، وأن الدين كما شرع، وأن الحديث كما حدث، وأن القول كما قال، وأن الله هو الحق المبين؛ ثم قال: أيها الناس، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت". (عطية، أصول الخطابة والإنسان، ص ١٢)

خاطب أبو بكر الصحابة بحكمة فائقة، وهذا ما تعلمه من النبي، فنبههم إلى أن محمداً بشر يصيبه ما يصيب البشر من العوارض، وأن الموت حقيقة وجودية ونهاية لكل شيء حي، وبين للناس أن الدين لله وهو باقي بقاء الإنسانية، وبين للناس أن الرسول لم يتركهم في ضياع وإنما ترك لهم طريقاً منيراً كتاب الله وسنته، فحكّمته رضي الله عنه كانت في سد الطريق أمام كل من يتربص في أحداث التفرقة بين المسلمين، وهذه الحكمة وحسن التصرف اكتسبها من الرسول صلى الله عليه وسلم

تميزت خطابات أبي بكر بخصائص فنية ومضمونية رائعة وكيف لا تكون رائعة وهو من أصحاب الرسول، وكانت خطاباته قصيرة باعتبار الموقف فهو موقف فقدان الرسول عليه الصلاة والسلام وليس موقف مباهاة بالقدرات وبالفصاحة والبلاغة والبيان فأحسن اختيار موضوعات مناسبة لمقام المسلمين توافق موقف الحيرة هذا إلى جانب ما نراه من قوة الحجة والبرهان وسرعة العارضة وحرارة القول مما ترك تأثيره الحقيقي في نفوس من استمع خطابه. (عطية، أصول الخطابة والإنسان، ص ١٢)

فقد ساهم النظام الديمقراطي في صدر الإسلام على ازدهار الخطابات وفتح المجال أمام من شاء اعتلاء منصة الخطابة وأفصح عن آرائه ومواقفه. ضف إلى ذلك نظام الشورى الذي ساد في ذلك العصر وهو ما ورثوه من النبي الكريم.

إن الخطابة عرفت أوج نضجها مع الأمويين ثم تراجعت فاعليتها ودورها مع العهد العباسي حتى أن مستوى الخطاب الديني بدأ بالضعف وذلك لتأثره بعدة أسباب منها ما هو سياسي المتمثلة في النزاعات

السياسية ودخول شعوب أخرى أعجمية إلى أن انعكس سلبا على البلاد العربية فنشأت لهجات عامية أخرى إلى أن ضعفت ملكة الفهم والاستيعاب.

لقد عرف المؤرخون في التاريخ السياسي للأمة العربية عصرا من التأخر والانحلال منذ أواخر العصر العباسي، فقد توالى عليهم أحداث كيرة مليئة بالنزاعات والانقلابات التي انعكست على قرائح الخطاب ومواهبهم فسيطر الذل على النفوس وجمدت القرائح، وفسدت ملكة اللسان، وهذا كله كان له تأثيره الحتمي في تطور المجتمع العربي. (الشرقاوي، الفكر الديني في مواجهة العصر، ص ٤٦)

الفصل الثاني: الخطاب الديني في مرتكزات الحداثة

عرف عالم الإعلام المرئي والمسموع قفزة نوعية من خلال ما تقدمه حيث تطور في أساليبه ووسائله، وتزامن تطوره بتطور المجتمعات البشرية حتى أصبح يحتل جزءا كبيرا من بيوت وحياة الأفراد وكان لها أثر كبير في تحويل العالم إلى قرية صغيرة وجعل الكرة الأرضية أزقة يعرف من يتواجد في أقصاها ما يجري لصاحبه في أدناه، فالإنسان اليوم يعيش بما يعرف بالثورة الإعلامية ، فالיום أصبحت وسائل الإعلام والاتصال وسائل فعالة ولها دور كبير في خدمة المجتمعات المعاصرة فلم يبق دورها منحصر في النقل الفوري للأخبار وجمع المعلومات ونشرها وتخزينها بل تجاوزت ذلك لتصل إلى صنع الأحداث وتكوين الرأي العام وتكوين موقف الأفراد والجماعات السياسية والاجتماعية والفكرية فهو سلطة نافذة لها قدرات كبيرة على التحرك وبناء المشاهد والمواقف (عشراتي، الخطاب السياسي والخطاب الإعلامي في الجزائر، ص ٢٣).

فهو يعد قوة تأثيرية فهو سلاح ذو حدين أما الأول فهو إيجابي إذا أثبتت التجارب أنه مصدر إحداث اليقظة ووسيلة التنوير وعدة الوعي، أما الثاني فهو سلبي إذ أنه بثقة كل شر كلما استولى عليه الأشرار في خدمة مصالحهم وأغراضهم دون مراعاة الغير (عشراتي، الخطاب السياسي والخطاب الإعلامي في الجزائر، ص ٢٣).

ولا يخفى على الجميع دور وسائل الإعلام الحديثة بصفة عامة في نشر رسالة التوحيد فهي تدخل كل بيت في كل أرجاء العالم ويسرت وصول الدعوة في الخطابات الدينية الموجهة لغير المسلمين وفي الوقت نفسه سهلت ويسرت للغرب في نشر دياناتهم وأفكارهم وهنا تتحدد مسؤولية القائمين على المجال الدعوى من

توعية المسلمين بضرورة الوعي والتمسك بالدين الإسلامي حيث تنامي وارتفع الشعور بضرورة استعمال وسائل الاتصال والتواصل الحديثة في مجال بث الخطابات الدينية وذلك في إطار التبليغ والإقناع والتأثير. فما واقع الخطاب الديني في وسائل الاتصال الحديثة؟ وما هي أهم أنواع الخطاب الحديث، وصوره؟ مر العالم بأحداث وصور عالمية غامضة غير أنظمتها وحساباتها وجعلت الكثير من الدول تعيد حساباتها خاصة حادث الإرهابي في ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وأحداث الثورات والانتفاضات العربية من ٢٠١٠ إلى اليوم في أغلب البلدان العربية بدءا من تونس وليبيا ومصر وسوريا وكل ما تبعها من عمليات تخريبية وعمليات تحريض لقتل الأمنيين ورجال الدولة والإرهاب والجهاد وما تبعه من أعمال تخريبية والتي لا زال العالم يعانيها إلى اليوم، وما نتج عنه من تفسير آلاف الشباب للجهاد في سوريا واليمن وغيرها من البلدان. وفي ظل الانعراجات الخطيرة تعددت أنواع الخطابات الإسلامية وخاصة العربية معبرة عن آراء أصحابها وممثلة لمختلف التيارات والانتماءات فالمتمائل للخطاب الإسلامي يمكنه أن يلاحظ أنواع الخطابات والتي يمكن استخلاصها كالاتي:

خطاب الوسطية الإسلامية: والذي تمثله مدرسة الإحياء والتجديد والجمع بين الأصالة والمعاصرة ومواجهة تحديات وأخطار العولمة التي يعيشها المجتمع الإسلامي

خطاب التيارات الصوفية: والذي يركز على التجارب الروحية وكلام القلوب والتأملات ويصدر عن فرق متعددة ويشوب هذا الخطاب ويفقده فاعلية ونجاعته شوائب من الدروشة والانحرافات.

الخطاب السلفي: وما يصدر في بعض البيئات التي تلتزم بمذهب معين لا يحيدون عنه أبدا بدعوة الحق والثبات، خطاب الرفض والاحتجاج والعنف وتمثله نسبة ضئيلة من الناس وأكثرهم من الشباب المغرر بهم من العاطلين والمحبطين في حياتهم، ومعظمهم متحمسون ومن ذوي ثقافة سطحية في الشريعة الإسلامية ويخضون فيها بداعي العاطفة والحماس الزائد. (عمارة، الخطاب الديني بين التجديد والتبديد الأمريكي، ص ٢٥)

الخطاب الديني اليوم متاح للجميع نتيجة تطور الحياة، فهو صور متعددة بين مقروء ومسموع ومرئي، وتتمثل في خطبة الجمعة والوعظ والإرشاد والصحف والمجالات الشرعية والكتب العلمية بالإضافة إلى الأشرطة الدينية والأقراص والقنوات المسموعة والإذاعية والمرئية كالتلفزيون لما تقدمه من برامج دينية

والشركة الدولية للمعلومات "الإنترنت"، واللقاءات العلمية والندوات والمؤتمرات وأخيرا الدراما التي تقدم الخطاب الإسلامي على شكل مسلسلات وأفلام دينية وهي من أكثر الوسائل قبولا عند الناس. تواجه الخطابات الدينية عدة إشكالات أولها التأثير بالجانب السياسي. فالسلطة السياسية المسيطرة في البلاد وخاصة في البلدان العربية تساهم في توجيه وتشكيل الخطاب الديني في وسائل الإعلام خاصة وفي وسائل الإعلام في القنوات الرسمية العمومية وهذا ما يجعله يبتعد عن الثوابت والقواعد المتعلقة بالهوية الإسلامية. ويتوجه بإثارة القضايا والأفكار المرتبطة باتجاه نظام السياسي الحاكم وهذا ما يؤثر سلبا في دور البرامج الدينية المقدمة في معالجة الإشكالات والقضايا الضرورية بل قد يصل الأمر إلى أن تفرض الأنظمة السياسية على هذه البرامج الدينية اتجاها واحدا لا ينبغي تجاوزه انطلاقا من الدور الذي يحدده هذا النظام السياسي من الدين وعلاقته بالأنظمة المختلفة في المجتمع الأمر الذي جعل الخطابات تركز على موضوعات قديمة كالورع والإرشاد وتكرار المضمون دون فائدة. (حجاب، تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر، ص ١٣٨)

وهذا ما نراه في الخطابات الدينية المعاصرة، فمثلا في البلاد التونسية زمن عهد الرئيس الحبيب بورقيبة سنة ١٩٦١ ظهر الرئيس التونسي وهو يفطر في يوم رمضان ودعا الشعب التونسي للإفطار وتعليق ممارسة فريضة الصيام إلى حين آخر وأعطى مبرراته في ذلك القضاء على التواكل من أجل كسب معركة الخروج من التخلف والتي وصفها بمعركة الجهاد الأكبر، وأمر المفتي آنذاك فضيلة الشيخ إن عاشور بأن يفتي بجواز الإفطار بدعوة زيادة الإنتاج، فلما تدخل ابن عاشور في التلفاز أفصح بقول الحق واستشهد بأية كريمة تدل على فريضة الصوم وختمها برأيه كمفتي مسؤول عن شعب بأكمله، وقال: "صدق الله وكذب بورقيبة" وأكد على ضرورة العمل بما جاء في القرآن الكريم وأبطل الدعوى بأن الصوم يقلل من الإنتاجية، فخرست السلطة السياسية آنذاك وانسحبت وكان الفضل للطاهر ابن عاشور في توعية الشعب التونسي. (أبو هيثم، مقال بعنوان الطاهر بن عاشور: العالم الشجاع ، ٢٠٠٨م / بتصرف)

كثيرا ما تكررت مثل هذه المواقف في الإعلام حيث يبدو واضحا تدخل السلطة السياسية في الخطابات الدينية الإسلامية حتى أن اليوم نرى أكبر الدعاة وأكثر المأثرين في العالم الإسلامي ومتصدري الخطابات الدينية غابوا ولم يفصحوا بقول الحق والدفاع عن القضية الفلسطينية وعن الشعب الفلسطيني ولو

بالدعاء وهنا يظهر الوعي بقيمة الخطاب الديني وبقيمة المادة المقدمة وإضافة إلى ذلك نظيف الخطابات التي ظهرت أثناء اندلاع الثورات العربية وأخص بالذكر في تونس أواخر سنة ٢٠١٠ وبداية سنة ٢٠١١ وما تبعها من خطابات ودعوات للجهاد وللقتل والإرهاب وراح ضحيتها تسفير آلاف من الشباب للأراضي السورية والليبية وغيرها من الخطابات المحرّضة للاعتداء على رجال الأمن ونعتهم بالطغاة وغيرها من النعوت التي فيها تحريض على العنف والكراهية إلا أن الوعي بضرورة التصدي لمثل هذه الخطابات الدينية المخربة لأمن المجتمعات كان حاضرا في تركيبة أغلب الشعوب الإسلامية حيث سعت إلى التطور والتقدم بمحتوى خطاباتها وتتشدد أن تكون خطاباتها ذو أهداف وغايات ترتقي بالإنسانية وتنتفتح عن العالم وتنتشر السلام الإسلامي وتصحح المفاهيم المغلوطة عن الإسلام لغير المسلمين وحتى للمسلمين أنفسهم تفسر ظاهرات التطرف والإرهاب والعنف والإجرام والقتل أنها ظاهرة تضرب الإسلام وهي نتيجة فهم خاطئ للإسلام وأنها خدمة أجندات معينة ولا دخل للإسلام فيها لذلك من الضروري على أن ترتكز بيداغوجيا الخطاب الديني الإسلامي بخصائص الخطاب الديني الأمثل وهي ربانية المصدر والغاية عالمية التوجه، إنسانية المنطق، أخلاقية المحتوى، اقتران العقل بالروح الجمع بين المثال والواقع والأصالة والمعاصرة والمحلية والعالمية، التوازن والشمول، الانفتاح التخيير، التعدد، التدافع، التوسط والاعتدال الحوار، التنوع، النمو والاطراد، وهو يدعو إلى الاجتهاد ولا يتعدى الثوابت يتبنى التبشير في الدعوة، يستشرف للمستقبل ولا يتنكر للماضي، يؤمن بالشورى والتريث في اتخاذ القرار، يدين التخريب والإرهاب ويرفض الانغلاق والتحجر والتطرف والغلو ويؤمن بالاختلاف والمرونة والتسامح. (عبد اللطيف، إشكالات الخطاب العربي المعاصر، ٢٠٠١م)

لقد لعبت وسائل الاتصال الحديثة دورا مهما في نشر الخطابات الدينية في الأوساط الإسلامية وغير الإسلامية كما عالجت مظاهر الفساد والانحلال في المجتمعات وساهمت في توسيع دائرة المعارف الدينية وبسطت للعامة للحصول على أجوبة لتساؤلاتهم. ولكن في الوقت نفسه لعبت دورا سلبيا في إثارة العواطف، فالجانب العاطفي جزء لا يتجزأ من كيان الإنسان ولكن في حال تغلب العاطفة على عقل الإنسان قد تؤثر على صوب إدراكه وانحرافه عن الطريق الصحيح، فالبعض ممن انشغل بالمجالات الدعوية والخطابات الدينية يركزون أعمالهم على نشر مظاهر عاطفية فيستغلون الجانب الهش من الإنسان ويغرقهم في عالم الأحلام والتوكل، إضافة إلى الدعوة للتعصب والانغلاق فالتعصب داء يطغى عن القلوب والعقول ووقد

يكون الداعية ذا عصبية عمياء لعقيدته أو مذهبه أو لفكرته وطائفته بحيث لا يقبل الحوار مع من خالفه (بن سليمان العمر، الاختلاف في العمل الإسلامي الأسباب والآثار، ص ٥٦). فبعض الدعاة جعلوا من وسائل الخطاب الديني وسيلة لإثارة الخصوم المذهبية والطائفية فبدلاً من أن يجعلوا الوسائل المتطورة سبيلاً لتقريب المفاهيم وتسهيلها وتبليغ الدين وأصوله ونشر مناهج إصلاحية فهم عملوا على عكس هذا وساهموا بطرق مباشرة وغير مباشرة في نشر ثقافة الإرهاب دليل على تسبب الإرهاب وترويج لفكرة الجهاد بمفهوم الخاطئ.

المبحث الأول: بيداغوجيا الخطاب الديني ودورها في مكافحة التطرف

تعتبر دور العبادة في الإسلام المدرسة الأولى التي تعتني بالأفراد وتنمي فيهم روح الشجاعة والإقدام كما تعزز فيهم الكثير من القيم الإسلامية كروح الأخوة والألفة والمحبة بين المسلمين، فمثلاً يمثل المسجد المؤسسة الدينية مفصلية تحوم حولها كل مؤسسات المجتمع الأخرى ويعود دوره في نشر تعاليم الدين الإسلامي والقيم السلوكية التي جاءت وفق المنهج النبوي. فالمساجد في جوهرها عظيمة لما يؤدي فيه من طاعات وعبادات وما تجرب فيه من معاملات ولما يقوم به من دور فعال في تنمية المجتمعات فهو يقوي الوازع الديني والأخلاقي والتي تترجم إلى سلوكيات وتصرفات وممارسات تقوم بها الأفراد عن طريق المؤثرات الخارجية فأهمها ما يقدم من خطابات داخل المسجد وهذا مركز الموضوع الذي بصدد البحث فيه.

المطلب الأول: معنى التطرف

تمثل ظاهرة التطرف الديني أحد المشاكل التي عاشتها المجتمعات العربية قديماً وحديثاً ولم تكن مقتصرة على دين معين ومجتمع معين وإنما صارت من أكثر الظواهر انتشاراً في البلدان العربية تغييراً عن واقع المجتمعات. وقد زادت حدتها بعد اندلاع الثورات العربية، فقد شهد وصراعات إيديولوجية وهذا ما دفع بالعديد من الباحثين والدارسين لقضايا العالم العربي إلى دراستها العالم العربي تحولات جديدة نتج عنها صراعات اجتماعية وانقسامات والبحث عن أسبابها.

فما معنى التطرف ؟

معنى التطرف لغة واصطلاحاً:

تعتبر مهمة تحديد المفاهيم من أول المشاكل التي تواجه المفكرين وذلك لما تطرحه من إشكاليات تجعل من الصعب الاتفاق على مصطلح واحد.

التطرف لغة من الفعل تطرف بمعنى أتى الطرف، فيقال تطرفت الشمس دنت إلى الغروب، ويقال تطرف في كذا أي جاوز حد الاعتداء ولم يتوسط. ويعرف معجن اللغة العربية المعاصرة، فعل تطرف يتطرف، تطرف فهو متطرف . ويقال أتى الطرف، أي منتهى الشيء وتطرف في إصدار أحكامه أي جاوز حد الاعتدال ولم يتوسط. (المعجم الوسيط، ص ٥٥٥)

ويعرف معجم اللغة العربية المعاصرة، فعل تطرف، يتطرف، تطرف ، فهو متطرف، ويقال أتى الطرف، أي منتهى الشيء وتطرف في إصدار أحكامه أي جاوز حد الاعتدال ولم يتوسط والتطرف هو المغالاة السياسية أو الدينية أو المذهبية أو الفكرية وهو أسلوب خطر مدمر للفرد أو الجماعة وتدل بعض الدول جهودا مضنية للقضاء على التطرف الإرهابي وتطرفي من أو ما هو بالغ حد التطرف في آرائه، شخص تطرفي في آرائه، شخص تطرفي في سلوكه، والمتطرف صاحب نزعة سياسية أو دينية تدعو إلى العنف. (مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ١، ص ١٣٩٧) . فالتطرف هو عدم الوسطية قريب من الهلاك والخطر بعيد عن الأمان والسلم ، وهو ظاهرة معقدة صنفها علماء النفس على أنها مرضا وأسلوب حياة ويقصد به كذلك إيديولوجيا أو قانون سياسي يكون خارج مركز السياسة المصورة للمجتمع ويهدف إلى انتهاك المعايير الأخلاقية المشتركة. (بن مرزوق، مقال بعنوان ظاهرة التطرف الديني في المجتمعات العربية دراسة تحليلية، مجلة العلوم الإنسانية، جوان ٢٠١٨، ص ٢٠١)

يعد التطرف الديني غلوا وهو التمسك الشديد بالآراء والمعتقدات الدينية، دون أدنى نقد أو تحليل للعمل وهذا التمسك مشحون بطاقة الكره والحقد والرفض وهذا المفهوم ارتبط بمبرادفات أخرى كالغلو، وهو أشد من التطرف إذا أن التطرف هو مجاوزة الحد والبعد عن التوسط والاعتدال إفراطا أو تفريطا، سلبا أو إيجابا، زيادة أو نقصا. كذلك مفهوم التشدد والتعصب والإرهاب وهو بصفة عامة حالة من التزمت والغلو في الحماس والتمسك بضيق بعقيدة أو فكرة دينية مما يؤدي إلى الاستخفاف بآراء ومعتقدات الآخرين ومحاربتها والصراع ضدها (بهلول، التطرف الديني، ص ٩). وعموما مفهوم التطرف الديني يحمل معاني عدة كالغلو والتشدد والتتبع والتصلب الفكري والتعصب الديني وغيرها من الألفاظ التي تعبر تن تجاوز الاعتدال والخروج عن المنهج النبوي الذي دعى إلى السلم والأمان والوسطية والاعتدال . لئن أجمع عديد من المختصين في دراسة ظواهر التطرف الديني والإرهاب في المجتمعات العربية وخاصة في الآونة الأخيرة أنه هناك العديد من

العوامل والأسباب المؤثرة في صناعة أجيال متحجرة فكريا، أجيال تنبذ كل ما هو أخلاقي وحميد أجيال تدعو لفكر إرهابي قاتل ، فمنها ما هو سياسي واقتصادي واجتماعي وديني وهذا ما يعيننا أساسا في موضوع الرسالة وأهمها الجهل بأمور الدين وتحريف مفاهيمه وهو من أهم العوامل المساهمة بطريقة فعالة في انتشار ظاهرة التطرف الديني، فالتطرف لا ينبع من تعاليم الدين ذاتها وإنما نابع من الجهل بالدين أو عدم القدرة على فهم نصوص وأحكامه وألغازه، ذلك أن الدين الإسلامي دين الوسطية والرحمة والسلام ومنه قوله تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين). (سورة الأنبياء، الآية ١٠٧)

فالفهم الخاطئ لشريعة التوحيد وتعاليمها ومقاصدها الراقية يمثل انحرافا وخطر وتطرف فكريا في المنهج العقلي والفطرة الإنسانية السليمة. وتتضح آثار هذا الفهم الخاطئ في التباس المفاهيم وقلب المقاصد وتحريف النصوص فينتج خطابات دينية غير مسؤولة ذهب ضحيتها شباب ومراهقين، ضحوا بأغلى ما يملكون في دنياهم ، بأعمارهم ومستقبلهم، أهاليهم، وأوطانهم من أجل تصورات صوروها لهم أصحاب الخطابات الدينية المشوهة من خلال خطبهم ودعواتهم للجهاد، يبنوا لهم غايات موهومة كالفوز بالجنة أو إغراءات مالية ونحوها من الإغراءات الأخرى. مثلت أمثال هذه الخطابات انتشارا واسعا خاصة في فترة حساسة من التحولات التاريخية والسياسية والاجتماعية التي تعيشها البلدان العربية وأخص بالذكر تونس حيث تم تسفير آلاف الشباب للجهاد في سوريا وليبيا وغيرها من البلدان العربية ومن ثم انتشرت الفوضى والحروب والصراعات، وراح ضحيتها مئات الآلاف من المدنيين شردت العائلات واغتصبت الأراضي، ودمرت الطفولة، وانهارت الدول ولا زالت تصارع في الإرهاب والتطرف.

وهذا نتيجة التباس المفاهيم وتحميل النصوص ما لا تحتل من الدلالة كحمل آيات الولاء والبراء على قتل المستأمنين والمعاهدين والإيمان ببعض النصوص وتجاهل البعض الآخر مثل الغلو في آيات الجهاد واحتقار النصوص الموجبة للسمع والطاعة والموجبة للسلم والسلام (آل زبير، المواقع الإلكترونية ودورها في نشر الغلو الديني وطرق مواجهتها من وجهة نظر المختصين، ص ٣٥) . وهذا الفهم المغلوط ساهم في توليد الأفكار المسمومة وانتشار الخطابات المتطرفة بكثافة وما دعمه أكثر الإعلام العربي والغربي من خلال ما يقدمه من محتوى إعلامي كإعداد برامج أو رسومات تسيء للرسول وللهيبة القدسية للدين سواء كانت الكنائس أو المساجد أو تصوير أفلام تدعو للعنف والتطرف أو حوارات ونقاشات داعمة للعنف

اللفظي، فالمتطرف هو يعبر عن أفعاله وتصرفاته كرد طبيعي للدفاع عن هويته ودينه وهو ما ينجر عنه عنف في الواقع وشن حروب وإرهاب وقتل وضحايا. فكل ما سبق ذكره هو نتيجة بيداغوجيا خطاب ديني يهدم القيم الإنسانية ويشتت الأمة ويقسمها إلى طوائف ومذاهب واختلافات إيديولوجية خاصة في ظل وجود فتاوى تحرض على الكراهية والتطرف . ويؤدي إلى تشويه صورة للبلد التي تنتشر فيه الظاهرة وما ينتج عنه من تهديد لمواسم السياحة والاقتصاد والتجارة كما يمكن أن يؤدي إلى انتشار فوضى الفتوى بين ما يؤيد الظاهرة ويدعمها وبين ما يرفضها ويدعو إلى استئصالها وهذا ما ينتج عنه تبادل التهم بين الدعاة والعلماء على مختلف توجهاتهم وأيديولوجياتهم وأفكارهم وهذا ما يقلل ثقة الأفراد والمجتمعات فيهم، وانطلاقا من كل هذا فإن التطرف والعنف والإرهاب هي ظواهر قبل أن تنتقل إلى عالم الوجود والواقع هي وليدة عالم الأفكار، فالمتطرف هو ضحية ما قرأ وسمع وشاهد من خطابات إسلامية فهو نتيجة كل ما تلقاه.

اختلفت العوامل من ظلم وفساد وحرمان اقتصادي وأزمة التغريب الفكري والاغتراب الاجتماعي التي تعيشها المجتمعات العربية وبذلك فإن التطرف الديني هو نتاج للظروف السيئة التي تحيط بالأفراد على مختلف البلدان الإسلامية العربية النامية.

المطلب الثاني: آليات مكافحة التطرف الديني والإرهاب

آليات مكافحة التطرف الديني من أجل تحقيق الأمن والسلام والاستقرار والوقاية من انتشار الفوضى وظواهر العنف والإرهاب والانحرافات والتطرف الديني والتعصب للرأي الواحد وجب على المؤسسات الدينية والمجتمع المدني وإدارات الدولة والمواطنين أن يكتفوا جهودهم بالاعتماد على أساليب وآليات وبيداغوجيا وقائية وعلاجية لحماية المجتمعات والإنسانية عامة ومن أهم هذه الآليات:

_ اعتماد سياسة وقائية تنشر السلم والأمن وزيادة الوعي المجتمعي بمختلف المخاطر والتهديدات التي تخلقها ظاهرة التطرف الديني وتحضين أفراد المجتمع ضد كل الأغراض الهدامة التي تنتشرها بعض المواقع الإلكترونية والمراجع العلمية

_ تفعيل دور وسائل الإعلام في مواجهة الأفكار والخطابات المتطرفة في البلدان العربية وتحذير من مختلف المواقع الداعمة للعنف والكراهية المجندة للإرهاب.

ـ بث شهادات حية حول ضحايا الإرهاب والتطرف الديني حتى يتعظ المتفرج وتكون عبرة للمجتمعات. (بن مرزوق، ظاهرة التطرف الديني في المجتمعات العربية، ٢٠١٨، (بتصرف))

ـ إقامة مؤتمرات وندوات فكرية وعلمية وحلقات نقاش داخل مؤسسات الثقافية كشباب والنوادي والمؤسسات التربوية كالجامعات والمعاهد والمدارس حول مواضيع التطرف وأثار الخطابات الدينية المنحرفة وغير المؤطرة، ووضع برامج ومقررات دراسية تعزز حب الوطن والسلام والأمن والتسامح الفكري والديني وتنبذ العنف والتطرف. نشر العلم الشرعي بين الناس من خلال تثمين المقررات الدراسية وإثرائها بأعلى مقدار من العلوم الشرعية وذلك بزيادة ساعات تدريس التفكير الإسلامي وتدرس مواد تهتم بالجانب الروحي الأخلاقي لكافة المستويات التعليمية. وكذلك في المساجد من خلال الخطب التي تقدم في المساجد لأن فيها يلتقي المسلمون خمس مرات في اليوم الواحد ومتابعة وسائل الإعلام التي تنشر العلم الصحيح. (آل زبران، المواقع الإلكترونية ودورها في نشر الغلو الديني وطرق مواجهتها من وجهة نظر المختصين ، ص ٩٥)

ـ العناية بتخصصات الشريعة الإسلامية في المؤسسات التعليمية العالية وتأطير الطلبة تأطير أكاديمي علمي يستند إلى المناهج والمراجع ذات قيمة علمية محترمة والاهتمام بخبري هذا التخصص من تأطير وغيرها من الاستحقاقات

ـ تأطير المؤسسات الدينية وترتيب مناهجها وأساليبها وتجديد ألياتها والاعتماد على بيداغوجيا تنهض بالخطابات الدينية الرائجة في المجتمعات خاصة بين الفئات الهشة كالمراهقين والشباب وفي مقدمتها التفسيرات المشوهة والمغلوطة لمفهوم الجهاد ووضع المرأة والتحذير من الفتاوى والكتابات الداعية للتطرف والتي تبيح تكفير المسلمين بغير وجه حق في سبيل.

لقد اختلفت الأساليب والأليات في مكافحة الإرهاب ومجابهة التطرف الديني والإرهاب فأولها مسألة وعي مجتمعي ثم تكاثف جهود مختلف مكونات الدولة من مؤسسات وإدارات وإطارات ومجتمع مدني من جمعيات ومنظمات وغيرها من هياكل لعملها على ترشيد الخطابات السياسية والدينية حتى يكون خطيب جامعا موحدا بين مختلف المواطنين وأخرها تفعيل القوانين والتشريعات الخاصة بمكافحة الإرهاب والوقاية من التطرف وهذا ما حرصت عليه أغلب الدول على تضمينه في دساتيرها ومواثيقها لأن كل ممارسة تخل بنظام

الأمن القومي وأمن الدولة هو عمل يعرض صاحبه للعقاب والحساب وهذا ما دعت إليه أغلب التصورات الدينية والاجتماعية والأخلاقية.

المبحث الثاني: تجديد الخطاب الديني

يعتبر الخطاب الديني المعاصر من أهم القضايا التي تثار في الحياة اليومية ويعود ذلك إلى الجهل بالأمور الدينية إضافة إلى الغزو الثقافي والإعلامي كل ذلك يجعل المسلم يبتعد عن الرسالة التي بعث من أجلها والقيم الرشيدة التي جاء التوحيد بها حيث لم يبق للمسلم العادي صلة بحقائق الدين الإسلامي عن طريق الخطابات الدينية التي تصله من خلال خطب الجمعة أو الدروس المسجدية وعبر وسائل التواصل الاجتماعي أو بعض وسائل الإعلام إن مهمة القيام بالخطاب الديني تقع على عاتق الدعام أولاً فلو صلح الدعاة صلحت الأمة ولو تفاعسوا وتخاذلوا تخاذلت معهم المجتمعات لذلك لا بد من التطور والتقدم لتكون خطاباتهم مواكبة مع أحوال الناس وواقعهم مع ضرورة استغلال هذا التطور التكنولوجي وفق ما يخدم ويرتقي بمضامين الخطابات الدينية

المطلب الأول : ضرورة تجديد الخطاب الديني

التجديد لغة: يصير الشيء جديداً، وجد الشيء أي صار جديداً وهو خلاف القديم وجدد فلان الأمر وأجده واستجده وإذا أحدثه. (ابن منظور، لسان العرب، حرف الدال والجيم، ص ٢٢)
أما التجديد اصطلاحاً : هو التجديد اللغوي عينه، مضاف إليه ما تقتضيه طبيعة الإضافة إلى الشرع من مدلول خاص ومعنى جديد (عدنان، التجديد في الفكر الإسلامي، ص ١٦). فإن التجديد في الخطاب الديني ضرورة وحتمية استدعتها طبيعة وخصوصية الدين الإسلامي وطبيعة الواقع المعاصر فالتجديد الذي يستحقه الواقع اليوم ليس بمعنى الانعزال عن القديم والقطع معه، فليس كل قديم سيء وليس كل متجدد فيه إضافة . إن المتدبر للقرآن الكريم يجده موجهاً لأنظار المسلمين نحو الغد والمستقبل ويبين لهم أن العالم يتقدم ويتغير والأحوال تتحول. فالضعف سيتحول إلى قوة وتتغير الأفكار والمعطيات والقدرات قال تعالى (وتلك الأيام نداولها بين الناس) (سورة آل عمران، الآية ١٤٠) جاء القرآن حاثاً داعياً إلى التطلع للمستقبل مبشراً بالخير والصلاح وقضاء الحوائج، حتى أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يغفل عن النظرة المستقبلية وكان شديد النظر والتخطيط مع التدبر في الأسباب والوسائل ومن خصائص الخطاب الديني في

عصر العولمة أنه يحرص على مواكبة متطلبات العصر خصوصا في وسائله وألياته وتقنياته وبيداغوجيته ومنهجيته فمن الضروري أن يكون الخطاب منطلق لتيارات العصر ومناهجه الفلسفية والفكرية والأدبية وحتى الانحرافات السلوكية ومشاكله ومتطلباته وأحزانه.

نشأت فكرة تجديد الخطاب الديني في الآونة الأخيرة انطلاقا من فكرة أنه قد حان الوقت لإعادة النظر في المفاهيم والقضايا والموضوعات الدينية المطروحة على الساحة السياسية والتعليمية والثقافية وضرورة الخروج بتصوّر ومنهج جديد يخرج العالم الإسلامي من هزله ويعيد له توازنه. والتجديد المقصود به العودة إلى الأصول الصحيحة بعيدا عن البدع والخرافات وإنما قراءة جديدة للمفاهيم والقضايا المطروحة وفقا لمتطلبات الإنسانية والبيئات المختلفة والواقع المعاصر ومواكبة التجربة الجديدة التي يعيشها العالم الإسلامي منذ اصطدامها بالحدثة الغربية إلى مواكبة فعالة وتوجيهها نحو أفاق التجديد والمعاصرة. فقضية التجديد أمرا محوريا في التصوّر الإسلامي فأن المتأمل في طبيعة رسالة الإسلام يبرهن على أن مسألة التجديد إن لم تكن هي والإسلام وجهين لعملة واحدة فإنها على الأقل أحد مقوماته الذاتية فإذا تحققت تحقق الإسلام نظاما فاعلا في المجتمع وإن تجمدت انسحب عن مسرح الحياة واختزل في طقوس تؤدي في المساجد أو المقابر وتمارس على استحياء في بعض المناسبات فهذا التأمّل يؤكد أن تاريخ الإسلام في أزهى عصوره يشهد على هذه العلاقة التي لا تنقسم بين التجديد وحيوية الإسلام. (الطيب، ضرورة التجديد في الفكر الإسلامي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ص ٤٢)

المطلب الثاني: ضوابط تجديد الخطاب الديني

عرّف الخطاب الديني أنه: الأقوال والنصوص المكتوبة التي تصدر عن المؤسسة الدينية أو رجال الدين أو التي تصدر عن موقف أيديولوجي في صيغة دينية أو عقائدية وهو الذي يعبر عن وجهة نظر محددة إزاء قضايا دينية أو دنيوية أو الذي يدافع عن عقيدة معينة ويعمل على نشر هذه العقيدة. ويتطلب التجديد في الخطاب الديني أن يظهر الإسلام دينا حضاريا يحترم الحقوق والحريات يقدر العلم ويعده فريضة، يقر ويعترف بحقوق الآخر في الحقوق والواجبات، يؤمن بأن التنوع والاختلاف سنة كونية.

فالمقصود بالتجديد في الخطاب الإسلامي هو تجديد بالإسلام وليس تجديد في الإسلام، فالإسلام نفسه ليس بحاجة إلى تجديد ولكن المحتاج إلى التجدد وإلى للتجديد هو وعي المسلمين والفقهاء المسلمين والدعاة. *ضرورة تغيير النمط التقليدي القائم على مخاطبة العواطف وإثارة للمشاعر والاهتمام بما يخاطب العقل والتعامل مع قضايا الواقع بدلا من سرد أفكار نظرية.

*ضرورة تنوع أسلوب الدعوة وعدم الاختصار على أسلوب الوعظ المباشر مع ضرورة الإلمام الجيد بالأصول وعلوم الفقه الإسلامي والاطلاع على علوم العصر والثقافة المعاصرة وضرورة الفهم الواعي بجوهر الدين وأهدافه السامية باعتباره رسالة حضارية تحترم العقل وتحض على العن وتسعى إلى البناء والتعمير. و الوعظ المباشر وهو الذي يركز بصفة أساسية على المناسبات الدينية ويسيطر عليه الأسلوب العاطفي ويعتمد على القصص والحكايات. (عرفات، تجديد الخطاب الديني، ص ٢٠٩)

*ضرورة أن يراعي الخطاب الديني عناصر ثلاثة مهمة وهي اختيار موضوع مناسب والمكان المناسب وفي الزمان المناسب وعليه أن يراعي المستويات العمرية والثقافية والاجتماعية للجمهور، فضلا على أن هناك ثوابت في الخطاب الإسلامي تتصل بالعقيدة والأخلاق والثوابت التشريعية وهناك أمور تقتضيها مستجدات أو أحداث معينة تتطلب بيان موقف الإسلام منه.

*أن يتسم الخطاب الإسلامي بالوضوح واليسر والجاذبية للجمهور المستهدف وهذا يتطلب أن يبتعد عن تجريح واستفزاز المتلقين للرسالة

* مراعاة ثقافة المجتمعات الغير إسلامية ونمط تفكير أبنائها والأساليب الناجحة للإقناع داخلها وقدرتها على استيعاب وتأكيده حرية الإنسان في اختيار العقيدة.

نبه الكثير من العلماء والمفكرين بضرورة الإسراع لتطوير الخطاب الديني الإسلامي من واقع الانطلاق به بالاعتماد على طرق علمية عصرية شاملة وجادة وذلك من خلال توحيد جهود المشتغلين بقضية الخطاب الإسلامي وتقيدهم وفق برنامج علمي يلتزم بعدة توصيات، أهمها:

* تكوين هيئة إسلامية عليا من رجال الفكر والدعوة المشهود لهم بالعلم والجدية لتضع خطط وبرامج علمية شاملة لتطوير الخطاب الإسلامي بكل مستوياته وصوره وأساليبه بما يمكنه من مواجهة واعية

ممكنة ويتم هذا أولاً بإجراء مسح شامل للطاقت القادرة والجادة وثانيا بتوحيد جهود كل المؤسسات العلمية الدعوية الرسمية والغير رسمية

*تكوين إعلام يجدد الخطاب الديني وبأهله لمعالجة القضايا الحياتية للمسلمين خاصة المعاصرة وإتاحة الفرص الكافية للعلماء والمفكرين المعتدلين والأكفاء والعالمين بأمور الدين والمتشبعين بروح الإسلام والاعتدال والعلم والثقافة لتقديم الإسلام الصحيح فهذا أول خطوة نحو القضاء على التطرف والإرهاب.

* تخصيص أقسام أو شعب في كليات الشريعة للدعوة أو الإعلام لتخرج متخصصين أكاديميين في هذا المجال قادرين على أداء رسالتهم بما تمليه مستجدات الحياة وتتطلبه لمواجهة العصر.

*التأكيد على مبدأ الوسطية والاعتدال والحوار وتعزيز منطق الاختلاف والنقد كما يراه ويدعو إليه الإسلام وذلك من خلال المقررات والبرامج والمناهج الدراسية التي تدرس في المعاهد والجامعات والأنشطة الثقافية والاجتماعية الترفيهية ومن خلال الخطب كخطب الجمعة والأعياد والخطابات الدعوية *ضرورة قيام الجهات المختصة بإعادة النظر في آليات الخطاب الديني عامة، والخطاب الإعلامي خاصة وإسناد الأمانات هذه المواقع الحساسة إلى أهلها أهل الاختصاص.

*ضرورة الاهتمام بتقويم الناشئة على النقاش وآداب الحوار وحسن الاستماع وقبول الاختلاف وغرس مبادئ السماحة والمرونة فيهم وذلك عن طريق التربية الأسرية والمدرسية والتركيز على الآداب الإسلامية وترجمتها إلى لغات الشعوب الإسلامية وكذلك الاهتمام بالأعمال الدرامية التي تخدم الدعوة والقضايا الإسلامية وإعداد موسوعة إعلامية شاملة بكل لغات العالم الحية وذلك بأقلام طائفة من المتخصصين المسلمين لتعرف الباحثين والدارسين بالإسلام . (بتصرف، حني، آليات الخطاب الديني المعاصر أمام تحديات العولمة، ص٦)

تحتاج الشعوب العربية الإسلامية إلى خطاب ديني معاصر يحاكي مشاكلها وتحدياتها وواقعها وأفكارها ويبين حضارتها انطلاقاً من فكر ديني يجعل من العقل والنقل وسيلة لتحصيل الإيمان السليم دون تعارض مع التقدم العلمي والتكنولوجي، فالمجتمعات الإسلامية بحاجة إلى نهضة فكرية علمية دينية اجتماعية وثقافية بالاعتماد على ما جاء في القرآن والسنة، تعيد لها أمجادها لتساهم بشكل فعال في بناء الحضارة العالمية فإن التحلي بأدوات العلم والمعرفة وبالإيمان فهما السلاحان القويان لمواجهة التحديات

المعاصرة ، إذ يستطيع الخطاب الديني بتأثيراته المختلفة على الناس أن يكون وسيلة متجددة من وسائل التنمية البشرية بكل أشكالها وأن يستنهض الواقع الشعبي العربي. فيعزز من انتماء المواطن لوطنه ومجتمعه وتماسكه ووحدته ويبين له الإيجابيات المتوفرة وتماسكه ووحدته ويبين له الإيجابيات المتوفرة وتماسكه ووحدته ويبين له الإيجابيات المتوفرة حضارته الإسلامية ليستخلص منها الدروس والعبر في إصلاح الحاضر واستشراف المستقبل بناء على أمجاد الماضي . (الكندري ، تجديد الخطاب الديني، ج ٥، ص ١٢)

الخاتمة:

بعد أن استوفيت النظر تقريبا في موضوع البحث جاز أن أنتهي إلى عدة استنتاجات، ولعل أكثرها خصوصية ما يلي:

- _ قضية تجديد الخطاب الديني تحتل أهمية كبيرة لدى الرأي العام من قبل وسائل الإعلام والمفكرين والدعاة، وهي ضرورة فكرية ومطلب حياتي في الوقت الراهن من أجل تشكيل وعي إسلامي.
- _ ضرورة أن يتجه الخطاب الديني المعاصر إلى إقناع العقل وتنمية الحس الإبداعي وتعزيز المشاركات الإنسانية وترسيخ المعاني الوطنية.
- _ بناء مناهج التربية الدينية على معايير ومؤشرات تعزز الفهم السليم للدين الإسلامي وتصحح المفاهيم الخاطئة عن الدين الإسلامي
- _ ضرورة تكريس جهد أكبر لتنظيم المؤسسات التعليمية وتحويل مفهوم الدين الوراثي عند الناشئة إلى مستوى جاد من المعرفة لاقتناع ديني وعقدي وتنمية القدرة على التميز والبحث.
- _ ضرورة تطوير المؤسسات الدينية وربط الخطاب بالمواقع المعيشي وتحدياته بما يفتح الباب نحو الاجتهاد والتطوير.
- _ تعد مسألة مكافحة الإرهاب والتطرف الديني من أهم التحديات الجديدة والرهانات التي فرضتها التحولات السياسية والاجتماعية بعد أحداث الثورات العربية فعلى الدول مضاعفة جهودها لمجابهة مختلف المخاطر والانحرافات، فالانتصار عليه يعد انتصارا لمقومات الإنسانية.

المصادر والمراجع:

- ابن الجاحظ، (أبي عثمان عمرو)، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ج ٢، ٢٠١٠.
- ابن خلدون، (عبد الرحمان)، المقدمة، تح لوانان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٣.
- ابن منظور (جمال الدين)، لسان العرب، مادة خطب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٧، ط ٢.
- أبو هيثم، (محمد)، مقال بعنوان الطاهر بن عاشور: العالم الشجاع ، موقع لواء الشريعة، ١٨ مارس ٢٠٠٨.
- أحمد، (أدم)، الخطاب الوعظي النبوي، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ٢٠١٢.
- آل زبير، (مشيب ناصر محمد)، المواقع الإلكترونية ودورها في نشر الغلو الديني وطرق مواجهتها من وجهة نظر المختصين، دراسة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة نايف العربية للعلوم الإنسانية، الرياض، السعودية، ٢٠٠١.
- إمام، (إبراهيم)، الإعلام والاتصال بال جماهير، مكتبة الأنجلوا المصرية، القاهرة، مصر، ط ٣، ١٩٨٤.
- الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تح عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، قطر، ط ١، ٢٠٠٣.
- بدري الحربي، (فرحان)، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، دراسة في تحليل الخطاب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣.
- بكار (عبد الكريم)، المتحدث الجيد مفاهيم وآليات، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط ١، القاهرة ، مصر، ٢٠١٠.
- بن سليمان العمر، (ناصر)، الاختلاف في العمل الإسلامي الأسباب والآثار، وزارة الأوقاف السعودية، السعودية، ط ١، ٢٠١٣.

- بن مرزوق، (عنتر)، مقال بعنوان ظاهرة التطرف الديني في المجتمعات العربية دراسة تحليلية، مجلة العلوم الإنسانية، جوان ٢٠١٨.
- بهلول، (نسيم)، التطرف الديني، أمواج الطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٤.
- جاد عكاوي، (محمود)، الموجز في الكتاب العربي، مطبعة يوجياكرتا، مصر.
- حجاب، (محمد منير)، تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر، دار الفج للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ٢٠٠٤.
- حجازي (عبد الرحمان)، مفهوم الخطاب في النظرية النقدية المعاصرة، مجلة علامات في النقد، جدة، السعودية، ١٤٢٦هـ.
- حسن الزيات، (أحمد)، تاريخ الأدب العربي، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، ط٥، القاهرة، مصر.
- حسن العماري، (علي محمد)، التاريخ الأدبي للعصرين الجاهلي والإسلامي.
- حمادي(إدريس)، الخطاب الشرعي وطرق استثماره، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٩٩.
- خليفة، (محمد) ، الإسلام وتطوير الخطاب الديني، دار الفكر العربي ، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٠.
- دارقي، (زبير)، المستصفى في الأدب الإسلامي، ديوان المطبعي الجامعي بن عنكون، الجزائر، ط١، ١٩٩٨.
- الدمشقي (علاء الدين)، كتاب أداب الخطيب، تح محمد بن الحسين السليمان، دار الغربي الإسلامي، بيروت ، لبنان، ط١، ١٩٩٦ .

- الرفاعي، (مصطفى صادق)، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتب العربية، بيروت-لبنان، ط ٢، ١٩٥٨.
- الشرقاوي، (عفت)، الفكر الديني في مواجهة العصر، مكتبة الشباب، القاهرة، مصر، ط ١، ٢٠٠٠.
- الصديقي، (سلوى)، أبعاد العملية الاتصالية رؤية نظرية وعملية واقعية، المكتب الجامعي الحديث الأزاريطة، المغرب، ١٩٩٩.
- الطيب، (أحمد)، ضرورة التجديد في الفكر الإسلامي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، مصر، ط ١، ٢٠٠٢.
- عبد الرحمان، (عبد الله الزبير)، دعوة الجماهير: مكونات الخطاب ووسائل التجديد، سلسلة كتاب الأمة، رقم ٧٦، الدوحة، قطر، ٢٠٠٠.
- عبد اللطيف، (كمال)، إشكالات الخطاب العربي المعاصر، دار الفكر المعاصر، القاهرة، مصر، ط ١، ٢٠٠١.
- عبد الملك، (محمد)، تح طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ج ٥، ١٩٩٧.
- العنوم، (مهي)، تحليل الخطاب في النقد العربي الحديث، دراسة مكملة لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في اللغة وآدابها، الجامعة الأردنية، الأردن، ٢٠٠٤.
- عدنان، (محمد أسامة)، التجديد في الفكر الإسلامي، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، ١٤٢٤ هـ، ط ١.
- عشارتي، (سليمان)، الخطاب السياسي والخطاب الإعلامي في الجزائر، مدرسة سمونتيك القول والفعل، الجزائر، ط ١.
- عطية سال، (أحمد)، أصول الخطابة والإنسان، دار التراث، المدينة المنورة، السعودية.

- عفت (محمد الشرقاوي)، الفكر الديني في مواجهة العصر، دراسة تحليلية للاتجاهات النفسية في العصر الجديد، دار العودة، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٧٩.
- عكار (عبد الكريم)، المتحدث الجيد، مفاهيم وآليات، دار السلام لطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ط ١، ٢٠١٠.
- عمارة (محمد)، الخطاب الديني بين التجديد والتبديد الأمريكي، دار الشروق، القاهرة، مصر، ١٩٩٨، ط ١.
- الغزالي (محمد)، المستصفى من علم الأصول، تح حمزة بن زهير حافظ، شركة المدينة المنورة، جدة السعودية، دت.
- فرسان المنابر، موسوعة شاملة في فن الخطابة، مكتبة التبيان، ج ١، دت.
- فيروز، (الآبادي)، تح محمّد نعيم العرقسوسي، القاموس المحيط، باب الميم، فصل السين، مؤسسة الرسالة ج ٤، ط ٨، ٢٠٠٥.
- القاضي، (أحمد عرفات)، تجديد الخطاب الديني، مكتبة الأسرة، القاهرة، مصر، ط ١، ٢٠٠٨.
- كارنجي (ديل)، اكتساب الثقة فن الخطابة، الأهلية للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط ١، ٢٠٠١.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة، مصر، مكتبة الشروق الدولية، ط ٤، ٢٠٠٤.
- محفوظ (علي)، فن الخطابة وإعداد الخطيب، دار الاعتصام.
- محمد لبيب، مقدمة في فلسفة التربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٢.
- مختار عمر، (أحمد)، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط ١، القاهرة، مصر، ٢٠٠٨.
- منقول بتصريف، حني (عبد اللطيف)، آليات الخطاب الديني المعاصر أمام تحديات العولمة، مركز الجامعي الطارف، معهد الآداب واللغات.
- نورية (فوزي)، الخطاب المسرحي في النقد الأدبي في الخليج العربي، مجلة فصول، بيروت، لبنان، ١٩٩٧.

أثر البرامج الوثائقية على قناة الجزيرة الوثائقية في إبراز دور الحضارة الإسلامية

الدكتور عدي أحمد قاقيش

دكتورة في الصحافة والإعلام الرقمي – جامعة منوبة / تونس

E-mail: qaqish69@gmail.com

الملخص:

تهدف الدراسة إلى معرفة اهتمام البرامج الوثائقية على قناة الجزيرة الوثائقية في موضوع الحضارة الإسلامية، ومدى مصداقية البرامج الوثائقية في تناولها لمواضيع الحضارة الإسلامية، استخدم هذه الدراسة المنهج الوصفي التاريخي لدراسة تاريخ الحضارة الإسلامية وبرامج قناة الجزيرة الوثائقية التي تبحث في البرامج الوثائقية التي تتناول دور الحضارة الإسلامية بمختلف أزمنتها للبحث في دور القناة باهتمامها موضوع الحضارة الإسلامية.

وأظهرت الدراسة عدد من النتائج أهمها: زيادة الوعي والمعرفة: تساهم البرامج الوثائقية في زيادة الوعي والمعرفة حول الحضارة الإسلامية وتراثها الثقافي والتاريخي، وتقدم المعلومات الدقيقة والشاملة التي تساعد الجمهور على فهم أعمق لمساهمات الحضارة الإسلامية في مختلف المجالات. وكذلك، إبراز التراث الثقافي: تسلط الضوء على الأعمال الفنية والعمارة والأدب والعلوم والفلسفة التي أثرت في الحضارة الإسلامية حيث تساهم البرامج في الحفاظ على التراث الثقافي وإبرازه أمام الجمهور العالمي. كما ساهمت في تصحيح الأفكار النمطية: تعمل البرامج الوثائقية على تصحيح الأفكار النمطية والتحديات النمطية المرتبطة بالحضارة الإسلامية، وتساعد في تجاوز الأحكام المسبقة وتعزيز الفهم الحقيقي والعادل للحضارة الإسلامية. وأيضاً تعزيز التعايش الثقافي: تعزز البرامج الوثائقية التعايش الثقافي والتفاهم المتبادل بين الثقافات المختلفة من خلال تقديم الجوانب الإيجابية والمثيرة للاهتمام للحضارة الإسلامية، تساهم في بناء جسور التواصل والتفاهم بين الثقافات.

الكلمات المفتاحية: البرامج الوثائقية، الجزيرة الوثائقية، الحضارة الإسلامية، الإعلام الإسلامي.

Abstract

The study aims to explore the focus of documentary programs on Al Jazeera Documentary Channel regarding Islamic civilization and the credibility of these programs in addressing topics related to Islamic civilization. The study utilizes a descriptive-historical approach to examine the history of Islamic civilization and the documentary programs aired on Al Jazeera Documentary Channel that explore the role of Islamic civilization throughout different periods. The study reveals several findings, including the following:

1. Increased awareness and knowledge: Documentary programs contribute to raising awareness and knowledge about Islamic civilization and its cultural and historical heritage. They provide accurate and comprehensive information that helps the audience gain a deeper understanding of the contributions of Islamic civilization in various fields.
2. Highlighting cultural heritage: These programs shed light on artistic works, architecture, literature, sciences, and philosophy that influenced Islamic civilization. They contribute to preserving and showcasing the cultural heritage to a global audience.
3. Challenging stereotypes: Documentary programs help challenge stereotypes and misconceptions associated with Islamic civilization. They assist in overcoming preconceived judgments and promoting a genuine and fair understanding of Islamic civilization.
4. Promoting cultural coexistence: Documentary programs foster cultural coexistence and mutual understanding among different cultures by presenting the positive and intriguing aspects of Islamic civilization. They contribute to building bridges of communication and understanding between cultures.

Keywords: Documentary programs, Al Jazeera Documentary, Islamic civilization, Islamic media.

مقدمة

تعمل البرامج الوثائقية على إظهار الحقائق والأحداث وترجمتها على شكل فيديو مليء بالمعلومات التي توضح للمشاهد حقيقة الأشياء والمعلومات التي يتحدث عنها هذا الفيديو، فهناك العديد من البرامج الوثائقية التي تظهر وتبرز حياة الأقوام والحضارات السابقة وكيف نشأت وأبرز محطات تاريخها وصناعاتها وطبيعة حياتها، وهذا الأمر هو نقل واقع الأمم السابقة للشعوب الموجودة حاليًا والتي لم تعاصر تلك المجتمعات والحضارات.

ومن الحضارات التي مرت على هذه الحياة الحضارة الإسلامية والتي لا تقل في حضارتها وعلومها واكتشافاتها عن أي أمة من الأمم السابقة، بل تعد من أبرز الأمم التي توصلت للعديد من الاكتشافات العلمية والتطور حتى وصلت مرتبة علمية لم يصل إليها أحد ممن قبلهم.

والبرامج الوثائقية دائما ما تظهر تاريخ الأمم السابقة، فمثلاً شاهدنا الكثير من البرامج والأفلام التي تحدثت عن الحضارة الفرعونية والآشورية والحضارة الصينية والحضارات القديمة في المكسيك وكذلك الرومانية والبيزنطية والفارسية والفايكنج وغيرها الكثير من الحضارات التي كانت حاضرة في أفريقيا وأوروبا وآسيا وغيرها من التي وجدت في هذا العالم.

من أجل الحفاظ على تراثنا الإسلامي الثقافي والحضاري، ينبغي للمنظمات والهيئات الرسمية وغير الرسمية أن تتعاون سوياً في رصد وتوثيق المنشآت التراثية الإسلامية وإدخال التكنولوجيا الحديثة في إدارة وتنظيم المعلومات والبيانات المتعلقة بهذا التراث. يجب إنشاء قواعد بيانات شاملة تضم صور ومعلومات موثقة وذكية لتسهيل عرضها ونشرها في المعارض والمتاحف والمراسد الثقافية. بالإضافة إلى ذلك، ينبغي توفير إمكانية الوصول إلى هذه المعلومات من خلال الأنترنت وتوفيرها للجمهور على نطاق واسع. بالحفاظ على هذا التراث الثمين وتسليط الضوء عليه، سنكون قادرين على تعزيز الوعي الثقافي وترسيخ الانتماء الإسلامي وتوجيهنا نحو مستقبل أفضل (محمود، ٢٠١٦، ص ٢٩٠).

ليس الاهتمام بالتاريخ والوثائق والمحفوظات مقتصرًا على الماضي، بل يكمن أهمية الحفاظ عليه لدراسته في توجيهنا نحو المستقبل. فإن المحافظة على هذه الوثائق في المستودعات والأرشيف ليس كافيًا، بل على

العكس من ذلك؛ يجب أن يتم تعزيز الوعي المجتمعي حولها وإظهارها في المراصد الثقافية والمعارض والمتاحف. من خلال إبراز هذا التراث الثقافي وتوفير إمكانية الوصول إليه، نساهم في بناء رؤية مستقبلية تستند إلى تجارب وتراثنا الغني (محمود، ٢٠١٦، ص ٢٩٠).

والحضارة الإسلامية لا تقل عن مثيلاتها من الحضارات الأخرى التي ما زالت شواهدا لغاية هذا اليوم سواء في الجزيرة العربية ووسط آسيا وبلاد الشام والأناضول وأوروبا وأفريقيا وفي الأندلس، وأثر هذه الحضارة على البشرية من اكتشافات طبية وعلمية وعلم الفلك والرياضيات والجغرافيا وغيرها من الأمور الصناعية التي أفادت البشرية ولها دلائل وتطورات لهذه الاكتشافات ليومنا هذا. وفي هذه الدراسة نتناول دور الوثائقيات في إبراز دور الحضارة الإسلامية على البشرية.

مشكلة الدراسة

الحضارة الإسلامية لا تقل عن الحضارات المختلفة الأخرى؛ بل إن الشواهد أشارت على تفوق الحضارة الإسلامية على مختلف الحضارات في مختلف العلوم سواء المعمارية والعلمية والصناعية والطبية والفلك والرياضيات وغيرها من مختلف أنواع العلوم.

والبرامج الوثائقية هي برامج تعمل على إعادة نشر وتوثيق الحقائق القديمة والحديثة، وأظهرت البرامج الوثائقية دور الحضارات السابقة من مختلف النواحي التي عايشتها تلك الحضارات، وتعد قناة الجزيرة الوثائقية من أبرز وأهم القنوات التي تقوم على إنتاج ونشر البرامج الوثائقية ومنها البرامج التي تظهر وتبرز دور الحضارات السابقة، ولذلك أنت هذه الدراسة لإظهار دور هذه البرامج في نشر وإبراز تاريخ الحضارة الإسلامية من خلال البرامج التي تقوم هذه القناة ببثها.

ومن هذا المنطلق فإن مشكلة الدراسة تتمثل بالتساؤل الآتي: ما دور البرامج الوثائقية التي تبث على قناة الجزيرة الوثائقية في إبراز دور الحضارة الإسلامية؟

تساؤل الدراسة

يتمثل التساؤل الرئيس في هذه الدراسة بالتساؤل الآتي:

- ما دور البرامج الوثائقية التي تبث على قناة الجزيرة الوثائقية في إبراز أثر الحضارة الإسلامية؟

هدف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى:

- معرفة مدى اهتمام البرامج الوثائقية في قناة الجزيرة الوثائقية في إبراز الحضارة الإسلامية.
- مدى اهتمام الوسائل الإعلامية العربية والإسلامية لإبراز الحضارة الإسلامية.
- معرفة مدى مصداقية البرامج الوثائقية في تناولها لمواضيع الحضارة الإسلامية.

أهمية الدراسة

تسعى هذه الدراسة إلى التعرف على دور البرامج الوثائقية في إبرازها للحضارة الإسلامية في مختلف المجالات والعلوم، وإظهار لمحة تاريخية بسيطة حول دور الوسائل الإعلامية في إبراز الوثائقيات التي تبرز أثر الحضارة الإسلامية، كما وأن هذه الدراسة تأتي لفتح المجال أمام الباحثين في مجال الصحافة والإعلام والعلوم الفنية في إجراء الدراسات والبحوث حول دور البرامج الوثائقية والوسائل الإعلامية بشكل عام في إبراز دور الحضارة الإسلامية.

حدود الدراسة

وتتمثل حدود هذه الدراسة في تناول تاريخي للبرامج الوثائقية التي يتم عرضها على وسائل الإعلام وتعمل على إظهار دور الحضارة الإسلامية وأثارها على مر الزمان.

مصطلحات الدراسة

البرامج الوثائقية: عرف عبد القادر بن الشيخ البرامج الوثائقية على أنها "المضامين الفيلمية أو التلفزيونية التي تسجل مختلف مظاهر الحياة الطبيعية والبشرية الحديثة والقديمة في مختلف الأقطار. انطلاقاً من موضوع أو محور اهتمام واحد يعالج بالصوت والصورة مع توظيف تقنيات البحث والتوثيق في العلوم الاجتماعية والإنسانية". (بن شيخ، ٢٠٠٧، ص ٦٦)

الفيلم الوثائقي: هو عملية توثيق للوقائع والأحداث التي يتم عرضها، سواءً بوسائل التصوير المباشر أو بإعادة بنائه بصدق وعند الضرورة، ما يساهم في تحفيز المشاهد وتوسيع مداركه المعرفية ولوضع الحلول الواقعية للمشاكل والأحداث التي يتم تناولها. (عطاالله، ١٩٩٥، ص ١٢)

الفيلم التسجيلي: إنه "شكل مميز من الإنتاج السينمائي، يعتمد أساساً على الواقع في مادته وتنفيذه، يهتم بالدرجة الأولى بتحقيق أهداف ترتبط بالنواحي الإعلامية والتعليمية أو الثقافية أو حفظ التراث والتاريخ، وعادة ما يتسم بقصر زمن العرض، إذ يتطلب درجة عالية من التركيز خلال مشاهدته و متابعتة. ويخاطب عادةً فئة أو مجموعة مستهدفة من المشاهدين وعلى هذا الأساس يكون أسلوب معالجة وحجم المعلومات وكيفية تناولها وتقديمها والمستوى اللغوي للتعليق المصاحب للفيلم أو للحوار القائم بين شخصياته أو نوع الموسيقى، وتتسم الأفلام التسجيلية عموماً بالجدية وبعمق الدراسة التي تسبق إعدادها". (الحديدي، وإمام، ٢٠٠٢، ص ٢٤)

وإجرائياً يعرف الباحث البرامج الوثائقية: على أنها التوثيقات العلمية والمعرفية الحقيقية والواقعية التي تساهم في إظهار وإبراز الحقائق بشكل علمي وموضوعي سواء باستخدام الأدوات التقنية والرقمية الحديثة أو الوسائل التمثيلية التصويرية لتوضيحها وعرضها على المشاهد.

الحضارة: هي "جملة مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي في مجتمع من المجتمعات، أو في مجتمعات متشابهة، فهي مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني (غوري، ٢٠١٩، ص ٨٨٤).
الحضارة الإسلامية: هي "نتاج لتفاعل الشعوب التي دخلت في الإسلام، سواء كانت إيماناً، أو انتماء وولاء وانتساباً، وهي خلاصة لتلاقح هذه الثقافات والحضارات التي كانت قائمة في المناطق التي وصلت إليها الفتوحات الإسلامية، ولانصهارها في بوتقة المبادئ والقيم والمثل التي جاء هداية للناس".

وفي تعريف آخر... أن الحضارة الإسلامية نوعان: الأول: حضارة أصيلة تسمى حضارة الخلق والإبداع، مصدرها الوحيد الإسلام، وعرفها العالم لأول مرة عن طريق الإسلام، والثاني: حضارة قام بها المسلمون في الأمور التجريبية، إحياء وامتداداً وتحسيناً، لما عرفه الفكر البشري من قبل، وتسمى حضارة البعث والإحياء" (الوند، ٢٠١٨، ص ١٦٦).

الدراسات السابقة:

دراسة ولاء محمد محمود (٢٠١٦) بعنوان، "إشكالية صورة الحضارة الإسلامية في الخطاب الإعلامي المعاصر". هدفت هذه الدراسة إلى تحديد وسائل الاتصال الجماهيري المختلفة المعنية بتقديم موضوعات

التراث الإسلامي. والتعرف على الدور الإيجابي والسلبي الذي تلعبه وسائل الإعلام لموضوعات التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية. وكذلك الإسهام في الحفاظ على التراث الوثائقي والسمعي البصري وتعزيز القدرات في مجال حفظ التراث الإسلامي. واستخدمت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي والذي يستخدم في دراسة الأوضاع الراهنة للظواهر لتحليلها والوقوف على حلول لمعالجة الموضوع . والمنهج التاريخي والذي يستخدم في دراسة التاريخ بمعناه العام والذي يتمثل في دراسة الماضي بمختلف أحداثه وظواهره. ويوجد بعض النقاط التي تحكم التعامل مع موضوعات التراث الإسلامي داخل وسائل الاتصال الجماهيري. وخلصت الدراسة إلى أن مهمة الإعلام الإسلامي تتجاوز التثقيف والتوعية وفتح القنوات المعرفية أمام أجيال المسلمين، إلى التحفيز ووضع الخطط المناسبة للتصدي للغزو الفكري والثقافي والأخلاقي الذي تتعرض له الأمة الإسلامية. كما يجب على وسائل الإعلام عرض الحضارة الإسلامية المليئة بالكنوز المعرفية والفنية وغيرها وعرضها بالشكل الأمل.

دراسة سائد عبدالمجيد غوري (٢٠١٩) "الحضارة الإسلامية ركائزها وخصائصها وأسباب ازدهارها ومنجزاتها". هدفت هذه الدراسة للبحث في أهم ركائز الحضارة الإسلامية وخصائصها وأسبابها وازدهارها ومنجزاتها، فهي حضارة عظيمة أثرت على العالم بالعلوم والفنون الكثيرة والمختلفة سواء في الطب والهندسة والرياضيات والفلك والفيزياء والفلسفة والشعر والأدب وغيرها. وتوصلت نتائج هذه الدراسة إلى عدة نتائج أهمها كما يأتي:

- تميزت هذه الحضارة بالسماحة والعدل والأخوة، واحترمت جميع الأديان الأخرى، ونشرت بينها العلوم والفنون دون أي تعصب.
- سبق الحضارة الإسلامية الكثير من الحضارات الإنسانية، فاعتمدت على بعضها البعض، فكانت كل منها متممة للحضارة التي سبقتها، وساهمت جميع هذه الحضارات في البناء الحضاري الإنساني للعالم بأكمله، لكن الحضارة الإسلامية لم تكن مقلدة للحضارات السابقة تقليدا أعمى؛ بل هي أخذت من تلك الحضارات الصحيح النافع، وتركت الخاطئ الضار.

• تميزت هذه الحضارة بإنجازاتها العظيمة في شتى المجالات العلمية حتى قيل فيها: إنه لا توجد حضارة في الوجود قدمت للبشرية مثل ما قدمته الحضارة الإسلامية.

• أن الكثير من المؤرخين الغربيين يتفقون بأن الغرب قد نهل من هذه الحضارة في كثير من المجالات العلمية والفنون الأدبية، واستفاد منها، بينما يحاول بعضهم هذه الحقائق وإنكارها إنكاراً صريحاً.

دراسة جابر عيد الوند (٢٠١٨) "عوامل استقرار وازدهار الحضارة الإسلامية: نظام الأسرة في الإسلام نموذجاً". هدفت هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على مفهوم الحضارة والتعريف بالحضارة الإسلامية، والتأكيد على أنها الحضارة الوحيدة التي تمنح الأمم الصورة المثلى للرفق الحضاري. وكذلك التأكيد على أنها الحضارة الوحيدة التي جمعت في طياتها الجوانب المادية والروحية للإنسان، وأيضاً النفسية والفكرية وغيرها مما تتوق إليه النفس الإنسانية. وكذلك المقارنة بينها وبين الحضارات الأخرى، وأبرز ما تميزت به عنها. والاستفادة من إمكانيات الحضارة الإسلامية في النهوض بالمجتمعات وتحقيق الرفاه والعمران. واستخدمت الدراسة المنهج التاريخي لتتبع تطورات الحضارة الإسلامية، والمنهج الاستنباطي لاستنباط دلالات النصوص التاريخية والقانونية والتشريعية والشرعية، ثم المنهج المقارن للاستفادة منه في تقرير أوجه الاختلافات بين الحضارة الإسلامية وغيرها.

وأوصت الدراسة في تفعيل التواصل الحضاري مع الأمم والشعوب المتقدمة والاستفادة من برامج التنمية المستدامة لتوفير بيئة آمنة للشعوب الإسلامية للنهوض من جديد. ودراسة عوامل النهوض الإسلامي والتمسك بالأصول والثوابت لتجديد الروح الإسلامية في الجسد الإسلامي. وأيضاً تفعيل دور الأسرة المسلمة في البناء الحضاري وإمدادها بكافة الأدوات والوسائل التي تساعد على تنشئة الأجيال تنشئة صالحة، تؤهلهم للقيام بدورهم الحضاري.

دراسة أحمد عبد العظيم محمود (٢٠١٦) "فاعلية التكنولوجيا الرقمية المستخدمة في التصوير ودورها في النهوض الإعلامي المحلي والعالمي للحضارة العربية والفنون الإسلامية". هدفت هذه الدراسة لإظهار أثر الحضارة الإسلامية البالغ في مختلف أنواع الفنون التي أثرت وتأثرت بها، فلم يقف فن التصوير والإضاءة بعيداً عن تلك الحضارة، حيث قامت الحضارة الإسلامية منذ القدم بتعليم الإنسان كيفية استغلال الإضاءة بنوعيتها الطبيعية والصناعية في تصميم أشكال فنية مبتكرة بجانب توظيفها في الإنارة؛ وذلك في المساجد

القديمة والأسبلة والمنازل والمباني والأخرى الموجودة في تلك المرحلة مستخدمين مسبقا القاعدة الذهبية للتصوير وهي الرسم بالنور والتي لم تكن قد اكتشفت بعد، وهذا هو محور البحث الأول، أما الثاني فهو التعرض لدور التصوير والإضاءة وفاعلية التكنولوجيا الرقمية الحديثة الخاصة به في توثيق وتسجيل المقتنيات المتعددة للحضارة العربية والفنون الإسلامية عبر الأزمنة المختلفة، وذلك لزيادة التوعية والتثقيف بمقومات تلك الحضارة ونشرها إعلاميا بالشكل الذي يتناسب مع مكانة وتاريخ الحضارة الإسلامية واستخدام التقنيات التكنولوجية الرقمية الحديثة في تصوير وإضاءة هذه المقتنيات لجعل الصورة المقدمة لتلك الأفلام والبرامج على أعلى درجة ممكنة من الجودة لإمكانية الدخول في المنافسة الإعلامية المحلية والعالمية الخاصة ببقية الأعمال الإنتاجية المختلفة، والاستفادة من التصوير في عمليات الترميم المختلفة التي قد تتطلبها تلك المقتنيات التاريخية الخاصة بالعمارة والفنون الإسلامية.

منهج الدراسة

استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج التاريخي لدراسة تاريخ الحضارة الإسلامية، والمنهج الوصفي لبرامج قناة الجزيرة الوثائقية التي تبحث في البرامج الوثائقية التي تتناول دور الحضارة الإسلامية بمختلف أزماتها للبحث في دور القناة باهتمامها موضوع الحضارة الإسلامية.

خطة الدراسة

اشتملت خطة الدراسة على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وتكونت من المقدمة وتضمنت مشكلة الدراسة وسؤالها، وأهدافها، وأهميتها، ومنهج البحث، وخطة، وثلاثة مباحث وخاتمة، على النحو التالي:

المبحث الأول: نظرية الدراسة

المطلب الأول: نظرية وضع الأجندة (ترتيب الأولويات)

المبحث الثاني: الحضارة الإسلامية

المطلب الأول: الحضارة

المطلب الثاني: الحضارة الإسلامية

المبحث الثالث: البرامج الوثائقية

المطلب الأول: البرامج الوثائقية

المطلب الثاني: وثائقيات الحضارة الإسلامية في قناة الجزيرة الوثائقية
الخاتمة: وتضمنت نتائج الدراسة وتوصياتها.

المبحث الأول: نظرية الدراسة

المطلب الأول: نظرية وضع الأجندة (ترتيب الأولويات)

المفهوم والتعريف

حدد الباحثون عدداً كبيراً من التعريفات لعملية وضع الأجندة، حيث يعرف (M.Sanchez) عملية وضع الأجندة في الإعلام بأنها: "العملية التي بواسطتها تحدد وسائل الإعلام بما نفكر وحول ماذا نقل"، ويرى أن أول من لاحظ هذه الوظيفة هو (Lippmann) في العشرينيات من القرن الماضي، وأوضح أن الإعلام هو الذي يهيمن على خلق الصور في أذهاننا وأن رد فعل الجمهور يكون تجاه تلك الصور وليس تجاه الأحداث الفعلية، لذلك فإن وضع الأجندة هي: "عملية تهدف إلى إعادة صياغة جميع الأحداث التي تقع في البيئة المحيطة بنا إلى نموذج بسيط قبل أن نتعامل معها". (www.comprofessor.com)

أما (James Watson) عرفها بأنها: "مجموعة من الموضوعات، عادة يكون ترتيبها حسب أهميتها". (watson, 35, 2006)

ويعرفها (Joseph Straubhaar & Robert LaRose) بأنها: "قدرة وسائل الإعلام على تحديد القضايا المهمة". (Joseph. Robert, 35, 2000)

كما عرفها (Stephen Batroson) بأنها: "العملية التي تبرز فيها وسائل الإعلام قضايا معينة على أنها قضايا مهمة، وتستحق ردود الحكومة والجمهور، من خلال إثارة انتباههم لتلك القضايا، بحيث تصبح ذات أولوية ضمن أجندتهم، وأن الفرد الذي يعتمد على وسيلة إعلامية ما ويتعرض لها سوف يكتف إدراكه وفقاً للأهمية المنسوبة لقضايا تلك الوسيلة وموضوعاتها، وبشكل يتوافق واتجاه عرضها، وحجم الاهتمام الممنوح لها في تلك الوسيلة". (المزاهرة، ٣٣٢، ٢٠١٢)

وعرفها (G.E Lang & K. Lang) بأنها: "العمل التي يؤثر بمقتضاها كل من وسائل الإعلام والحكومة والأفراد بعضهم ببعض، أي أنها عملية تفاعلية تحاول من خلالها العديد من العوامل التأثير في أجندة وسائل الإعلام". (نصر، ٣٩٨، ٢٠٠٣)

وتم تعريفها أيضا بأنها: "العملية التي تقوم بها الهيئات والمؤسسات التي تقدم الأخبار والمعلومات باختيار أو التأكيد على أحداث وقضايا ومصادر معينة لتغطيتها دون أخرى، ومعالجة هذه القضايا وتناولها بالكيفية التي تعكس اهتمامات هذه المؤسسات وأولويات المسؤولين الحكوميين ومتخذي القرار والصفوة". (نصر، ٣٩٨، ٢٠٠٣)

وفي هذه الدراسة فإن ترتيب الأولويات يكون من مدى أهمية البرامج الوثائقية التي تتحدث وتتطرق لموضوع الحضارة الإسلامية في مختلف مراحلها وعصورها، ومدى دور هذه البرامج في إبراز دور الحضارة الإسلامية وإظهار مختلف تفاصيلها وعرضها على الجمهور.

مراحل تطور نظرية وضع الأجندة:

ويعد وضع الأجندة هو المرحلة الرابعة في تطور نظرية الأجندة، وفي هذا الإطار يقسم (MacCombs) بحوث الأجندة إلى أربعة أشكال رئيسية تعكس تطور الاتجاهات الخاصة بهذه البحوث، وهي: (maxwell, shaw, 58, 1993)

المرحلة الأولى: الدراسة الأصلية التي اختبرت الفرض الرئيس الخاص بأن نموذج التغطية الإخبارية يؤثر في إدراك الجمهور لأهمية القضايا اليومية.

المرحلة الثانية: اختبرت الشروط الملائمة التي تعزز أو تحد من وضع الأجندة والأدوار المقارنة لوسائل الإعلام المختلفة.

المرحلة الثالثة: اهتمت بالكشف عن صور المرشحين واهتماماتهم السياسية كبديل للأجندة. بينما في هذه الدراسة هذا ما يتطابق دور إبراز البرامج الوثائقية واهتماماتها في إظهار دور الحضارة الإسلامية عبر مختلف الأزمان.

المرحلة الرابعة: بحلول الثمانينيات ركزت البحوث على مصادر أجندة الوسيلة الاتصالية، وبذلك تكون انتقلت بحوث الأجندة من متغير مستقل إلى متغير تابع واستبدلت السؤال من يضع أجندة الجمهور وتحت أي ظروف؟ بالسؤال من يضع أجندة الوسيلة؟. وقد تطورت البحوث حول نظرية وضع الأجندة للبحث في العلاقة بين متغيرين هما: (القاضي، ٢٤٢، ٢٠٠٨)

١. أسلوب المعالجة الإعلامية للأحداث من حيث اختيار المصادر ونقاط التركيز والجانب المرئي في الرسالة والعناصر التيبوغرافية في الوسائل الصحفية وغيرها من أساليب المعالجة الإعلامية.
 ٢. توجيه انتباه الجمهور نحو جانب محدد من القضية على حساب جانب آخر.
- ويوصف وضع الأجندة بتعدد المناهج البحثية مع وجود رابط مشترك يتمثل في كون التغطية الإخبارية منتج يتم تصنيعه وإقراره من خلال التأثيرات المتعددة. ويمثل تحليل المضمون النمط الأكثر استخداماً بشقيه الكمي والكيفي من خلال تحليل مضمون التغطية الإخبارية كمنتج نهائي لوضع الأجندة. (شاهين، ٤٦٨، ٢٠٠٩)

المبحث الثاني: الحضارة الإسلامية

المطلب الأول: الحضارة

مفهوم الحضارة

يعرف ابن خلدون الحضارة بقوله: "إنما الحضارة هي تقنن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه (أي الترف) من المطابخ والملابس والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله؛ فلكل واحد منها صنائع في استجابته والتأنق فيه تختص به ويتلو بعضها بعضاً؛ وتكثر باختلاف ما تنزع إليه النفوس من الشهوات والملاذ والتنعيم بأحوال الترف؛ وما تتلون به من العوائد، فصار طور الحضارة في الملك يتبع طور البداوة ضرورة؛ لضرورة تبعية الرفه للملك" (الوندة، ٢٠١٨، ص ١٦٤).

ويري المؤرخ الأمريكي ديورانت أن "الحضارة نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وإنما تتألف الحضارة من عناصر أربعة: الموارد الاجتماعية، النظم السياسية، التقاليد الخلقية، متابعة الفنون والعلوم، وهي الحضارة التي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق" (الوند، ٢٠١٨، ص ١٦٤).

وتعني الحضارة ببساطة مجموعة المظاهر العلمية والأدبية والفنية والاجتماعية الموجودة في المجتمع. تعتمد الحضارات الإنسانية المختلفة على تراث بعضها البعض، حيث تأتي كل حضارة كتكملة للحضارة التي سبقتها. تساهم هذه الحضارات في بناء الحضارة الإنسانية الشاملة في العالم (غوري، ٢٠١٩، ص ٨٨٤).

على سبيل المثال، يُعتبر اليونانيون القدماء وحضارات أخرى من الحضارات القديمة بواعث للحضارة، وظهرت الحضارة الإسلامية وساهمت في تطور هذا البناء الحضاري. ومن ثم، قام الأوروبيون بتطوير هذا البناء الحضاري بعد المسلمين.

باختصار، تكون الحضارة تاريخاً من التأثير المتبادل والتقدم المستمر، حيث تعمل الحضارات المختلفة معاً على تطوير الإنسانية وتعزيزها.

أهم الحضارات في التاريخ

ظهرت العديد من الحضارات في هذا العالم والتي ما زالت أثارها ظاهرة إلى الآن ومنها من لم يبق من أثرها شيء، وفي هذا المطلب سنتحدث أو نذكر بعضاً من الحضارات السابقة والتي ما زالت شواهدا واضحة للعيان، ومن هذه الحضارات (غوري، ٢٠١٩، ص ٨٨٤-٨٨٦):

١- الحضارة المصرية القديمة (الفرعونية): وتعد من أقدم الحضارات وأهمها وكانت تتواجد على جانبي نهر النيل، وتعود نشأتها إلى عام ٣١٥٠ قبل الميلاد، وكان للحضارة المصرية القديمة إنجازات كبيرة ومهمة ومنها بناء الأهرامات والمعابد وكما ابتكروا طرق الري والزراعة وساهموا في ترك إرث عظيم من الحضارة الفنية الكبيرة.

٢- الحضارة الكنعانية: وهي من أعرق الحضارات وتميزت عن غيرها بالكثير من المميزات وامتازت باللغة السامية فيها وكان لها لهجة تختلف عن غيرها، واعتمدوا على الكتابة التصويرية قبل أن يتم اكتشاف الأبجدية.

٣- حضارة بلاد الرافدين: وهي من أعظم وأعرق الحضارات عبر الزمان في هذا العالم، وتعتبر حضارة بلاد الرافدين أم الحضارات، ووجدت في بلاد ما بين النهرين دجلة والفرات، ومع مرور الزمن حكمت هذه الحضارة على يد اليونانيين والفرس والمسلمين، وساهمت في نقل الإنسان من عصر ما قبل التاريخ إلى الحضارة الإنسانية المتحضرة.

٤- الحضارة اليونانية (الإغريقية): وتميزت هذه الحضارة بالفنون المعمارية البسيطة والكلاسيكية؛ حيث أهتموا ببناء المعابد والمدرجات والملاعب والمسارح، كما أهتموا بفن النحت، وكان لها العديد من الآلهة، وكانت تتميز هذه الحضارة بالعلوم المختلفة مثل: علوم الفلسفة والسياسة والفنون وغيرها، وظهر في هذه الفترة أفلاطون وأرسطو وسقراط وغيرهم من الفلاسفة الذين تدس علومهم لليوم.

٥- الحضارة الرومانية: وكانت من الحضارات القوية والتي سيطرة على البحر الأبيض المتوسط وكانت تهتم بالبناء الكلاسيكي المشابه للحضارة اليونانية، وامتازت هذه الحضارة كما الحضارة اليونانية بروح وحب الاستعمار والنظر المادي البحت للحياة.

٦- الحضارة الصينية.

٧- الحضارة الفارسية.

٨- حضارة وادي السند.

٩- حضارة المايا.

١٠- حضارة الإنكا والإنديز.

١١- الحضارة الإسلامية: وهي من أعظم هذه الحضارات وأكثرها رقيًا على الإطلاق، حيث أهتمت هذه الحضارة بالجانب الديني، وعملت على مزج الروح والعقل، وأهتمت بمختلف أنواع الفنون من عمارة وعلم وطب وفلك وغيرها من الفنون والعلوم، وهذا ما ساهم في تمييزها عن الحضارات السابقة.

المطلب الثاني: الحضارة الإسلامية

مفهوم الحضارة الإسلامية

تتميز الحضارة الإسلامية بأنها تستند إلى الإسلام كأساس لها، حيث يشكل الفكر الإسلامي الأساس الذي تم بناء هذه الحضارة عليه. إنها حضارة إنسانية تغطي جوانب مختلفة من الحياة، وتعتبر أيضاً حضارة ربانية تتبع من المعرفة التي جاء بها الرسول - صلى الله عليه وسلم -.

تعتبر الحضارة الإسلامية استفادت من مختلف الحضارات السابقة وتفوقت عليها، حيث رفعت من قيمة الشورى (الاستشارة) والعدالة والمساواة والحرية، ومن مختلف حقوق الإنسان. تميزت الحضارة الإسلامية بتعزيز قيم التعاون والعدل والإحسان في العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

وتشتهر الحضارة الإسلامية بتنوعها وتعدد جوانبها، فقد أسهمت في مجالات العلوم والفلسفة والطب والهندسة والعمارة والفنون والأدب، مما أثر في التقدم الثقافي والعلمي في المجتمعات التي نشأت فيها.

باختصار، الحضارة الإسلامية تعتبر حضارة شاملة وشامخة، مبنية على قيم دينية وإنسانية تعود إلى الإسلام، وتسعى لتحقيق العدالة والمساواة والحرية والتقدم العلمي والثقافي.

الحضارة الإسلامية هي ميراث يشترك فيه جميع الشعوب والأمم التي انضمت إليها وساهمت في بنائها وتطورها. إنها ليست حضارة محدودة لجنس أو أمة معينة، بل هي حضارة شاملة تضم جميع الأعراق التي ساهمت في بنائها. تتكون الحضارة الإسلامية من نوعين رئيسيين: الحضارة الأصيلة والتي تعتبر إبداعاً ينبع من الدين الإسلامي كمصدر ومنبع لها، وثانياً الحضارة المتجددة والمحفزة والتي نشأت نتيجة تطبيق المسلمين لتجارب مختلفة. باختصار، الحضارة الإسلامية هي تجمع للتنوع والإبداع الذي شاركت فيه جميع الأمم والشعوب، وهي تستمد إلهامها من الإسلام وتطبيقاته في الحياة العملية (التوجيهي، ٢٠٠٣، ص ١١-١٨).

تشير الحضارة الإسلامية أيضاً إلى جهود العلماء المسلمين، الذين قاموا بإبداع نظريات ناجحة في مجال التكنولوجيا والعلوم على مستوى عالمي. لقد سادت الحضارة الإسلامية المجال العلمي من القرن الثالث للهجرة حتى القرن الخامس للهجرة. وتشمل الحضارة الإسلامية جوانب مادية وروحية متعددة، وكرست نفسها

لتسهيل التقدم والتطور. لقد أُشيدت الحضارة الإسلامية بأنها واحدة من الحضارات التي قدمت الكثير للبشرية وليس لها مثيل. والحضارة الإسلامية تشمل إسهامات العلماء المسلمين الرائدة ونجاحاتهم في مجالات التكنولوجيا والعلوم. تُظهر هذه الحضارة تفوقاً في العلوم منذ القرون الأولى للهجرة وتساهم في التطور والتقدم في مجالات مادية وروحية متنوعة. وقد تم تقدير الحضارة الإسلامية بأنها أحد الحضارات الرائدة التي قدمت الكثير للبشرية (أئينهوند، ٢٠١٠، ص ١).

أنواع الحضارة الإسلامية

أنواع الحضارة الإسلامية تشمل الآتي (السرجاني، ٢٠٢٠، <https://cutt.us/UymdM>):

١- حضارة التاريخ (حضارة الدول): تشير إلى الحضارة التي قدمتها دولة إسلامية معينة، وتعكس تطورها وإنجازاتها في مختلف المجالات مثل الزراعة، والصناعة، والتعليم، والعلاقات الخارجية. تتناول هذه الحضارة العلاقات بين الدول الإسلامية وبين دول أخرى والإسهامات التي قدمتها في تطور المجتمعات.

٢- الحضارة الإسلامية الأصيلة: تعني الحضارة التي جاء بها الإسلام لخدمة البشرية بشكل شامل. تشمل هذه الحضارة المبادئ والتعاليم التي يحملها الإسلام في مجالات العقيدة، والسياسة، والاقتصاد، والقضاء، والتربية، وتسعى لتحقيق سعادة الإنسان وتسهيل حياته.

٣- الحضارة المقتبسة (حضارة البعث والإحياء): تعني الحضارة التي أحيها المسلمون وطوّروها بعد أن اندثرت في الحضارات القديمة. قام المسلمون بتحسين وتطوير مجالات المعرفة والعلوم التي تركها الحضارات السابقة، وأضافوا إليها الجانب الأخلاقي المستمد من الإسلام. ويجب التأكيد على أن الحضارة الإسلامية ليست مجرد استنساخ للحضارات القديمة، بل هي حضارة مستقلة تتميز بعقيدتها الإسلامية وطابعها الفريد.

الفكرة المنتشرة التي تشكك في طابع الإسلام الأصيل للحضارة الإسلامية وتقليل قيمتها غير صحيحة تماماً. فالحضارة الإسلامية في جوهرها وجوهرها إسلامية خالصة، وتتميز بتميز كبير عن الحضارات الأخرى. إنها حضارة مستقلة تنبع من العقيدة الإسلامية وتهدف إلى تحقيق الغاية الإسلامية، وهي إعمار الكون بشريعة

الله ولنيل رضاه. ولا يقتصر اهتمامها على تحقيق التقدم المادي وحده، بل تسعى لذلك مع الاهتمام بالإنسان والدين. هذا يميزها عن الحضارات الأخرى التي قد تتركز فقط على التقدم المادي على حساب القيم والمبادئ الإنسانية. إن الحضارة الإسلامية هي حضارة مستقلة ومتميزة تتبع من العقيدة الإسلامية وتسعى لتحقيق التقدم المادي والروحي والاجتماعي بما يتوافق مع قيم الإنسان وتوجيهات الدين الإسلامي.

في النهاية، تتنوع الأنواع في الحضارة الإسلامية بين حضارات الدول التاريخية والحضارة الأصلية المشتقة من الإسلام، وكذلك الحضارة المقتبسة التي تجسدت في إحياء وتطوير مجالات المعرفة. جميعها تعكس روح الإسلام وتهدف إلى تحقيق تقدم شامل يتوافق مع القيم الإنسانية.

المبحث الثالث: البرامج الوثائقية

المطلب الأول: البرامج الوثائقية

القنوات الوثائقية المتخصصة

إن من أنواع القنوات التلفزيونية الفضائية المتخصصة التي تبث في السماء الفضائي هي قنوات الأفلام الوثائقية (التسجيلية)، ويتطلع لهذه القنوات أن تحتل مراتب متقدمة في المتابعات في السنوات القادمة تنافس نظيراتها من قنوات الأفلام والأخبار التي يتم الاهتمام بها من قبل المنتجين والداعمين لهذه القنوات.

ساهم التطور التلفزيون التكنولوجي والرقمي والتحول إلى التخصيص في القنوات التلفزيونية إلى التوجه لهذا النوع من التلفزيون وهو أسلوب التلفزيون الوثائقي، حيث تمثل هذا التلفزيون في نوعين (الحديدي واللبن، ٢٠٠٩، ص ١٨٠):

النوع الأول: يتمثل هذا النوع في قنوات تتحرك في اتجاه (docusoaps) والبرامج الواقعية الحقيقة العامة مثل قناة UK Horizons التي تعمل على تقديم حقائق مثل سلسلة حلقات Animal Hospital.

النوع الثاني: ويتمثل هذا النوع في قنوات مثل قناة National Geographic وقناة ديسكفري Discovery Channel والتي انطلقت في عام ١٩٨٩م و قناة History Channel التي تم اطلاقها في عام ١٩٩٥م، وهي التي تبرز أكثر الملامح المثالية للقنوات الوثائقية.

مفهوم الفيلم الوثائقي

يوجد العديد من التعريفات الخاصة بمصطلح الفيلم الوثائقي أو التسجيلي، والتي وضعت على أيدي كبار الرواد والمخرجين والنقاد والمؤرخين السينمائيين، وسيتم تاليا عرض أهم التعريفات التي وضعها أصحاب هذا الاتجاه:

وقد أظهر تعريف جريسون للفيلم التسجيلي بأنه المعالجة الخلاقة للواقع. حيث ميزة عن غيره من أشكال الإنتاج التسجيلي بقوله: "إن أشكال الإنتاج التسجيلي هي تلك الأفلام التي تصور عناصر الطبيعة سواء كان ما تصوره مواد خاصة بالجرائد أو المجلات السينمائية أو أفلام المعرفة ذات الشكل الدرامي أو التي تعتمد على الاستطراد أو الأفلام التعليمية أو الأفلام العلمية" (هاردي، ١٩٦٥، ص ١١٦).

بينما كان المفهوم الإنجليزي للفيلم الوثائقي (التسجيلي) "Documentary Film"، بأنه لا يكتفي بتسجيل ونقل الحقيقة فقط، إنما يجب إضافة الرأي إليها أيضاً (الحديدي، ١٩٨٢، ص ١٢).

في عام ١٩٤٨، قام الاتحاد الدولي للسينما التسجيلية (الوثائقية) بتعريف الفيلم الوثائقي على أنه يشمل جميع أساليب ووسائل التوثيق السينمائي للواقع، سواء كان ذلك من خلال تصوير المشاهد مباشرة أو من خلال إعادة بناء وتجسيد دقيق للأحداث والظواهر الحقيقية. يهدف الفيلم الوثائقي إلى تحفيز المشاهد وتوسيع فهمه الإنساني وتعزيز وعيه المعرفي، وأيضاً لتقديم حلول واقعية للتحديات والمشاكل الموجودة في مجالات العلاقات الإنسانية والثقافية والاقتصادية (السال، ٢٠٠٦، ص ٨٩).

فالفيلم الوثائقي هو توثيق سينمائي للواقع يستخدم أساليب مختلفة لعرض الأحداث الحقيقية، سواء من خلال التصوير المباشر أو إعادة إنتاج دقيق للأحداث. يهدف الفيلم الوثائقي إلى توسيع وعي المشاهد وتوفير حلول واقعية للتحديات الإنسانية والثقافية والاقتصادية.

إمكانيات الفيلم الوثائقي

يتمتع الفيلم الوثائقي بمجموعة من الإمكانيات التي يتميز بها في عالم السينما والتلفزيون، ويمكن اعتبار النقاط الآتية شالة وملمة لما يتمتع به الفيلم الوثائقي من إمكانيات (عطا الله، ١٩٨٠، ص ٢٧-٢٩):

- يُعدُّ الفيلم الوثائقي وسيلة مرئية وسمعية تعتمد بشكل رئيسي على الصورة. يتمكن الجميع، سواء الأميين أو المتعلمين، من فهم هذه اللغة أو الأسلوب، ويُعدُّ الفيلم الوثائقي أكثر تأثيرًا على الأميين من غيرهم، حيث يقول الفيلسوف الصيني كونفوشيوس: "صورة واحدة تعادل ألف كلمة".
- يتميز الفيلم الوثائقي عادة بقصر مدته، مما يسهل توصيل الرسالة بطرق مباشرة وفي وقت قصير. كما يُسهِّل عرض الفيلم الوثائقي في أي مكان بواسطة آلات العرض المتنقلة، ويتم أيضًا عرضه على التلفزيون، مما يمنحه خاصية الانتشار السريع ولا سيما في المناطق الريفية التي يتوفر بها البث التلفزيوني.
- يعتبر الفيلم الوثائقي وسيلة عرض جماعية وجماهيرية، مما يعني أن عرض الفيلم مرة واحدة يمكن أن يصل إلى مئات الآلاف من المشاهدين. وفي حالة توافر وسيلة اتصال جماهيرية واسعة الانتشار وإذا كان موضوع الفيلم الوثائقي مهمًا للجماهير، فمن الممكن أن تصل مشاهدات الفيلم إلى الملايين وعشرات الملايين من المشاهدين.
- يكتسب الفيلم الوثائقي جميع القدرات الحرفية لفن السينما، مما يجعله فعالًا في عمليات التعليم والتوعية. يستخدم الفيلم الوثائقي التقنيات السينمائية المبتكرة لنقل المعلومات وإثارة الاهتمام والتأثير على المشاهدين بشكل فعال.

تأثير الفيلم الوثائقي

أُجريت العديد من الدراسات الميدانية لاستكشاف تأثير الأفلام الوثائقية كوسيلة قوية ومؤثرة في تغيير الرأي العام ونشر المعرفة. واحدة من هذه الدراسات التي أُجريت في هذا السياق هي دراسة كارل هوفنلاد ولمسدين وشفليد، أثناء عملهم في القوات المسلحة الأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية. قاموا بتنفيذ تجارب تهدف إلى تقييم تأثير الأفلام الوثائقية التي أُعدت لتثقيف الأمريكيين وتشجيعهم على المشاركة في الحرب، تم عرض سلسلة أفلام بعنوان "لماذا نحارب؟" على الأمريكيين، وأظهرت الدراسات أن الأفلام الوثائقية التي تمت مشاهدتها لها تأثير كبير وفعالية عالية في تغيير رأي الجمهور في بعض الجوانب. أدت هذه الأفلام إلى

تغيير تفسيرات بعض الأحداث وتزويد الجمهور بمعلومات ووقائع جديدة. كما أظهرت التغييرات التي حدثت في آراء الأفراد علاقة وثيقة بالمحتوى الإعلامي المقدم في الأفلام الوثائقية التي تمت مشاهدتها في هذه السلسلة.

الدراسات أثبتت أن الأفلام الوثائقية تمتلك تأثيرًا كبيرًا وفعالية في تغيير الرأي العام وتوفير المعلومات الجديدة، ودراسة كارل هوفنلاد ولمسدين وشفليد تسلط الضوء على التأثير الإيجابي الذي كانت له الأفلام الوثائقية على تغيير الرأي العام والمفاهيم السائدة.

في كتاب "الفيلم التسجيلي وبناء الإنسان المصري" لمحمود عطا الله، يُشير إلى أن الأفلام الوثائقية قد أظهرت تأثيرًا قويًا في تشكيل وفهم الإنسان، بغض النظر عن موضوعها. توصلت الدراسات المختلفة التي استكشفت تأثير الأفلام الوثائقية، بما في ذلك تلك التي تركز على تأثيرها على الأفراد، إلى نتائج تعزز فهمنا لدور هذه الأفلام. ومع ذلك، يجب الأخذ في الاعتبار أن كل حالة ودراسة مستقلة تحمل خصوصيتها وتأثر بظروفها الخاصة. فالفيلم الذي قد لا يحقق تأثيرًا ملموسًا في مجتمع معين، قد يكون له تأثير أكبر في مجتمع آخر. وهذا يعتمد على عوامل متعددة مثل موقف المتلقي للتواصل، وعلاقاته المرجعية، وظروفه الاجتماعية، وسياق التواصل نفسه (عطا الله، ١٩٨٠، ص ٢٣-٢٤). ويتعلق هذا الأمر بعاملين آخرين مهمين أيضًا هما (عطا الله، ١٩٨٠، ص ٢٥):

- حرفة العمل في الفيلم الوثائقي نفسه ودرجة اتقانه ومدى التزام الفيلم بالشروط الإجرائية والفنية الواجب إتباعها كعملية اتصالية وفنية في الوقت نفسه.
 - مدى ملائمة الفيلم الوثائقي كوسيلة اتصال مجتمعية، كالمجتمعات النامية مثلًا.
- والأفلام الوثائقية تلعب دورًا هامًا في توثيق وإظهار الحضارة الإسلامية. تساهم هذه الأفلام في تعزيز الفهم والوعي بالتاريخ والثقافة الإسلامية، وتسلط الضوء على المظاهر العلمية والفنية والاجتماعية التي تميز الحضارة الإسلامية.
- تستخدم الأفلام الوثائقية التقنيات السينمائية المبتكرة لإحياء وإعادة إحياء المعالم التاريخية والمعارك والأشخاص البارزين في الحضارة الإسلامية. تساهم هذه الأفلام في توصيل رسالة الإرث الثقافي الغني وتسلط الضوء على التحف الفنية والعمارة الرائعة والعلوم والفلسفة التي تميزت بها الحضارة الإسلامية.

بالإضافة إلى ذلك، تعزز الأفلام الوثائقية الفهم العميق للقيم والمبادئ الإنسانية في الحضارة الإسلامية، مثل العدل والتسامح والمساواة. تسلط هذه الأفلام الضوء على الشخصيات التاريخية المهمة وعلى إسهاماتهم في الفلسفة والعلوم والأدب، مما يعزز الفهم الشامل للحضارة الإسلامية وتأثيرها العالمي.

بهذه الطريقة، تلعب الأفلام الوثائقية دورًا حيويًا في إبراز وتعزيز التراث والحضارة الإسلامية، وتعمل على نشر المعرفة والفهم حولها لدى الجمهور العالمي.

المطلب الثاني: وثائقيات الحضارة الإسلامية في قناة الجزيرة الوثائقية

دور البرامج الوثائقية في إبراز الحضارة الإسلامية

البرامج الوثائقية تلعب دورًا حيويًا في إبراز الحضارة الإسلامية وتعزيز الوعي بها. تستخدم هذه البرامج التقنيات السينمائية والتصوير الوثائقي لتوثيق التاريخ والثقافة والإنجازات الإسلامية.

تعرض البرامج الوثائقية الحضارة الإسلامية بشكل شامل، تستعرض المظاهر العلمية والفنية والثقافية والاجتماعية التي نشأت في إطار الإسلام. تتناول هذه البرامج مختلف الجوانب، مثل العمارة الإسلامية الرائعة، والفنون والحرف التقليدية، والعلوم والفلسفة، والأدب والشعر، والتقاليد والقيم الإنسانية.

تقدم البرامج الوثائقية لقطات حية ومثيرة من المواقع التاريخية والآثار الإسلامية المهمة. تعرض التفاصيل الدقيقة والحقائق المثيرة للاهتمام حول التطورات التاريخية والشخصيات البارزة في الحضارة الإسلامية. تعمل هذه البرامج على تنمية الفهم والوعي لدى الجمهور بالتراث والتاريخ الغني للحضارة الإسلامية.

بفضل الصور المثيرة والروايات القوية، تلتقط البرامج الوثائقية الانتباه وتعمل على إثارة الفضول والتأمل لدى الجمهور. تعتبر هذه البرامج وسيلة فعالة لنشر المعرفة وتعميق الفهم حول الإسلام وتاريخه وثقافته وتراثه العظيم.

بهذه الطريقة، تساهم البرامج الوثائقية في إبراز الحضارة الإسلامية وإعطاء الجمهور فرصة لاستكشاف تفاصيلها وتعميق المعرفة بمساهماتها وتأثيرها على العالم.

دور قناة الجزيرة الوثائقية في تناول موضوع الحضارة الإسلامية

قناة الجزيرة الوثائقية تلعب دوراً مهماً في إظهار برامج وثائقية تتناول الحضارة الإسلامية. تعرض القناة مجموعة واسعة من البرامج الوثائقية المتخصصة في تاريخ وثقافة الإسلام وإرثها الثقافي والفني.

تقدم قناة الجزيرة الوثائقية سلسلة من البرامج التي تستكشف المظاهر المختلفة للحضارة الإسلامية. تغطي هذه البرامج مواضيع متنوعة مثل التاريخ الإسلامي والعلوم والفلسفة والفنون والعمارة والأدب والثقافة الشعبية. تقدم القناة صوراً وأفلاماً وثائقية تاريخية نادرة وتوثيقات حصرية لأماكن ومعالم إسلامية مهمة.

برامج الجزيرة الوثائقية تعتمد على البحث العميق والمعلومات الموثوقة والتصوير الجذاب لإظهار الجمال والتنوع والإبداع الذي يميز الحضارة الإسلامية. تهدف هذه البرامج إلى إلقاء الضوء على التراث الثقافي العريق للإسلام ونشر المعرفة والفهم الشامل لدى الجمهور العالمي.

باستخدام الروايات المؤثرة والمشاهد الرائعة، تسعى قناة الجزيرة الوثائقية إلى إلهام الجمهور وتوفير منصة للاستكشاف والتعلم حول الحضارة الإسلامية. تلعب القناة دوراً حيوياً في إظهار جوانب متعددة ومثيرة للاهتمام للحضارة الإسلامية وتعزيز الفهم والتقدير لقيمتها وتراثها العظيم.

البرامج الوثائقية عن الحضارة الإسلامية

قدمت قناة الجزيرة الوثائقية مجموعة واسعة من البرامج التي أبرزت الحضارة الإسلامية بمختلف جوانبها. بعض هذه البرامج تشمل:

- "مختارات من الإسلام" (Selections from Islam): سلسلة وثائقية تقدم نظرة شاملة على العديد من جوانب الحضارة الإسلامية، بما في ذلك التاريخ، والعمارة، والعلوم، والفنون، والأدب، والثقافة.
- "رواد الحضارة الإسلامية" (Pioneers of Islamic Civilization): برنامج يستعرض حياة وإسهامات العلماء والفلاسفة والفنانين والأدباء البارزين في الحضارة الإسلامية، ويسلط الضوء على إرثهم الثقافي والفكري.

- "التحف الإسلامية" (Islamic Treasures): سلسلة تستعرض المعارض والمتاحف الإسلامية حول العالم وتعرض التحف والآثار الثمينة التي تمثل تراث الحضارة الإسلامية.
 - "العمارة الإسلامية" (Islamic Architecture): برنامج يعرض العمارة الإسلامية المميزة من المساجد والقصور والمعابد والبنائيات التاريخية، ويستكشف التقنيات المعمارية والتصاميم الفريدة في الحضارة الإسلامية.
 - "تراث الأدب الإسلامي" (Heritage of Islamic Literature): سلسلة تلقي الضوء على الأدب الإسلامي والشعر والقصص والكتب المهمة في الحضارة الإسلامية، وتستعرض مساهمات الكتاب والشعراء الإسلاميين البارزين.
- هذه مجرد أمثلة قليلة من البرامج التي قدمتها قناة الجزيرة الوثائقية لإبراز الحضارة الإسلامية. توجد المزيد من البرامج والسلاسل التي تعرضت لمختلف جوانب الحضارة الإسلامية وأرثها الثقافي والتاريخي.

معالجة البرامج الوثائقية لدور الحضارة الإسلامية

- برامج قناة الجزيرة الوثائقية تعالج دور الحضارة الإسلامية من خلال مجموعة متنوعة من الطرق والمناهج. هناك عدة طرق يتبعها البرامج لتسليط الضوء على الحضارة الإسلامية ودورها. ومن بين هذه الطرق:
- استعراض التاريخ والمراحل الزمنية: تتناول البرامج الوثائقية تاريخ الحضارة الإسلامية بشكل مفصل، بدءاً من بداياتها وانتشارها، ومروراً بالفترات الزمنية المختلفة والمؤثرة في التطور والتغير، مما يساعد على فهم تطور الحضارة الإسلامية عبر العصور.
 - استكشاف المواقع والمعالم الإسلامية: تركز بعض البرامج على استكشاف المواقع التاريخية والمعالم الإسلامية المهمة، مثل المساجد والمدن القديمة والآثار الأثرية. يتم عرض هذه المواقع وتوثيقها بالصور واللقطات المذهلة، مما يساعد على تعزيز الوعي والفهم لدى المشاهدين.
 - استعراض الفنون والعمارة الإسلامية: تركز بعض البرامج على الفنون والعمارة في الحضارة الإسلامية، وتقدم استعراضاً للتصاميم والزخارف الفنية والمعمارية التي تعكس تراث الحضارة

الإسلامية. يتم استعراض الأعمال الفنية والتطورات المعمارية الهامة التي تميزت بها الحضارة الإسلامية.

- التركيز على العلوم والفلسفة: تتناول بعض البرامج العلوم والفلسفة في الحضارة الإسلامية، وتستعرض المساهمات العلمية والفكرية للعلماء والفلاسفة الإسلاميين في مختلف المجالات. يتم تسليط الضوء على الابتكارات والاكتشافات العلمية التي تعززت في هذه الحضارة. وبناءً على ذلك، تلتزم قناة الجزيرة الوثائقية بتقديم برامج ذات جودة عالية ومعلومات دقيقة وموثوقة، بهدف إبراز الحضارة الإسلامية بمختلف جوانبها وتعزيز الوعي والفهم لدى الجمهور العالمي.

أثر البرامج الوثائقية في إبراز الحضارة الإسلامية

تعالج برامج قناة الجزيرة الوثائقية أثر الحضارة الإسلامية من خلال برامجها بعدة طرق تتضمن:

1. استعراض التراث الثقافي والتاريخي: تركز بعض البرامج على استعراض الثروة الثقافية والتاريخية للحضارة الإسلامية، وتوضح الإسهامات المهمة التي قدمتها في مختلف المجالات مثل العلوم والفنون والفلسفة والأدب والعمارة.
2. توثيق الإرث الإسلامي: تسعى برامج الوثائقية إلى توثيق الإرث الثقافي والتاريخي للحضارة الإسلامية، من خلال عرض الآثار والمعالم التاريخية والمواقع الأثرية المرتبطة بالحضارة الإسلامية.
3. استعراض المساهمات العلمية والفكرية: تتناول برامج الوثائقية المساهمات العلمية والفكرية لعلماء الحضارة الإسلامية، وتسليط الضوء على الاكتشافات العلمية والتطورات الفكرية التي حدثت في الحضارة الإسلامية.
4. تسليط الضوء على القيم والأخلاق الإسلامية: تعمل بعض البرامج على تسليط الضوء على القيم والأخلاق الإسلامية التي شكلت أساساً للحضارة الإسلامية، وتبرز التعاليم الإسلامية المتعلقة بالعدل والتسامح والعدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان.
5. الاستكشاف الميداني والشهادات الشخصية: تشتمل بعض البرامج على استكشاف ميداني للأماكن المقدسة والمواقع التاريخية المهمة، وتقديم شهادات شخصية من خبراء وأكاديميين ومؤرخين لتسليط الضوء على أهمية الحضارة الإسلامية وأثرها.

تهدف برامج قناة الجزيرة الوثائقية إلى إظهار الحضارة الإسلامية بشكل شامل ومتوازن، وتسلط الضوء على إرثها الثقافي والتاريخي والعلمي والفني.

الخاتمة

نتائج الدراسة

ساهمت البرامج الوثائقية التي يتم عرضها على قناة الجزيرة الوثائقية في العديد من الجوانب الإيجابية في إبراز الحضارة الإسلامية ومن هذه الجوانب فيما يأتي:

١. زيادة الوعي والمعرفة: تساهم البرامج الوثائقية في زيادة الوعي والمعرفة حول الحضارة الإسلامية وتراثها الثقافي والتاريخي. تقدم المعلومات الدقيقة والشاملة التي تساعد الجمهور على فهم أعمق لمساهمات الحضارة الإسلامية في مختلف المجالات.

٢. إبراز التراث الثقافي: تسلط الضوء على الأعمال الفنية والعمارة والأدب والعلوم والفلسفة التي أثرت في الحضارة الإسلامية. تساهم البرامج في الحفاظ على التراث الثقافي وإبرازه أمام الجمهور العالمي.

٣. تصحيح الأفكار النمطية: تعمل البرامج الوثائقية على تصحيح الأفكار النمطية والتحديات النمطية المرتبطة بالحضارة الإسلامية، وتساعد في تجاوز الأحكام المسبقة وتعزيز الفهم الحقيقي والعادل للحضارة الإسلامية.

٤. تعزيز التعايش الثقافي: تعزز البرامج الوثائقية التعايش الثقافي والتفاهم المتبادل بين الثقافات المختلفة. من خلال تقديم الجوانب الإيجابية والمثيرة للاهتمام للحضارة الإسلامية، تساهم في بناء جسور التواصل والتفاهم بين الثقافات.

٥. إثراء الحوار العام: تحفز البرامج الوثائقية النقاش والحوار العام حول الحضارة الإسلامية، وتشجع النقد البناء والتفكير النقدي. تساهم في إثراء المناقشات المجتمعية وتعميق فهم الناس للتراث الإسلامي وقيمه.

بشكل عام، تعزز البرامج الوثائقية إبراز الحضارة الإسلامية وتلقي الضوء على تاريخها وإرثها الثقافي، مما يساهم في تعزيز الفهم والتقدير للحضارة الإسلامية ودورها في التطور الإنساني.

توصيات الدراسة

توصي هذه الدراسة التي تناولت موضوع دور البرامج الوثائقية في إبراز الحضارة الإسلامية بالنقاط الآتية:

١. ينبغي على البرامج الوثائقية تنويع المواضيع التي تعالجها لتشمل جوانب متعددة من الحضارة الإسلامية. ويمكن تسليط الضوء على العلوم، والفنون، والعمارة، والأدب، والفلسفة، والقانون، والتجارة، والتاريخ، وغيرها من المجالات.
٢. يجب أن تقوم البرامج الوثائقية على البحث العلمي المتأنى والتوثيق الدقيق للمعلومات التي تقدمها. وينبغي التحقق من صحة المصادر وتوثيقها بشكل جيد لتعزيز المصداقية وتجنب نشر المعلومات غير المؤكدة أو المضللة.
٣. يجب أن تغطي البرامج الوثائقية بتقديم الجوانب المتنوعة والمتوازنة للحضارة الإسلامية. ويمكن أن تبرز الإسهامات البارزة لعلماء وفنانين وشخصيات تاريخية، وتوضح تأثير الحضارة الإسلامية على المجتمعات المختلفة وتبادل الثقافة بين الشعوب.
٤. ينبغي تشجيع التفاعل والحوار مع الجمهور من خلال تقديم فرص للمناقشة والتعليق. ويمكن توفير قنوات التواصل مع المشاهدين لتلقي أسئلتهم وتعليقاتهم واستجاباتهم لاحتياجاتهم واهتماماتهم المتعلقة بالحضارة الإسلامية ويكون ذلك من خلال أدوات الإعلام الرقمي مثل: موقع يوتيوب وفيسبوك.
٥. يجب أن تسلط البرامج الوثائقية الضوء على القيم الإنسانية التي تجسدها الحضارة الإسلامية، مثل العدل، والتسامح، والعلم، والحرية، والمساواة. ويمكن توضيح كيف يمكن أن تكون هذه القيم ذات أثر إيجابي على المجتمعات المعاصرة.
٦. يمكن للبرامج الوثائقية التعاون مع خبراء الحضارة الإسلامية، بما في ذلك الأكاديميين والباحثين والمؤرخين، لضمان دقة وتوثيق المعلومات وتقديم رؤى معمقة وشاملة حول الحضارة الإسلامية.
٧. يجب على وسائل الإعلام العربية وكذلك التي تتبع الدول الإسلامية، الاهتمام العربية في إبراز دور وأثر الحضارة الإسلامية.

المراجع

- المزاهرة، منال (٢٠١٢). نظريات الاتصال، ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان.
- نصر، وسام (٢٠٠٣) أجندة اهتمامات المواقع الالكترونية للجهات المعنية بشئون المرأة المصرية: دراسة مقارنة، المجلد التاسع، العدد الثاني، المجلة المصرية لبحوث الرأي العام، جامعة القاهرة :كلية الإعلام.
- القاضي، ندية (٢٠٠٨) إدراك الجمهور المصري لمخاطر إعلانات المنتجات الدوائية: دراسة في تأثير الشخص الثالث، عدد ٣٢، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، جامعة القاهرة :كلية الآداب.
- شاهين، هبه (٢٠٠٩) معايير بناء أجندة القضايا العامة المقدمة في برامج الرأي بالقنوات التلفزيونية المصرية الحكومية والخاصة: دراسة في القائم بالاتصال، عدد ٣٣، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، جامعة القاهرة :كلية الإعلام.
- الحديدي، منى واللبنان، شريف (٢٠٠٩) فنون الاتصال والإعلام المتخصص، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.
- هاردي، فورست. (١٩٦٥). السينما التسجيلية عند جريرسون، ترجمة صلاح التهامي، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- الحديدي، منى. (١٩٨٢) الفيلم التسجيلي: تعريفه اتجاهاته أسسه وقواعده، القاهرة: دار الفكر العربي.
- الشال، انشراح (٢٠٠٦) السينما التسجيلية والفنان التسجيلي، مصر: دار الإيمان للطباعة.
- عطا الله، محمود سامي (١٩٨٠) الفيلم التسجيلي وبناء الإنسان المصري، القاهرة: دار المعارف.
- الوند، جابر عيد (٢٠١٨) عوامل استقرار وازدهار الحضارة الإسلامية: نظام الأسرة في الإسلام نموذجاً، المجلد ٣، العدد ٩، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، ص(١٦١-١٨١).

- غوري، سائد عبدالمجيد (٢٠١٩) الحضارة الإسلامية ركائزها وخصائصها وأسباب ازدهارها ومنجزاتها، الندوة الدولية الخامسة حول الدراسات الإسلامية (إرصاد)، كلية دراسات الحضارة الإسلامية. الكلية الجامعية الإسلامية العالمية، ماليزيا، ص(٨٨٣-٨٩٣).
- محمود، ولاء محمد (٢٠١٦) إشكالية صورة الحضارة الإسلامية في الخطاب الإعلامي المعاصر، المجلد ١، العدد ٢، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، ص.ص (٢٨٣-٢٩٣).
- محمود، أحمد عبد العظيم (٢٠١٦) فاعلية التكنولوجيا الرقمية المستخدمة في التصوير ودورها في النهوض الإعلامي المحلي والعالمي للحضارة العربية والفنون الإسلامية، المجلد ١، عدد ١، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، ص(٣٠-٤٦).
- التوجيهي، عبد العزيز بن عثمان (٢٠٠٣)، خصائص الحضارة الإسلامية وآفاق المستقبل، مج ٢٠، ع ٢٠، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ص (35-54)
- آئينهوند، صادق (٢٠١٠) "الحضارة الإسلامية حضارة إنسانية"، عدد ٢، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية.
- السرجاني، راغب (٢٠٢٠) الحضارة الإسلامية.. مفهومها وأهميتها وأنواعها،
<https://cutt.us/UymdM>
- <http://www.comprofessor.com/2012/10/media-agenda-setting.html>, available at: 17/8/2015.
- Straubhaar, Joseph D. & LaRose, Robert. (2000). Media Now, Communication Media in the Information Age. 2th ed. (Australia: Wadsworth), p 35.
- Maxwell E. McCombs, Donald L. Shaw, (1993). The evolution of Agenda Setting Research: Twenty-Five years in the Market Place of Ideas, Journal Communication, Vol. 43, No. 2, p 58.

المسجد ودوره المستجد في الحد من التطرف وخطاب الكراهية

الدكتور سلطان عودة القرالة

رئيس قسم: مواجهة التطرف والإرهاب - وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية - الأردن

E-mail: sultan-gharalah@awqaf.gof-jordan.gov.jo

ملخص البحث:

يعدّ المسجد في الإسلام منارة علم ومحراب إيمان، كما أنه منبر خطاب للمسلمين، ويشكّل جزءاً هاماً في عقيدة المسلم، وفي شعائر الدين الإسلامي، ويأتي هذا البحث ليلقي الضوء على دور المسجد في الحياة المعاصرة في مواجهة مصادر التطرف والإرهاب ومعالجة مظاهرها، مما يعني: أنّ المسجد موئل أمن وأمان، فلا يستغله الداخلون إليه في تغيير المنهج الذي أقيم لأجله، ولا يدّعي المغرضون دعاوى على المسجد ليس عليها دليل.

وإنّ التعريف بالمسجد لغة واصطلاحاً، يحدد المفهوم الحقيقي له، كما أنّ دوره الريادي في التوجيهات نحو المجتمع الآمن، هو مما ينبغي التعرف إليه، ضمن ربط بين النظريات المجتمعية السائدة في هذا العصر، وبين المقاصد العظيمة للمسجد التي سبقت النظريات المجتمعية أصالة، ومما سهّل على المسلمين التعامل مع المستجدات العصرية.

ويعدّ هذا البحث: " المسجد ودوره المستجد في الحد من التطرف وخطاب الكراهية" تأكيداً على الدور المنوط بالمسجد في ظلّ الظروف المستجدة في الزمان والمكان، ودفعاً للأوهام والدعاوى ضده، وبياناً لسماحة الإسلام.

الكلمات المفتاحية: المسجد، مستجدّ، التطرف.

ABSTRACT:

The mosque and its emerging role in reducing extremism and hate speech
Research Summary:

In Islam, the mosque is a beacon of knowledge and a sanctuary of faith. It is also a platform of discourse for Muslims, and it forms an important part in the Muslim's belief and in the rituals of the Islamic religion, So this research comes to shed light on the role of the mosque in contemporary life in confronting the sources of extremism and terrorism and addressing their manifestations. which means : The mosque is a safe and secure habitat, so the entrants do not exploit it to change the curriculum for which it was established, and the malicious people do not hold claims against the mosque for which there is no evidence.

Defining the mosque linguistically and idiomatically defines the true concept of it, and its pioneering role in directing towards a secure society is something that should be recognized, within a link between the prevailing societal theories in this era, and the great purposes of the mosque that preceded the original societal theories, which made it easier for Muslims deal with modern developments.

This research is Named: "The mosque and its emerging role in reducing extremism and hate speech" is an affirmation of the role assigned to the mosque in light of the emerging circumstances in time and place, and a repulsion of illusions and claims against it, and a statement of the tolerance of Islam.

Keywords: mosque, emerging, extremism.

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، محمد بن عبدالله النبيّ العربيّ الهاشميّ الأمين، وعلى آله الطيبين، وصحابته الغرّ الميامين، وبعد:

فإنّ مظاهر التطرف عالمياً تتامت مؤخراً بشكل مطّرد، مما يدعو إلى القلق والضرورة للحدّ منها، فجاءت الجهود المكلفة اقتصادياً، التي تبذلها الأجهزة الأمنية في العالم، وتتضمن العقوبات الرادعة للحد من هذه الظاهرة الخطيرة، كما بذل الباحثون في علم الجريمة جهوداً لدراسة العوامل التي تزيد من معدلات التطرف، وأهم تلك العوامل: -النفسية، الاجتماعية، الاقتصادية والبيولوجية، وهناك الحادثة، والتصنيع، وضعف الربط والردع.

كما تناولت الدراسات دور الدين عموماً، وفي مكان العبادة: (المسجد) بالخصوص، ودوره في الحد من التطرف، لأن المسجد لديه القدرة في احتواء الفرد وغرس قيم التسامح لديه، وحيث إنّ الأردن بلد عربي إسلامي يحترم الدين، ويحترم المسجد الذي له مكانة في قلوب الأردنيين، فلا بد من الإشارة إلى أن مستوى التطرف لدى رجال الدين في الأردن منخفض، بناءً على دراسة مسحية قام بها الباحث من خلال رسالة علمية بعنوان: (الأدوار المستجدة للمسجد والكنيسة للحد من التطرف والجريمة في المجتمع الأردني) جامعة مؤتة، ٢٠١٨م د. سلطان القرالة.

أهمية البحث:

أولاً: التعامل مع مستجدات عصرية من خلال المسجد الذي يشكل نمطاً حياتياً في الأمة الإسلامية.
ثانياً: الإفادة من أهمية المسجد ومعالجة القضايا العصرية من المنبر والمحراب.
ثالثاً: ضرورة تجديد الخطاب الديني بما يواكب العصر، والتأكيد على أنّ المسجد يتبنى النظريات المجتمعية المعاصرة.
رابعاً: المساهمة في منع الفهم الخاطئ عن الإسلام، والتوصل إلى أسس تجديد الخطاب الديني من غير المساس بالثوابت.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة الدراسة في الإجابة على الأسئلة الآتية:

- (١) ما أهمية المسجد في مواكبة الظروف المستجدة والمعاصر؟
- (٢) ما مدى قيام المسجد في الحياة المعاصرة في مواجهة مصادر ومظاهر التطرف؟
- (٣) ما دور المسجد في توجيه الخطاب الديني نحو المجتمع الآمن في ظروف مستجدة متجددة؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى أمور أهمها:
أولاً: بيان أهمية دور للمسجد في مواجهة القضايا المعاصرة.
ثانياً: التأكيد على المدى الواسع الذي قام لأجله المسجد، وأنه يعالج قضايا مستجدة مثل الفكر المتطرف الذي يدعو إلى الإرهاب.

ثالثاً: بيان دور المسجد في تطوير مفهوم الخطاب الديني ومواكبته للعصر ضمن أسس وثوابت الدين الإسلامي.

الدراسات السابقة:

- دراسة الثقفي، طلال صالح علي، السديس (٢٠١٨) بعنوان " دور الرئاسة العامة لشؤون المسجد

الحرام والمسجد النبوي في تحقيق الوسطية والاعتدال وتعزيز الأمن الفكري

هدفت الدراسة بيان المقصود بالوسطية والاعتدال في الإسلام، ومعوقاتهما، وسبل علاجها. وتبين مفهوم الأمن الفكري في الإسلام، وضوابطه، وسبل تعزيزه، وما هي الكيفية التي يواجه بها الانحراف الفكري المؤدي إلى الجريمة، بفكر مثله؟ وكيف يغذى الفكر بالمنهج الإسلامي الصحيح منهج الوسطية والاعتدال لإبعاده عن الغلو والانحراف الفكري؟، وإبراز دور الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي في تحقيق الوسطية والاعتدال وتعزيز الأمن الفكري. واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي الاستقرائي التحليلي، بأداة الملاحظة وخلصت إلى اعتماد الوسطية والاعتدال على أصول التشريع الإسلامي الحنيف، وأن الحرمين الشريفين هما منبع الوسطية والاعتدال، ومنهما شعّ نور الهداية للعالمين، والمملكة العربية السعودية هي النموذج الأمثل في تحقيق الوسطية والاعتدال، ومحاربة الفكر الضال. أهم التوصيات: اضطلاع العلماء وطلبة العلم والدعاة بدورهم ببيان الحق، وتحصين الأمة بالعلم الشرعي الصحيح، ووقاية عقول أبنائها من الأفكار الهدامة المنحرفة، واستثمار وسائل الإعلام بأنواعه، للحفاظ على وحدة الأمة وتحقيق أمنها.

- دراسة زين العابدين، فاطمة عبد الهادي علاء الدين (٢٠١٥) بعنوان " دور الأسرة ومؤسسات

المجتمع المدني في الوقاية من التطرف والإرهاب: دراسة ميدانية على المجتمع الأردني"

هدف هذه الدراسة إلى معرفة دور الأسرة ومؤسسات المجتمع المدني في الوقاية من التطرف والإرهاب والتعرف إلى أهم الأسباب التي تساهم في انتشاره، كما هدفت إلى التعرف إلى مستويات أدوار كل من الأسرة والمدرسة والمسجد وما تأثير تلك الأدوار في الوقاية من هذه الظاهرة، وقد استخدمت الباحثة منهج المسح الاجتماعي بالعينة وتم اختيار عينة قصدية حجمها (٨٦٦) تم توزيعها على ثلاثة أقاليم الجنوب إقليم الوسط وإقليم الشمال، واستخدمت الباحثة النسب المئوية والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتحليل إجابات الباحثين، وكان من أبرز نتائج الدراسة أن تهميش الأفراد اجتماعيا واقتصاديا من أكثر الأسباب التي تساعد

على انتشار ظاهرة التطرف والإرهاب، وأن مستوى دور كل من الأسرة والمؤسسة الدينية مستوى متوسط في الوقاية من منه، بينما بينت الدراسة أن مستوى دور المسجد هو من المستويات المرتفعة في الوقاية من هذا السلوك الإجرامي، كما كشفت النتائج بأن الأوضاع القائمة لأدوار الأسرة والمؤسسة التربوية تؤثر تأثيراً معنوياً عكسياً على الوقاية من تلك الجريمة بمعنى أن تلك الأوضاع الراهنة لكل من الأسرة والمؤسسة التربوية هي أوضاع محفزة للتطرف والإرهاب بينما الأوضاع القائمة لدور المسجد يؤثر تأثيراً معنوياً إيجابياً، بمعنى أن أدوار المؤسسة الدينية هي أدوار فعالة في الوقاية من ظاهرة التطرف والإرهاب، وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من التوصيات بما يكفل تفعيل أدوار مؤسسات المجتمع المدني في الوقاية من هذه الظاهرة الخطيرة.

• دراسة عباسي (٢٠٢٢) بعنوان الخطاب المسجدي وأهميته في التحذير من التكفير" هدفت الدراسة بيان أهمية الخطاب المسجدي في التحذير من التكفير، والوقوف على المفاهيم الخاطئة الانحرافات الفكرية المنحرفة التي تؤثر على الأمن والاستقرار، واستخدم الباحث المنهج الوصفي والتحليلي، ومن خلال أداة الملاحظة خلصت الدراسة إلى أن الخطاب المسجدي يساهم في نشر قيم السلم والمحبة والتسامح والوسطية ونبذ التعصب والتطرف

منهجية البحث:

أولاً: يتبع البحث المنهج الاستقرائي في تتبع مهام المسجد المنصوص عليها في الشريعة، التي تناولها المعاصرون وتكلموا بها بلغة عصرية.

ثانياً: المنهج الوصفي: من خلال تصوير قضايا التطرف والإرهاب، والوصول إلى الفصل بين الدعاوى غير الصحيحة وبيان الصواب في متعلقات البحث.

ثالثاً: المنهج النقدي: بالوقوف على

خطة البحث:

جاءت خطة البحث على النحو الآتي:

التمهيد:

المطلب الأول: المسجد لغةً واصطلاحاً

المطلب الثاني: تعريف المسجد في القانون
المطلب الثالث: الدور المستجد للمسجد في الإسلام
المبحث الأول: دور الدين في توظيف النصوص للبناء التكويني للإنسانية
المطلب الأول: مفهوم الدين ووظائفه المجتمعية
المطلب الثاني: أهمية المسجد في الحد من دوافع التطرف
المطلب الثالث: أهمية المؤسسة الدينية في تحصين الفرد من الفكر المتطرف
المبحث الثاني: دور المسجد في الحياة المعاصرة في مواجهة مصادر ومظاهر التطرف
المطلب الأول: دور المسجد في التوجيهات نحو المجتمع الآمن
المطلب الثاني: آثار التطرف
المطلب الثالث: أنواع التطرف
المطلب الرابع: أهداف ومظاهر التطرف
المبحث الثالث: النظريات المفسرة لدور المسجد في الحد من التطرف والجريمة
المطلب الأول: التطرف في الأردنّ وسبل مواجهته
المطلب الثاني: مفهوم التطرف الديني من منظور المفاهيم الشرعية
المطلب الثالث: النظريات في الحد من التطرف والجريمة

تمهيد:

يأتي هذا البحث بعنوان: (المسجد ودوره المستجد في الحد من التطرف وخطاب الكراهية)، للتعريف بالمسجد لغة واصطلاحاً، ودوره المنوط به، وذلك على النحو الآتي:
المطلب الأول: المسجد لغةً واصطلاحاً:

المسجد لغةً: من خلال المعجم العربي، نجد ابن منظور يضع بين أيدينا ما يعدّ توضيحاً جلياً للعديد من متعلقات هذا البحث، فمن خلال التعريف بالمسجد لغة يقول: "والمسجد والمسجد: الذي يُسجد فيه، وفي الصحاح: واحد المساجد. وقال الزجاج: كل موضع يُعبد فيه فهو مسجد مسجد، ألا ترى أنّ النبيّ، صلى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ؛ الْمَعْنَى عَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ أَنَّهُ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ خَالَفَ مِلَّةَ الْإِسْلَامِ؟ قَالَ: وَقَدْ كَانَ حُكْمُهُ أَنْ لَا يَجِيءَ عَلَى مَفْعَلٍ وَلَكِنَّهُ أَحَدُ الْحُرُوفِ الَّتِي شَدَّتْ فَجَاءَتْ عَلَى مَفْعَلٍ. قَالَ سِيبَوَيْهِ: وَأَمَّا الْمَسْجِدُ فَإِنَّهُمْ جَعَلُوهُ اسْمًا لِلْبَيْتِ" (ابن منظور، لسان العرب).

كما أن كلمة المسجد لغةً: "اسمٌ لمكانٍ مشتقة من الفعل الثلاثي "سَجَدَ ويسجد"، وقد اتخذ المسجد اسماً للمكان الذي يدلُّ على الطاعة والعبادة "كما أنَّ المسجد لغة يعني: "جمع مساجد، سجد بمعنى أدى الصلاة في المسجد، وهو اسم مكان من سجد" (قاموس المعجم الوسيط باللغة العربي المعاصر، ٢٠١١).

المسجد اصطلاحاً، هو: "المكان الذي يجتمع فيه المسلمون بغض النظر عن ألوأنهم، وأجناسهم؛ لممارسة الشعائر الدينية. فهو محلٌّ للعبادة والصلاة" (رمضان، ٢٠١٣). دور المسجد في الاندماج السياسي في المجتمع العراقي المعاصر: دراسة تحليلية من منظور اجتماعي).

ويستخلص من معاني المسجد الحسية، معاني معنوية تؤثر في النفوس، ومن تلك المعاني، أنه المكان الذي يقف به المسلمون صفاً واحداً بغض النظر عن جنسهم وألوأنهم، لأداء فريضة الصلاة.

المطلب الثاني: تعريف المسجد في القانون:

لقد عرّف قانون الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية رقم: (٣٢) لعام: (٢٠٠١)، المسجد على أنه: "المكان الذي يخصص لإقامة الصلاة، ويفتح للجميع في الصلوات المفروضة وغيرها من العبادات، وتشمل توابعه دار القرآن الكريم، والمكتبة، ومصلى النساء، وسكن موظفي المسجد والمتوضأ، وحديقة المسجد، وساحاته، وأية أماكن أخرى ملحقة به".

ويعرّفه (الضامري، ٢٠٠٥) أنه: "بيت الله المُعَدُّ لعبادة الله، وأداء الجُمُع والجماعات، والتربية والتوجيه". أما الصالح فيعرّفه أنه: "المكان المحاط بالجدران، وتؤدي فيه جماعة من المسلمين الصلوات الخمس المفروضة، وصلوات الجمع والعيد" (الصالح ٢٠٠٩)). فالمسجد وبكل الاستخدامات اللغوية يعني "مكان ممارسة الصلاة، بوصفها شعيرة دينية" (السعيداني، ٢٠١٥). بهذه التعريفات المتعددة، يتبين أهمية المسجد في الدراسات المعاصرة، وما تناولته في التصوير العام للمهام المنوطة به، وبالتعريفات لم نجد دعوة من المسجد لتطرف أو إرهاب.

المطلب الثالث: الدور المستجد للمسجد في الإسلام

إنَّ الأهمية التي حظي فيها المسجد في الإسلام بالغة، ولم تزده الأيام إلا أهمية، من أجل ذلك قامت العديد من المهام وتمّ تنفيذها على العديد من الأصعدة من خلال المسجد، من ذلك تجديد الخطاب الدينيّ ونبذ الكراهية، وهو الذي أضفى على هذا البحث مسألة: (دور المسجد المستجد)، فمن خلال المعنى الآتي: "مُسْتَجِدّ، فاعل من استجد، ومُسْتَجِدَّاتُ المَرْحَلَةِ الرَّاهِنَةِ: مُتَطَلِّبَاتُهَا الجَدِيدَةُ، تَطَوُّرَاتُهَا" (موقع: معاني).

ومن خلال المسجد ودوره المستجدّ، استطاعت الدّول التواصل لإعطاء الصورة النقية عن الإنسانية وهي تربط معاني الوئام بينها، وقد استطاعت الجهود الإسلامية المتكاثرة في ترسيخ المعنى الحقيقي للمسجد، وأنه يأخذ دوره الدينيّ والإنسانيّ -زماناً ومكاناً-، وتعدّ رسالة عمان التي أطلقها جلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين، وما أُرْدِف بها من مبادرات عالمية لتواجه خطاب الكراهية بين الأمم، كان المسجد هو المحور الأساس في بيانها وشرح مضامينها ونشر مفاهيمها.

ومن هنا جاء "الدور المستجدّ للمسجد" في علاج القضايا المعاصرة، ومن خلاله يكون خطاب العامة والخاصة، فنجد الحرص الشديد من ولاية الأمور في إعطاء المسجد الأهمية البالغة ليتمكن من تحقيق المعاني العميقة، التي من أجلها أنشئ أصالة، وكلّ ذلك يزيد ولا يُنقص من قدر المسجد.

ومن الدلائل على الدور المستجدّ للمسجد، الخطاب الملكيّ السامي الذي وجهه الملك عبدالله الثاني ابن الحسين لعموم الأئمة والوعاظ القائمين على شؤون وإدارة المساجد، ليواكبوا المستجدات الراهنة، ويأخذون دورهم في البناء التكامليّ للصورة النقية للإسلام، حيث قال جلالتة: "إنّ مسؤولية كبيرة تقع على عاتق الأئمة والوعاظ، في الإرشاد وتعزيز قيم التكافل والتراحم والبرّ والإحسان، وإننا دائماً بحاجة إلى تطبيق تعاليم الدين الإسلاميّ الحنيف، الذي يركّز على حسن التعامل بين الناس والمبنيّ على التسامح والاحترام والمحبة"، ثمّ يبيّن جلالتة الخطاب أهمية رسالة المسجد في العالم، من خلال المسجد والإمام والواعظ: "رسالتكم نبيلة، ودوركم مهمّ في خدمة بيوت الله، ونشر رسالة الإسلام السمحة، ومكارم الأخلاق".

المبحث الأول: دور الدين في توظيف النصوص للبناء التكويني للإنسانية

مما مضى يتبين أن للمسجد مكانة عالية من الناحية الدينية، وأنه الرابط بين المسلمين من خلال أداء الشعائر الدينية فيه، فهناك الصلوات الخمس والجمعة والأعياد وغيرها، مما يعني أن للمسجد دور في تكوين شخصية الفرد والمجتمع، من خلال التعاليم التي يبثها الدعاة والأئمة، مسترشدين متبعين النصوص الشرعية، وهو ما سأتناول شيئاً منه في المطالب الآتية.

المطلب الأول: مفهوم الدين ووظائفه المجتمعية:

استخدمت كلمة الدين في مواضع كثيرة من القرآن والسنة النبوية، بينما لم تستخدم كلمة ديانة ولا مرة واحدة. قال الله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ (الشورى: ١٣). وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ). (مسلم، صحيح مسلم، كتاب البرِّ والصلَّة والآداب، باب فضل الرُّفْقِ).

ولأهمية المسجد في حياة المسلم، أمر الرسول ببناء المساجد، والمحافظة على نظافتها، وكان بيني المساجد في الأماكن التي يقيم فيها في حالة السفر، أو الحرب، وقد حثَّ الرسول صلى الله عليه وسلم، على دوام التردد عليها، وقد قال صلى الله عليه وسلم: "وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَذَكَّرُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَعَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ" (مسلم، صحيح مسلم، كتاب البرِّ والصلَّة والآداب، باب فضل الرُّفْقِ)، ويأتي قوله صلى الله عليه وسلم: " أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا" (الأهمل، ١٩٩١). دور المسجد في التربية)، تأكيد على أن الاجتماع لا التفريق مصدره المسجد وما يتلى فيه من كتاب الله تعالى، وما دام أن كتاب الله بين أيدينا، ويمكن أن يطلع عليه الناس، فلن يجدوا إلا آيات الرحمة للعموم، وأما آيات العذاب فهي لردع المعتدي على الأمنين المطمئنين، لا ابتداءً بظلم وعدوان.

فالمسجد أحب البلاد والمواطن عند الله، ويعدّ مؤسسة يعهد إليها المجتمع بتربية أفرادها، ورعايتهم، وتوجيههم، وتنشئتهم التنشئة الاجتماعية الإسلامية الصحيحة، فيضيف الأهمل: دور في التنقيف الديني، والسياسي والاجتماعي، فهو لم يكن داراً للعبادة فقط، ولكنه ملتقى للمسلمين، ومركزاً إعلامياً، ومقرراً للقيادة،

وداراً للمعرفة، والعلم والقراءة والوعظ والإرشاد، ومكاناً لتعليم أصول الدين، واللغة، والأدب، فهو من أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية في بناء الفرد والمجتمع الصالح، ومما يدلُّ على مكانة المسجد في نشر الفضيلة، وعظم منزلته، أنه - سبحانه وتعالى - فضَّل المساجد على جميع الأمكنة على الأرض، وحثَّ على بنائها، وعمارتها مادياً ومعنوياً، وجعل من أهم وظائفها إدامة ذكره، وإقامة الصلاة؛ ابتغاءاً لمرضاته (الأهدل، ١٩٩١). قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ (التوبة: ١٨).

كما تتعدد وظائف الدين في حياة الإنسان، وأما في الإسلام فهناك الوظائف الدنيوية والوعد في الدار الآخرة، مما يعني الإحاطة الشاملة لجزيئات الحياة. فالدين له دور كبير، تشير الردايدة إليه: "يدور حول محور التوحيد والاستسلام والتسليم الكامل لله تعالى، وعبادته قولاً وفعلاً، والإيمان بما جاء في كتاب الله تعالى، والسنة النبوية الشريفة، والالتزام بالعقائد والأحكام والتشريعات، والأوامر والنواهي التي حددتها الشريعة". (الردايدة ١٤٢١هـ). ومن تلك الوظائف التي يمكن للدراسة الوقوف عليها:

أولاً: الوظائف الاجتماعية للدين من خلال المسجد:

المسجد موئل الراحة والطمأنينة والمناجاة والعبادة، وهو يشكل جزءاً من حياة المسلمين، ويؤدي دوراً وظائفياً مجتمعياً: (يحتاج الإنسان إلى اعتناق دين لحاجته الماسة إلى قوة يثق فيها، ويلجأ لها عند الحاجة، وقد توسعت الأبحاث والدراسات العلمية التي ركزت على وظائف الدين على المستويين الفردي والاجتماعي؛ لما للدين من تأثير في المجتمع والثقافة والشخصية، وفي عمليات الثبات، والتغير الاجتماعي، وبناء الأنساق المعيارية، والرضا، أو الإحباط المتصل بالحاجات الشخصية (رشوان ٢٠٠٤)). الدين والمجتمع دراسة في علم الاجتماع الديني).

كما أن النتائج البارزة لدور المسجد تتمثل، بأمور يمكن ذكر بعض منها، كالآتي:

١. السيطرة على ضبط سلوكيات الفرد بالموعظة الحسنة.
٢. توحيد المجتمع في كيان واحد متناسق بعيداً عن التناقض والصراع، من خلال الاتفاق على عبادات، ومعاملات، وطرق تفكير واحدة، أي بمعنى أوسع الحفاظ على التماسك الاجتماعي للجماعة.
٣. التكامل والتساند الاجتماعي، وربط الأنساق الاجتماعية بعضها بعضاً.

٤. إرساء قواعد للعدالة المجتمعية بين الأفراد في المجتمع، لتحقيق الاستقرار الشامل.
٥. توزيع الميراث بعدالة بين الورثة، لنزع الخلافات غير المنطقية ولا الإنسانية.
٦. إشباع الحاجة الإنسانية للفرد والمجتمع من خلال الشعور بالأمن والطمأنينة

الثاني: الوظائف الذاتية:

تشكل هذه الوظيفة لدى المرء، إحساساً بإنسانيته، وأنه وجد لعمارة الأرض واستخلافها، فهذا يجعل الإنسان يشعر بقيمته، وأنه مخلوق مكرم إلى الانتماء إلى جماعة تمنحه الشعور بالقبول والاحترام والقوة على مواجهة الحياة، فهو يسعى إلى الارتباط مع جماعة، تكون مرجعية ومستنداً في إقامة الخلافة في الأرض، كما أن الاجتماع في المسجد للمسلمين، والمسيحيين في كنيسة واحدة، واليهود في كنيس واحد، يشعر بالإحساس بالولاء والانتماء إلى جماعة تقدّر وتضبط سلوك الفرد وتشعره باستقرار النفسي، "فالدّين ومن خلال تقوية الارتباط بين أتباعه، يساعد على الاستقرار الثقافي، فإحساس الفرد بمكانته عند الله -سبحانه وتعالى-، وأن سلوكه مراقب، وأن هناك ثواباً وعقاباً ولقاء يضبط سلوكه ضمن حدود المعتقدات الدّينية، فالدّين يساهم في نضج الأفراد، وتغيير أدوارهم، فالارتباط بالمسجد، أو الكنيسة تعطي الفرد مكانة تحاط بالاحترام والهيبة، ودلالة أخلاقية، وقد استغلت هذه المكانة والاحترام من قبل بعض الأشخاص لدعم مواقفهم، وتعزيز مكانتهم، والحصول على الدعم، وبهذا فإن بعض الأفراد يعززون مكانتهم من خلال تسخير الدّين، واستغلال المكانة الذاتية التي يحظى بها، نتيجة التدين في تحقيق مصالح شخصية، والتأثير على الآخرين. (داو، جيمس. (٢٠١٦))

الثالث: الوظائف البنائية:

إنّ الوظائف البنائية للدين، تظهر في تماسك النسق الاجتماعي، وربطها بعضها ببعض، من خلال تماسك الجماعة، وإحساسهم بالانتماء لبعضهم البعض، ويؤكد الغيلاني على أنها "ظاهرة بوضوح في المجتمعات المتجانسة،...، فالدّين يحقق الاستقرار الاجتماعي، من خلال القدسية التي يضفيها على معايير وقيم المجتمع (الظلم حرام، والربا محرم، والزنا والخمر أيضاً محرمان)، ويستطيع ضبط المجتمع أكثر من الضبط الرسمي، فهو أداة للتغيير الاجتماعي من خلال دعوته للعدالة الاجتماعيّة، ونصرة الضعيف فأى

انتهاك لتلك القواعد فإن الدين يقاومها". (الغيلاني، سؤال الدين والتدين في المجتمعات العربية: ملاحظات منهجية ومعرفية.)

الرابع: الوظيفة النفسية:

"يعد الدين أحد الوسائل الناجعة لعلاج الاضطرابات النفسية، فهو يقاوم الاكتئاب، ويقدم الدعم والمساندة للإنسان". فالله سبحانه وتعالى هو الرزاق والشافى، كما يقدم إجابات يواجهها الإنسان عن أمور غامضة. (الغيلاني، سؤال الدين والتدين في المجتمعات العربية: ملاحظات منهجية ومعرفية.)

الخامس: الوظيفة السياسية:

إن السياسة الشرعية في الإسلام، تؤطر جهود المسلمين بالتقيد بالنصوص الشرعية، ودرء الأهواء، ويأتي القانون ليحمي الفرد من الخلل الفكري، ومن الدخلاء على التماسك المجتمعي، من خلال السياسة الداخلية وأيضاً الخارجية: "تتمثل في منح الشرعية للنظام السياسي (البيعة)، ومقاومة المحتل والظلم، وتحديد الأطر الضرورية التي تنظم العلاقة بين الدولة والمجتمع" (العلوي، سعيد. (٢٠١٦). المؤسسة الدينية في الإسلام). وبما أن إدارة المؤسسة الدينية، لها ارتباط بالمجتمع من خلال المسجد وأدواره المستجدة المجتمعية ووظائفه الأخرى، كان الأحرى أن تكون الرقابة على المسجد لأن القائمين عليه هم شريحة من هذا المجتمع، والواقع يشهد لهذه الضرورة:

"إلا أن المؤسسة الدينية ليست ذات استقلال كلي في تنظيم الشأن الديني، ولكن اشترك معها مؤسسات أخرى، كمؤسسة الأسرة، والمؤسسة التربوية، ومؤسسة السياسة، فالدين أكثر الأشياء اتساعاً، وأعمق انتماء في المجتمع، حيث يعتقد كل فرد أو جماعة أنه ملكاً خاصاً له، أو لها، وقد شهدت المؤسسات الدينية تجاذبات متعددة، وضعفت وقويت في أزمنة مختلفة. (شلوف. (٢٠١٦). المؤسسة الدينية بين سلطتي الديني والسياسي)

ويأتي الحديث عن دوافع وموانع التطرف، ليتبين أن للمسجد أهمية في ترسيخ مفهوم التواصل، والمودة والمرجعية، والرحمة، ونحو ذلك من موانع التطرف، كما في المطلب الآتي:

المطلب الثاني: أهمية المسجد في الحدّ من دوافع التطرف

إنّ العوامل الدافعة إلى التطرف، يحاربها الدّين من خلال النصوص الشرعية، لأنّ معالجة الضدّ شفاء من الضدّ، ومن أهم ما يمنعه الإسلام:

١. غياب العدالة الاجتماعية.
 ٢. عدم التركيز على مفهوم المواطنة الصالحة.
 ٣. ارتفاع معدلات الفقر والبطالة.
 ٤. سوء فهم وتفسير نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية.
 ٥. تقصير نظام التعليم في تعلم طرق التفكير الإبداعي.
- فخطب الجمعة والأعياد والمناسبات الدينية، والدروس العلمية، والوعظ، وغيرها مما منشؤه المسجد، يدعو للحدّ من مظاهر وعوامل التطرف، وقد جاءت هذه الدراسة لتشير إلى أهم آثار التطرف على المجتمع الأردني، ومنها:

١. انتشار الجريمة بشتى أشكالها وألوانها المتعددة.
 ٢. تفكيك روابط المجتمع الأردني، وانهيار النظم الأخلاقية، والفقر والبطالة، وغياب الأمن الفردي والمجتمعي.
- فالدين الإسلامي الذي يعتبر المسجد منطلق الإيمان والأمان، يساعد على نشر الأساليب المتعددة لمواجهة الفكر المتطرف، ومن تلك الأساليب:
١. إصلاح نظام التعليم.
 ٢. محاربة الوساطة والمحسوبية.
 ٣. الإصلاح الاقتصادي.
 ٤. توفير فرص العمل.
 ٥. تفعيل المواطنة الصالحة وقيمها.
 ٦. محاربة التعصب العشائري والقبلي.

فهذه الأساليب نجد أنّ النصوص الشرعية واضحة في بيانها وتأكيد الصواب من أمرها، والتحذير من عواقبها.

المطلب الثالث: أهمية المؤسسة الدينية في تحصين الفرد من الفكر المتطرف:

يُعد مفهوم المؤسسة من المفاهيم الحديثة نسبياً، التي استخدمت مع ظهور الدولة بمعناها الحديث (الدولة الوطنية)، وتتكون من: "مجموعة من المؤسسات، تقدم مجموعة من الخدمات لمواطنيها، حيث إن التخصص، وتقسيم العمل تطلب إيجاد العديد من المؤسسات أوكل لكل منها تقديم خدمة محددة ضمن أطر قانونية وهيكلية تنظيمية ومرجعية معيارية، وضمن التنظيم المؤسسي الرسمي جاءت المؤسسة الدينية التي تولّت الإشراف على تنظيم الشأن الديني، ضمن إطار دستور الدولة وقوانينها" (نسيرة، هاني. (٢٠١٥)). المؤسسة الدينية عوامل التأثير وتحديات الدور من المأمول إلى اللحظة الداعشية).

ومن باب مواكبة العصر وإعطاء المسجد الدور في معالجة قضايا مستجدة كالإرهاب والتطرف، ومنع التهافت على اتهام المسجد ورواد المساجد، واستغلال النصوص الشرعية للولوج إلى مبتغيات متعددة غير معني بها تلك النصوص، أخذت الدول الإسلامية على عاتقها رعاية المساجد والدور المنوط به، "فأهمية المؤسسة الدينية، تجسد الجانب الاجتماعي للدين في عصر تقسيم العمل بمؤسسات دينية، تتصل بهيئات وتنظيمات مختلفة كوزارات الأوقاف، ودوائر الإفتاء، والجامعات والمعاهد الإسلامية، والجهات الدعوية والخيرية وتضطلع هذه المؤسسات بأدوار ووظائف، ولها أهداف متعددة جميعها تتعلق بتنظيم الشأن الديني ودوره في إدارة المجتمع. وتتبع أهمية المؤسسة الدينية من قدرتها على تشكيل شخصية الفرد، وتوجيه وعيه، وتشكيل علاقاته الداخلية والخارجية، وفي جميع المجالات الاجتماعية والسياسية والمعرفية. (بحروني، (٢٠١٥)). المؤسسة الدينية بين المقدس والديني).

"لكن يختلف دور وأهمية المؤسسة الدينية في التنشئة والدعوة الدينية، من دين لآخر، ومن مذهب وطائفة إلى أخرى، فأهمية المؤسسة الدينية تأتي من قيامها بالوظائف الآتية:

١. نشر العبادة، والمعرفة بين المؤمنين، وإعداد العلماء والقضاة العدول والوعاظ.
٢. الإفتاء في القضايا المستجدة.
٣. التنظيم القانوني لحياة المؤمنين، من خلال جهاز قضائي وفقاً لأحكام الدين. (شلوف، (٢٠١٦)).

المبحث الثاني: دور المسجد في الحياة المعاصرة في مكافحة مصادر ومظاهر التطرف

المطلب الأول: دور المسجد في التوجيهات نحو المجتمع الآمن:

لم يقبع المسجد خلف الأسوار المجتمعية بعيداً عن دوره المنوط به، بل إنه أخذ على عاتقه التفاعل المجتمعي مع المستجدات الراهنة، وهو مما يحسب للقائمين على المساجد، ويذكر أحد الباحثين قائلاً: "إن للمسجد أدواراً كبيرة في بناء المجتمع إذا تم تفعيلها في الحياة المعاصرة، فسيُعطي الصورة النقية عن الإسلام، وهي الصورة التي تتجسد فيها سماحة الإسلام التي يدعو إليها من خلال التعاليم والتشريعات" (الصالح، ٢٠٠٩).

ويضيف الصالح: "تكمن أهمية المسجد الإصلاحية في الآتي:

١. التوجيه الديني، والفكري، والتعليمي، والأخلاقي، والتربوي، فالمسجد هو المدرسة والجامعة التي يتربى بها المسلم روحياً وإيماناً وخلقياً واجتماعياً، من خلال غرس العقيدة، وبناء القيم والأخلاق.
٢. مركز تأخٍ، ومساواة بين المسلمين، ففي المسجد تختفي مظاهر الفوارق الطبقية بين المسلمين، فهم يقفون صفاً واحداً، يدعون رباً واحداً، فلا فضل لعرق على عرق، أو لون على لون إلا بالتقوى والعمل الصالح، والحظ على التسامح والمحبة والوئام، فهو ضمان تماسك المسلمين، وتواديهم، وتراحمهم، وتكافلهم، وتعاونهم على البرِّ والتقوى، فهو مكان التقاء للمسلمين، والتعارف بينهم.
٣. بيان المنكر وإنكاره والنهي عنه، والمعروف، وتعريف الناس به، وحظ الناس عليه والأمر به، فهو مصدر ترسيخ العقيدة، وتنقيتها من الشوائب، وهو مكان تعليم أحكام الدين، وتنظيم أمور الدنيا، وبيان الحلال من الحرام.
٤. تحقيق الأمن الفكري والانتماء الوطني.
٥. الدور الاقتصادي المتمثل في تقديم المساعدات المادية للفقراء، والحظ على كفالة الأيتام من خلال إنشاء لجان الزكاة في المساجد، وإنشاء مراكز لتعليم المهن والحرف .
٦. التدخل في المشكلات الاجتماعية وحلها، وجعل المسجد مركزاً للتقاضي وإحقاق الحق، من خلال إنشاء لجان اجتماعية ملحقة في المسجد".

وبما أنّ الأدوار متعددة للمسجد، فيلزم مراجعة عوامل التأثير على سير عملية إجراء الأدوار، خصوصاً أنّ الحياة العصرية دخلها النمط الإداري بشكل عميق. كما أنّ معرفة عوامل التأثير تقلل من أخطاء العمل، وتزيد نسبة النجاحات في أداء الدور المستجد للمسجد، وهو ما أشار إليه الروسان:

"وأدوار المسجد في بناء المجتمع بين ممارسة النشاط الديني، والسياسي، والاجتماعي، ومن أهم العوامل التي أثرت على أدوار المسجد في الحياة السياسية، والاجتماعية، في المجتمع الإسلامي في العصر الحديث وأدت إلى تراجعها:

١. تزايد أعداد السكان .
 ٢. تقسيم العمل؛ نتيجة لعوامل التحديث .
 ٣. تنامي دور المؤسسات الاجتماعية الأخرى على حساب المسجد: كالمدرسة، والجامعة،
 ٤. الاهتمام بالعلم القائم على التجريب (الروسان، (٢٠٠٩). تبدل صورة الجامع ووظيفة في المجتمع الأردني المعاصر مقارنة سوسيولوجية).
- وحيث إنّ المسجد شكّل رابطاً في حياة المسلمين، جاء لتفعيل الأدوار مستجدات في المرحلة، وهنا يلخص محمد (٢٠١٤) عوامل تراجع دور المسجد المعاصر واقتصره على مجرد مكان لتأدية عبادة الصلاة، وتقلص عدد مرتاديه، وخاصة من فئة الشباب بالآتي:
١. ضعف الالتزام الديني، ودور الدين في حياة الفرد في الوقت المعاصر، حيث يرى أن تطور الرأسمالية قد أضعف الأساس الاجتماعي، والثقافي للدين.
 ٢. ضعف قدرات الدعاة الفكرية على جذب المزيد من الشباب.
 ٣. ضعف الإعداد العلمي للدعاة.
 ٤. ضعف الأداء الوظيفي للمسجد في الوقت المعاصر، مقارنة بعصور سابقة، حيث كان مقرأً تمارس فيه الأنشطة الاجتماعية الخيرية، والاقتصادية، والسياسية، ومقاومة المحتلّ، حيث خرجت منه مقاومة الغزو التتري في بلاد الشام، والفرنسيين في مصر، فقد قاد علماء الأزهر بالمقاومة. وكان مدرسة لتلقي العلم الديني، والديني، والقيم، ومجلساً للشورى، ودار قضاء، وضيافة.

٥. انتشار الانحرافات الأخلاقية والسلوكية في المجتمعات الحديثة، ومنها الإسلامية.
٦. انطباع شخصية الإنسان، وخاصة المسلم، والعربي تحديداً بالعصر الحديث بالسلبية، والتخاذل، والتواكل، والبحث عن اللهو والترفيه.
- وفي المجتمع الأردني كمجتمع معاصر فقد لوحظ أيضاً تراجع عدد مرتادي المسجد، وخاصة من فئة الشباب، وضعف دوره كمؤسسة اجتماعية في تطوير الحياة الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، وعلى مواجهة المشكلات الاجتماعية التي تواجه المجتمع الأردني (الفقر، والبطالة، والطلاق، والجريمة)، وقد يعود ذلك إلى الأسباب الآتية:
١. ضعف الأمة الإسلامية بشكل عام .
 ٢. عدم كفاءة القائمين على إدارة المساجد، من الأئمة والمؤذنين.
- وبعد كل هذه التفاصيل، وفضلاً عن الواقع الذي يعيشه العالم، يتطلب من الباحثين التنويه على أن التطرف لا يحده دين ولا معتقد، ولا زمان ولا مكان، فأما الإسلام فهو يبرأ من كل التصرفات الهجينة التي لا يدعو إليها، ومع ذلك فإننا نجد فريقين لا يقولان العدل:
- الفريق الأول:** الذين يدعون أن الإسلام يحضهم على الكراهية، ويخولهم التحكم في رقاب العباد، متخذين من النصوص حجة، ولكن الحري بالمسلم أن يعاود قراءة النص من خلال الأصول العامة للدين الإسلامي، ومن أقوال العلماء لا من فهم الفرد الملصق بالهوى فحسب.
- الفريق الثاني:** الذي يلصق بالإسلام دعاوى زائفة، تدعي اشتغال النصوص الشرعية على التطرف، مع أن الجهود الإسلامية توضح زيف تلك الدعاوى.
- والصورة المعاصرة تؤيد، بأن التطرف ليس حكراً على أحد: "تنامت في السنوات الأخيرة، وتحديداً خلال العقدين الأخيرين وبشكل يدعو للقلق، فظاهرة التطرف على المستويين العالمي والمحلي، وأصبحت من القضايا السلوكية العامة المنتشرة في كل المجتمعات، وليس حكراً على مجتمع دون آخر، وهي ظاهرة قديمة، وغير مرتبطة في عصر التقنية والتقدم العالمي، ولكن الفرق بين التطرف في العصر الحديث، وقديماً هو انتقالها من المجال الفردي لتصبح إحدى الظواهر الاجتماعية، وقد تجاوز حد الفروق الثقافية بين المجتمعات فالأصولية، أو التحجيرية كما يسميها هابرماس موجودة في الشرق، كما هي في الغرب، وتقود إلى صدام

حضارات، ينتج عنها حروب عنيفة تؤدي إلى صدمات كبيرة، كما هي اليوم (المحمداوي، الدّين في المجتمعات المعاصرة: رؤية هابرماسية).

كما لا يخفى ذا لبّ، من أنّ التطرف وحشية تنبع من نفسٍ بحاجة إلى عناية، وهو ما أشار إليه علماء النفس: "أمّا علم النفس فإنّه يعدّ التطرف: سمة فردية، تميز الفرد عن غيره من الأفراد، وإن كان فيه انغلاق في الفكر، إلا أنه سلوك فردي، وهو استجابة لحماية الذات، من القلق والشعور بالنقص والضعف، فهو أحد مظاهر الجمود الفكري، وطريقة منغلقة في التفكير، ترتبط بفكرة، أو اعتقاد لا يتسامح المتطرف مع الأشخاص الذين يحملون معتقدات تعارض أفكاره ومعتقداته، في حين يحترم ويتسامح مع من يحمل معتقداً يماثل معتقده" (القحطاني، والطلافة، ٢٠٠٨).

فالتطرف يشير إلى اعتناق فرد، أو جماعة فكراً، أو مذهباً، أو سلوكاً مغايراً لفكر، أو مذهب أو سلوك ما تعارفت عليه جماعة اجتماعية، وقد يبدو بمظهر التأييد، ويتشدد موضوع ما، أو المعارضة له، ولكنه أكثر ارتباطاً بالعقيدة الدّينية.

وهذا لا يعنى أن يتوسع ليشمل العلاقات الاجتماعيّة والأسرية، فهو يمثل ابتعاداً عن الاعتدال، والوسطية في الفكر والسلوك، وفيه غلو، وتشدد بالتمسك بالأفكار، سواء كانت صحيحة، أو خاطئة، ومن السهولة بمكان أن يستخدم المتطرف العنف، والإرهاب للتعبير عن أفكاره، وجعل الآخرين يؤمنون بها.

المطلب الثاني: مصادر التطرف وسبل الحد منها:

يتبنى الإنسان التطرف، ويصبح منهجاً لحياته؛ نتيجة لمصدر، أو أكثر من المصادر الآتية:

١. المصادر العقلانية، وتتمثل في: "سعي الفرد، أو الجماعة لتحقيق أهداف سياسية، واقتصادية، واجتماعية محددة، وقد يكون غياب الديمقراطية وحرية التعبير عن الرأي أحد أسباب التطرف، نتيجة الشعور بالظلم والقهر، وعدم المساواة والحرمان والفقر والبطالة، وعدم تكافؤ الفرص والاستبداد السياسي" (بن حمودة، ٢٠١٦).

٢. المصادر النفسية والشخصية: "فالتطرف قد يكون ظاهرة نفسية له أبعاد نفسية، ترتبط في مركب النقص، والتسامي الذي يشعر به الفرد في فترة ما من حياته، فهو بنية سيكولوجية يغذى بمعطيات ثقافية". (هريمة، ٢٠١٧)، كما: "ويظهر بمظهر شعور الفرد أو الجماعة بالفشل والإحباط والاعترا ب الاجتماعي، والشعور أنه

ضحية للظلم والاضطهاد من قبل جماعة، أو نظام سياسي، ويقع ضمن هذا المصدر العقلية الدوغماتية (الجمود الفكري)، التي تتسم بالجمود، وإنه فقط يملك المعرفة والحقيقة المطلقة، فالدوغماتي غير قادر على تغيير نظامه الفكري ضمن معطيات الواقع والشروط الموضوعية المحيطة". (محفوظ، ٢٠١٧).

٣. المصادر الثقافية والدينية: "إن تهديد المكون الثقافي كالعادات والتقاليد والقيم والمعايير نتيجة التغيير الاجتماعي سواء كان داخلياً أم خارجياً يدفع الفرد أو الجماعة إلى التشدد والغلو في التمسك بها، ومعاداة من يحاول تغييرها، وتجديدها، أما التطرف الديني فيكون عندما يشعر الفرد، أو الجماعة أن القيم الدينية مهددة، ويصبح الدين قوة محرّكة لهذه الجماعات، فالعامل الثقافي يعدّ عاملاً فاعلاً للعنف والصراع والاقتتال الاجتماعي والسياسي، كما يمثل عاملاً أساسياً في الخروج منه". (محفوظ، ٢٠١٧)، كما يجدر التنبيه إلى أنها: "تلعب المرجعيات الفكرية دوراً في نشر التطرف، وتحويل العنف إلى جهاد مقدّس اعتماداً على فتاوى رجال الدين" (بن حمودة، ٢٠١٦).

كما أن التطرف يزداد عنفاً، ويتأجج بأمور منها، ما يذكره الوريكات:

أ- الازدراء، أو الحط من ثقافة ما، أو موروث ديني: وهنا يشعر أفراد طائفة، أو دين ما أنهم ضحية ثقافة أخرى.

ب- وجود شخصية كاريزمية، تتمثل بقوة الشخصية والحزم والالتزام بالنظام بشكل حرفي، يقود الجماعة المتطرفة، إضافة إلى التزام أفراد الجماعة باحترام السلطة والقائد. (الوريكات، ٢٠١٤).

ت- مصادر اقتصادية كال فقر، والبطالة، وعدم تكافؤ الفرص.

ث- مصادر اجتماعية، وتضم عدم المساواة، والطائفية، ومقامة التغيير الاجتماعي، والتمسك بالعادات والتقاليد والموروثات الاجتماعية.

ج- مصادر أسرية: وتشمل الطلاق والتفكك الأسري.

ح- مصادر سياسية: وتتمثل في الاضطهاد، والتهميش، الذي تتعرض له الأقليات الدينية، والعرقية. (حسن، ٢٠٠٩).

ومما يتأكد خطره لدى الكافة: أنّ الفراغ خطير ما لم يملأه الإنسان بالذي ينفعه ولا يضره، ومن هنا يبرز الفراغ الفكري كبوابة خطيرة في مرحلة الشباب، لأنّ أصحاب كلّ فكرة يسعون إلى الإفادة من شريحة الشباب لسرعة الانتشار، ولأنهم معنيون بتنفيذ مخططاتهم.

ومن هنا يأتي دور المسجد في تصويب الوضع المستجد من كثرة الفراغ الفكري، ذلك أنّ: "الفراغ الفكري وغياب دور منظمات المجتمع المدني وعدم فاعليتها وعدم إشراك الفرد في اتخاذ القرار، وغياب العدالة الاجتماعية، وحرية التعبير عن الرأي وضعف دور الأسرة، وعدم فاعلية التعليم الأساسي والثانوي والعالي في تهذيب فكر الطالب في نقل القيم الدينية يعد من أهم عوامل التطرف والتطرف الديني بشكل خاص" (بيومي، ٢٠٠٤).

المطلب الثاني: آثار التطرف:

إنّ للتطرف آثاره المدمرة على بناء المجتمع، والفرد، وخاصة إذا تحول إلى عنف، فهو معطلّ لطاقت الفرد، ومقوّض للمكتسبات الحضارية، ومهدّد للسلام، والأمن الدولي، والإقليمي، الأمر الذي يهدّد تماسك المجتمع، وأمنه، وأهم آثار التطرف ما يلي:

١. الآثار الاقتصادية: "يتضح أثر التطرف الاقتصادي من خلال تأثيره على التنمية الاقتصادية المتمثل في زيادة الإنفاق على محاربة التطرف، وبناء البرامج وتأهيل المتطرفين، وتعطيل طاقة الفرد وإهدارها، وعدم الاستفادة منها، وتتفاقم المشكلة إذا صاحب التطرف عنف، وهذا يؤدي إلى هروب الاستثمار الأجنبي، وتدمير البنية التحتية للدولة، وإضعاف الحركة التجارية داخلياً" (العميري، ٢٠٠٤).

٢. الآثار الاجتماعية: "يؤثر التطرف بشكل مباشر على خطط التنمية الاجتماعية، ويهدد ويفكك تماسك البنية الاجتماعية للمجتمع، ويقسم المجتمع إلى طوائف وأقليات متناحرة، ويضعف العلاقات الاجتماعية القائمة على الثقة بالآخر" (أدم، ٢٠١٧).

فآثار التطرف في الجانب الاجتماعي، فيذكر الدليمي بأنه يتمثل في أمور:

- أ- تراجع الإنتاج الفكري الإبداعي.
- ب- قطع العلاقات الاجتماعية، وغياب التسامح مع الآخرين. الأمر الذي يؤدي إلى تراجع القيم الاجتماعية.

- ت- ارتفاع معدلات الإلحاد، وعدم المساواة (الدليمي، ٢٠١٦).
٣. الآثار الأمنية: "فقدان الثقة بالأجهزة الأمنية، وإرهاقها في عمليات مواجهة التطرف، وفقدان الثقة بالقوانين والأنظمة، التي تنظم الأمن" (العميري، ٢٠٠٤)
٤. الآثار النفسية: "يساعد التطرف على زيادة فرصة الإصابة بالأمراض النفسية، فالتطرف دائماً على صواب، والآخرين على خطأ، ولديه تعميمات مسرفة، يحاول الحصول على الكل كما يسبب الاكتئاب لدى المتطرف، وأسرته؛ نتيجة لعدم الثقة بالآخرين، ويدخل في صراع معهم، فالتطرف يعيش في قلق مستمر، كما تعيش أسرة المتطرف أيضاً في قلق، فهي معرضة للإصابة بالصدمات والاضطرابات النفسية، وتزداد خطورة التطرف إذا رافقه عنف، فهو يدفع أفراد المجتمع إلى ترك الوطن، والهجرة؛ بحثاً عن مكان آمن، فهو يشنت الأسر، ويهدد الاستقرار النفسي لدى الأشخاص، نتيجة القلق، والاكتئاب، ما ينعكس على سلوك الفرد والأجيال اللاحقة" (شورجي، ١٩٩٤).
٥. الآثار السياسية: يشكل التطرف هاجساً لدى السياسيين، لأنهم على الصعيدين الداخلي والخارجي، يعتبرون أن التطرف سلاحاً عدوانياً لا يمكن السكوت عنه، لأنه يخلخل الأمن في المجتمع ويمنع العملية السلمية بين الأفراد والدول، كما أنه "يهدد التطرف جغرافية الوطن الواحد، فقد يؤدي إلى تفكيك الدولة إلى دويلات طائفية، كما أنه يشوه سمعة الدولة، وهيبته أمام الرأي العام العالمي، وإظهارها في صورة الدولة الضعيفة، التي تعاني التمزق والفتن الطائفية، وبالتالي النيل من سمعتها السياسية، ويحد من أنشطتها الخارجية، واتصالاتها الدولية، فهي دولة لا تصلح للعيش والثقة". (عوض، ١٩٩٩).
- فرع: مظاهر التطرف:**

يظهر التطرف ضمن مجموعة من المظاهر والخصائص التي تميز الشخص المتطرف عن غيره، وبمعرفة تلك الخصائص، يسهل التعامل مع التطرف منذ بداياته مع الشخص، وقبل أن يتحول إلى ظاهرة في المجتمع، ومن تلك المظاهر، ما يأتي:

١. **التعصب:** ويقصد به: "الاجتماع على فكرة تأملها الشخص وقررها في ذهنه وتمسك بها ودافع عنها سواء كانت يقينا أو ظنا أو حقا أو باطلا، ويعني التعصب تشكيل رأي ما دون اخذ وقت كافي أو عناية للحكم عليه بإنصاف، والتعصب يعني رفض فكر الآخر وعدم قبوله والاستماع إليه وترك التجرد والإنصاف في

الحكم عليه، والتعصب الفكري ليس وليد الواقع المعاصر، أو التاريخ الإسلامي بوجه خاص، بل جذوره تمتد لبدء الخليقة حين خلق الله عز وجل آدم عليه السلام وأمر ملائكته بالسجود فاستكبر إبليس ورفض أمر الله عز وجل، وبعد ذلك ظهرت مظاهر التعصب في التاريخ الإسلامي كان أبرزها تعصب الخوارج في تكفير الآخرين والصحابية رضوان الله عليهم، وكذلك تعصب الشيعة لائمتهم، وتعصب الصوفية، والتعصب المذهبي، ومن صور التعصب الفكري التعصب الحزبي والتعصب القبلي والقومي والتعصب المذهبي والطائفي والتعصب الرياضي والتعصب الديني، ومن أهم أسباب التعصب الفكري: الهوى ويعني هوى النفس، الجهل في الموضوع والسطحية في فهم النصوص، وسوء التربية" (الدجني، ٢٠١٣).

٢. **الخشونة والقسوة في التعامل:** إنّ المعاملة الفظة مما منعه الإسلام، ولكن الشخص الذي ينأى بنفسه، قد يتعرض إلى ظروف تجعله يتبنى الفكر المتطرف المبني على الخشونة، فيمتاز: "بفرض أفكاره بالقوة، وكذلك رفض الأفكار السائدة في المجتمع، واستبدالها عن طريق العنف بقيم مناقضة لها، واستباحة أموال وأعراض المخالفين، وسوء الظن بالآخرين، إلى جانب العزلة عن المجتمع ومؤسساته، وعدم التعامل معه" (العتيبي، ٢٠١٢).

كما التطرف يظهر في عدة جوانب تميز شخصية المتطرف:

٣. **الجانب المعرفي:** "حيث يطبع تفكير الفرد في الجمود وعدم تقبله للأفكار والمعتقدات المخالفة، وضعف القدرة على التفكير الإبداعي والإيمان المطلق بصحة أفكاره ومعتقداته". (رشوان، ١٩٩٧).

٤. **الجانب العاطفي:** إنّ العاطفة مع قضية أو فكرة أو شخص، أو غير ذلك من المحمود، غير أنّ العاطفة التي تجعل من الشخص عدوانياً، هي من المنبوذ، وتصل بالشخص إلى تأثير خطير يقصفه رشوان: "يؤثر على الاتزان الانفعالي، بحيث يصبح الفرد شديد الغضب ولأتفه الأسباب، وخاصة عندما يتعلق موضوع النقاش بأفكاره، فلهذه حساسية شديدة للانتقاد، كما أن الحب والاحترام والتسامح الشديد يكون فقط مع من يوافقه الرأي، ويكره ويشده وعدم التسامح مع من يخالفه الرأي" (رشوان، ١٩٩٧).

٥. الجانب السلوكي في شخصية المتطرف: "فيظهر في استخدام القوة والعنف مع المخالف في الرأي، والاندفاعية، كما أنه يدعو وباستماته لأفكاره التي يؤمن بها مع التقليل من القيم الاجتماعية الأخرى التي يؤمن بها غيره". (رشوان، ١٩٩٧).

المطلب الثالث: أنواع التطرف:

من أهم أشكال التطرف التي تؤثر على حياة الفرد والمجتمع، ما يأتي:

أولاً: التطرف الفكري: يعدّ الفكر هو الأساس في الدعوة لفكرة أو مبدأ ما، وحينما يلجأ الشخص إلى التشدد والتزمّت في فكره، فذلك يسوقه ليرى الأشياء من خلال فكره هو، وما خالف فكره يكون خطأ، علماً أنّ الخطأ الأكبر هو التفكير بزواية ضيقة، ويبين أحد الباحثين التسلسل في النوع الأول من التطرف، فيقول: "التشدد والغلو في الرأي والفكر والمعتقد، والتعصب له، وعدم قبول الرأي الآخر المخالف، ويعرف بعدم قبول واحترام رأي الآخرين والجمود الفكري، وسببه الرئيس كبت حرية التعبير عن الرأي والخوف من التعبير عن الأفكار بصراحة، فهو خروج عن القواعد الفكرية التي تنظم المجتمع" (عبدالعزیز، ٢٠٠٩). "فالتطرف الفكري مادته الفكر، ويمكن أن يكون في التمسك الشديد في ما أجمعت عليه الأمة، سواء كان دينياً، أو اجتماعياً، أو سياسياً، وقد يكون التطرف الفكري فردياً، أو جماعياً" (الرواشدة، ٢٠١٥).

التطرف الديني: يعدّ التطرف الديني من أخطر أنواع التطرف، فهو يستغل عاطفة الإنسان العادي الدينية، ويدخل من خلالها ليزيد من الأتباع، وإذا كان الهدف: "التطرف" فتلك معضلة، ذلك أنّ التدين ظاهرة إيجابية في منشئها، سلبية إذا نحت إلى التشدد، وأمّا الحلّ فيمكن في العلم والبصيرة: "عندما يلتزم الفرد بالأحكام الدينية ويفهما فهما صحيحاً ويمارسها ضمن الإطار الأخلاقي للدين، فالدين يدعو إلى المضامين الإنسانية، وينبذ الغلو والتشدد، فمشكلة التطرف لا تتعلق بالدين، ولكنها تتعلق بالفهم الخاطئ التي تعادي الحداثة، وتعمق العنف في المجتمع" (المحمداوي، د.ت)، ويوضحه: "أما التطرف في المجال الديني فيشير إلى التمسك الشديد والمغالاة في فهم النصوص الدينية، مع جهل بمقاصدها الشرعية" (رشوان، ٢٠٠٢).

المطلب الرابع: أهداف ومظاهر الفكر المتطرف:

أولاً: أهداف التطرف: يمكن القول: إنّ أهداف التطرف عديدة، وتكون في غالبيتها تبع لأهواء الأشخاص الذين تشكلت لديهم فكرة ما، وقد لا تظهر الأهداف بعينها لدى الأتباع الممارسين للتطرف، مما يجعلهم ضحية أولية للتطرف، ومن ثمّ يتحولون إلى جلادين.

ويلخص أهداف الفكر المتطرف أحد الباحثين، بالآتي:

١. "السيطرة على العقول من خلال إقصاء الفكر الآخر، وإعادة بنائه بما يتلاءم معه.
٢. كتم الأصوات الداخلية والخارجية، وعدم السماح للآخرين بالتعبير عن آرائهم، ويقمع حرية التعبير والراي.
٣. فرض الثقافة المتطرفة على الآخرين.
٤. خلق جيل يؤمن فقط بالفكر المتطرف لديه استعداداً للتضحية بنفسه من أجله" (آغا، ٢٠١٠)

ثانياً: مظاهر التطرف:

مظاهر التطرف الديني: يظهر التطرف الديني بالمظاهر الآتية:

١. التطرف المظهري أو الشكلي: يبدو هذا النوع من التطرف في اللباس، حيث يرتدي المتطرف لباساً يعتقد أنه لباس السلف الصالح، مع إطالة شعر الرأس واللحية وتخضيبها ولبس العمامة، مع مقاومة اللباس الحديث باعتباره رمزاً للحداثة، ودعوة للفجور، مع الأخذ بعين الاعتبار أن مجرد الالتزام باللباس الإسلامي لا يُعدّ تطرفاً بحدّ ذاته ما لم يرافقه عدم التسامح، وتكفير من يخالف الزي الإسلامي، وكرهه وتشكيل اتجاهات سلبية نحوه، فالتطرف في المظهر قد يكون سلبياً بمعنى التطرف في ارتداء الملابس التي تكشف عورة الجسم، وإهمال الالتزام في اللباس الساتر بحجة الحرية الشخصية.

٢. التشدد في تطبيق الأحكام: واتهام المخالف بالكفر والزندقة، وقد ورد التطرف في الفكر الديني بمعنى الغلو، وقد حذر الله سبحانه وتعالى من الغلو في كتابه الكريم وقال سبحانه "قُلْ ((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ))" [سورة المائدة، الآية ٧٧]. "فالتطرف الديني بمظهره الفكري يتمثل في المبالغة في التمسك، والتشدد بجملة من الأفكار الدينية التي لا تقبل النقاش، أو الخلاف بشأنها" (الرواشده، ٢٠١٥)، وهذا التشدد يفضي إلى

النظرة السوداوية: "فهو فكرٌ أقرب إلى الانغلاق والإقصاء، ليس فيه تسامح ومرونة في التعامل مع الاختلافات الدينيّة والعقائديّة" (أبو رمان، ٢٠١٤).

٣. عدم التسامح والعنف مع الآخرين المخالفين في المعتقد والرأي.

٤. وضع المرأة في منزلة أقل من الرجل في المجتمع، وإنكار حقوقها (Shah & Nikku 2015).

٥. تكفير المجتمع بكليته، وخاصة المخالف للرأي.

٦. الاستعداد لفرض أفكاره باستخدام العنف.

٧. الانتقاص مع قدر العلماء المعتدلين، وعدم الأخذ بفتاواهم (عارف، ١٩٩٤).

المبحث الثالث: النظريات المفسرة لدور المسجد في الحد من التطرف والجريمة

يرى أصحاب الاختصاص أن التطرف الديني يعود إلى العوامل الآتية:

١. "عوامل دافعة: وتضم المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية، والسياسية، والثقافية، وأطلق عليها

جذر الأسباب، وتضم: الفقر، والبطالة، والجهل، والتمييز، والتهميش الاقتصادي والسياسي والاجتماعي.

٢. عوامل جاذبة: وتضم العوامل الآتية: الروابط القوية بين أفراد الجماعة، وإشباع الإحساس

بالانتماء، وبناء سمعة اجتماعية (بطل أو قائد) والسعي نحو الشهرة". (إقبال و لودي، Iqbal & Lodhi, 2014)

وهذه العوامل ترتبط بالحياة العامة للبشرية، مما يعني أنها تؤثر على عموم البلدان، وهو ما يدفع

الباحث لمناقشته في الأردن.

المطلب الأول: التطرف في الأردن وسبل مواجهته:

إننا إذا تفحصنا الحال في الأردن، نجد أنّ الجهود المبذولة تعدّ صماماً أماناً من ناحية، ومن ناحية

أخرى هي ميزة من حيث الاستباقية في مكافحة التطرف، وهي تظهر الثقافة لدى الأردنيين في عدم الانجرار

وراء الدعاوى المضللة من التطرف والإرهاب:

"إنّ ظاهرة التطرف ليست حكراً على أمة معينة، أو دين محدد، فهو يُمارس في كلّ المجتمعات، وسمة

ترتبط بالأفراد لا بالأفكار والأديان والمذاهب، فالفكرة جامدة وحاملها هو المتحرك، فهو من يعدّل الفكرة،

ويسيطر عليها، والعكس ليس صحيحاً، فالتطرف مشكلة اجتماعية متعدّدة الأوجه، استغلت من قبل أفراد

جامدي التفكير، يرون الحياة من زاوية واحدة، زاوية نشر أفكارهم وأيدولوجياتهم المتطرفة التي يعتقدون فقط بصحتها، وحمل الآخرين على الإيمان بها جبراً، وبحدّ السيف؛ لتحقيق أهداف قد تكون شخصية في معظمها". (البداينة، ٢٠١٠).

ويعدّ الأردن نموذجاً للتعايش بين الأديان، ونشر قيم التسامح والاعتدال، فخطابه السياسي يقوم على الاعتدال، واحترام الآخر، ونبذ العنف والتطرف، وقد حذر جلالة الملك عبدالله الثاني بن الحسين من التطرف والتعصب والإرهاب مبكراً في خطابه في المحافل الدولية، وعرض أسباب التطرف والتعصب والإرهاب، واستراتيجيات مواجهتها، وباستعراض خطابات جلالة الملك عبدالله الثاني بن الحسين التي ألقاها في المحافل الدولية خلال الأعوام من (٤ كانون أول ٢٠١٠ - ١٢ شباط ٢٠١٦)

الاستراتيجيات الأردنية لمقاومة التطرف والإرهاب:

وتمثلت الاستراتيجيات بالآتي:

١. تحقيق التنمية وجلب الاستثمارات، من خلال الشراكة المستمرة الفاعلة مع الدول الغنية، ومعالجة الظروف التي تستغلها الجماعات المتطرفة (علاج اقتصادي، وتحقيق الازدهار، وخلق الفرص، والعدالة في توزيعها)، لمواجهة التطرف يكون على جميع الأصعدة الأمنية القانونية، والاقتصادية، والاجتماعية.
٢. نشر مفهوم الوسطية، والاعتدال من خلال توضيح المعتقد الإسلامي الأساسي.
٣. تنظيم إصدار الفتاوى من قبل من يملك حق إصدارها؛ نظراً لارتكاز الأعمال الإرهابية على إصدار الفتاوى؛ من أجل تبرير الأعمال الوحشية التي يرتكبونها.
٤. مشاركة قادة الرأي والعلماء والمرجعيات الدينية في مواجهة الفكر المتطرف وتخفيف التوتر.
٥. نشر ثقافة التسامح، والبعد عن الخطاب التحريضي، والتأكيد على الاحترام المتبادل بين اتباع الدين الواحد، وبين الأديان والشعوب باختلافها، ومعنى ذلك (أن بعض الخطباء في يوم الجمعة قد اعتادوا الدعاء على اليهود والنصارى بشكل عام، وديننا الحنيف الذي يدعوا إلى التسامح مما يتحتم على الخطباء تجنب مثل هذا السلوك اللفظي الذي يتعارض مع ثقافة التسامح والتعايش مع الأديان الأخرى).

٦. حل النزاع الفلسطيني- الإسرائيلي على أساس حلّ الدولتين، فهذا الحلّ يوفر الأمن لدول الإقليم، حيث يصبح استغلال واستثمار الموارد موجهاً نحو التنمية والتقدم، ويمنع استغلال الصراع من أجل نشر العنف والتطرف.

فرع: إنّ الأوراق النقاشية التي نادى بها جلالة الملك عبدالله الثاني بن الحسين وكان يسعى من خلالها تشجيع الحوار الوطني، يؤدي إلى إصلاح حقيقي في مختلف المجالات، انطلاقاً من التوافق والمشاركة الشعبية لذلك أرسى جلالة الملك الأسس العلمية لمواجهة العنف والحدّ من التطرف من خلال أمور منها، مما جاء في الورقة النقاشية لجلالة الملك:

١. تحديد المؤسسات الدينية العامة، والمحافظة على استقلاليتها بعيداً عن التسييس.
٢. حماية التراث الديني، والقيم الأساسية المتمثلة في التعددية والانفتاح والتسامح والاعتدال، فقد ذكر جلالة الملك في الورقة النقاشية الأولى أن ازدهار الحياة السياسية يتم من خلال "احترام الرأي الآخر، والانخراط الفاعل، وتبني الحوار، والحلول الوسط، ورفض العنف، والمشاركة في التضحيات والمكاسب".
٣. سيادة القانون، فيذكر جلالة الملك بهذا الخصوص ما يلي " عندما ننظر إلى مجتمعاتنا العربية نجد أنها تتكون من منظومة معقدة من الانتماءات الدينية المذهبية، والعرقية، والقبلية، ولهذا التنوع أثّر ليكون مصدراً للازدهار الثقافي والاجتماعي والتعدد السياسي، ورافداً للاقتصاد، أو أن يكون شعلة للفتنة والعنصرية والنزاعات. إنّ ما يفصل بين هذين الواقعين هو وجود أو غياب سيادة القانون.
٤. بناء الدولة المدنية: فالدولة المدنية التي يقصدها جلالة الملك هي الدولة التي يحكمها الدستور، والقوانين التي تطبق على الجميع، دون تمييز، فيقول جلالة الملك بشأن الدولة المدنية ما يلي: " إنّ الدولة المدنية هي دولة تحتكم إلى الدستور، والقوانين التي تطبقها على الجميع دون محاباة، وهي دولة المؤسسات، التي تعتمد نظاماً يفصل بين السلطات، ولا يسمح لسلطة أن تتغول على الأخرى، وهي دولة تركز على السلام، والتسامح، والعيش المشترك، وتمتاز باحترامها، وضمانها للتعددية، واحترام الرأي الآخر، وهي دولة تحافظ وتحمي أفراد المجتمع بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية أو الفكرية، وهي دولة تحمي الحقوق، وتضمن الواجبات، حيث يتساوى الجميع بالحقوق والواجبات"

(:(<https://kikngabdullah.jo/ar/discision-papers>))

المطلب الثاني: مفهوم التطرف الديني من منظور المفاهيم الشرعية:

١- الفهم الصحيح للإسلام: بأنه دين الحلول السهلة وليست المعقدة لقوله تعالى ((يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا)) [سورة النساء: ٢٨]، ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْعَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ ". رواه البخاري.

٢ - حب الحياة: والنظر إلى صنع الخالق لقوله عليه السلام (إن الدنيا حلوة خضرة وأن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون) الحديث رواه مسلم

٣- حب الناس وحب الإنسان لأنه من صنع الله لقوله عليه السلام (والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكمحديث صحيح

٤- لا تصر أن تجعل كل الناس تفكر مثلك وتذكر أن التنوع إرادة الله قال تعالى ((وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ)) [سورة هود ١١٨]، فلا تعارض إرادة الله في الكون

٥- تمنى الخير لكل الناس قال عليه السلام (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) وهنا أخوك هو الإنسان بذاته

٦ - كن رحيما ولا تكن عنيفا، فالنبي هو رحمة للعالمين فقد قال عليه السلام: ((إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ)) رواه مسلم.

٧- ضع أمام عينيك عنوان إيمانك، وهو حسن الخلق لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعث ليتمم مكارم الأخلاق، ويؤكد على ضرورتها في المعاملات بين الناس.

المطلب الثالث: النظريات في الحد من التطرف والجريمة

يتضمن هذا الجزء استعراض أهم النظريات التي تفسر دور كل من المسجد والكنيسة في الحد من التطرف:

١. النظرية البنائية الوظيفية:

النظرية البنائية الوظيفية تؤكد على أن أهمية الدين في حياة الإنسان تتبع من إشباع حاجته إلى الأمن، ومساعدته على التكيف مع الحالات الثلاث: العجز، وتقلب الحال، وندرة الموارد، وما يترتب عليها من فقر، وبؤس، وغياب العدالة، فالتجربة الدينية تتفوق على جميع التجارب التي يمر بها الإنسان.

وقد أطلق بارسونز (Parsons) رائد النظرية البنائية الوظيفية مصطلح "التسامي المرجعي" على المعتقدات الدينية، فالدين من وجهة نظر مالبينوفسكي، وهو أحد رواد البنائية الوظيفية، أن الدين يشعر الإنسان بالطمأنينة، وأن هناك قوى تفوق قدرة الإنسان تمنحه الأمل الذي يجعله متوافقا مع القلق، وخاصة قلق الموت والفناء، وما يسببه من عدم اتزان شخصي، ويسيطر على القلق من خلال عبادة الإله، وهي الوظيفة الظاهرة للدين، أما الوظيفة الكامنة، فتتمثل في إشباع حاجات الإنسان" (الخشاب، ١٩٩٣).

وهكذا يعتقد المؤمن أن الأجل والرزق بيد الله، وما عليه إلا السعي الشريف فقط. فالدين إذن وفقا لهذه النظرية أحد أهم الوسائل التي تساعد الإنسان على التكيف مع احتمالية التغير، والضعف، وندرة الموارد وشحها. فالتطرف وفقا لهذه النظرية تمرد على الحقائق الثلاث، وعدم الرضوخ لها، فهو يحدث نتيجة التفسير الخاطئ لتلك الحقائق الكبرى، التي تؤمن بها هذه النظرية.

"البناء الاجتماعي وفقا لهذه النظرية، يتكون من نظم اجتماعية فرعية، أو مؤسسات اجتماعية ذات أهداف محدده مثل: المؤسسة الدينية والاقتصادية والسياسية والتربوية والعائلية وغيرها من المؤسسات الاجتماعية، ولكل منها نسق ووظيفة في البناء الاجتماعي، وإن تكامل هذه الوظائف يحافظ على البناء الاجتماعي، وتماسكه، وحمايته من التفكك، فظهور المشكلات الاجتماعية، كالتطرف الذي يعد أحد المشكلات الاجتماعية التي تظهر نتيجة لخلل في أحد أبنية النظام الاجتماعي. (النسق الاقتصادي، أو الثقافي، أو الأسري، أو الديني) نتيجة لضعف في مساندة ودعم وظائف هذه الأنظمة، وفي النهاية يظهر الاختلال وفق هذه النظرية على شكل مشكلات اجتماعية، فعدم مقدرة أجزاء النسق على القيام بوظائفه المطلوبة، الأمر الذي ينتج عنه خللا في البناء المعياري، والقيمي المجتمعي، فعدم مقدرة البناء الاجتماعي على أداء الأدوار الأساسية، وأيضا فقدان حالة الإجماع والاندماج المجتمعي، وضعف المواجهات الإدراكية والمعرفية المتمثلة في قواعد المعايير، وتراجعها عن أداء دورها المجتمعي، يؤدي إلى ظهور التطرف". (المعروش، ٢٠٠٦).

٢. النظرية الصراعية :

التطرف ينتج عن الصراع كهدف أساس، ومصدر أساس أيضا، وتلك جدلية عميقة، وهنا:
"ترى هذه النظرية أن الدين أداة تستخدمها الطبقات العليا لاستغلال الطبقات الدنيا، فهو بمثابة المادة المخدرة التي تستخدم لإبعاد الإنسان عن التفكير في واقعه، ويغيب بها الفرد عن الواقع، فدور الدين وفقا لهذه النظرية سلبي في المجتمع، ومن أبرز العوامل المؤدية إلى التطرف الصراع بين الجماعات الدينية، ولاسيما الصراع بين كبار رجال الدين، وصغار رجال الدين؛ نتيجة للتدرج الطبقي في البنى الدينية، أو استغلال الدين من قبل السلطات الحاكمة بالتعاون مع طبقة كبار رجال الدين؛ لتبرير استمرارهم بالحكم؛ وإخضاع الطبقات الأخرى في المجتمع". (شاهين، ١٩٩١).

"فالدين من وجهة نظر النظرية الصراعية ما هو إلا أفكار وقيم ابتدعها الإنسان خلال تطوره الثقافي، لذلك فهو يجتر السعادة المستحيلة التحقق في حياته إلى الآخرة، فالدين قد يبرر الظلم والاضطهاد، وعدم المساواة في مجال الثروة" (الروسان، ٢٠٠٩)،

فهذه النظرية ترى أن المؤسسات الدينية، ما هي إلا أدوات لتزييف الوعي، استغلت للمحافظة على امتيازات الطبقات المسيطرة المالكة لوسائل الإنتاج، والحاكمة، التي يعد الحاكم نفسه فيها ظل الله على الأرض، عندئذ يكمن دورها في ضبط سلوك الفرد الضعيف، وقد تركز الاضطهاد في المجتمع، وتعمل على إيجاد طبقة مستغلة جديدة، كما أن المؤسسات الدينية قد تكون سببا للتطرف في حالة تعارض المعايير الدينية مع القوانين الوضعية، ووقوف المؤسسات الدينية ضد القوانين الوضعية، ومثال ذلك الإعدام، فالمعايير الدينية توجب القتل على القاتل العمد، في حين نلاحظ أن القوانين الوضعية الحالية تتسامح مع القاتل، انطلاقا من منحة فرصة للحياة، من أجل الإصلاح، فالتعارض قد يؤدي إلى صراع اجتماعي.

٣. نظرية الضبط الاجتماعي:

يرى هيرشي صاحب هذه النظرية: "أن السلوكيات المضادة للمجتمع ناتجة عن ضعف ارتباط الفرد مع مجتمعه، أما دور الدين في هذه النظرية فهو إيجابي، ويتمثل في أن الدين يزيد من ارتباط الفرد، وانتمائه لمجتمعه، فبناء روابط اجتماعية مع الآخرين، بناء على الحلال والحرام، والتعاطف والشفقة، وتقديم الخدمة

لآخرين طمعا في الحصول على الثواب من الله سبحانه وتعالى، يزيد من انتماء الفرد، واحترامه لأخيه الإنسان (Herchi, 2002)

فالعناصر التقليدية للارتباط مع المجتمع، والتي يبني عليها الفعل الاجتماعي، والتي تحدث عنها هيرشي تتمثل فيما يأتي

١. الارتباط: ويعتمد على قبول المعايير الاجتماعية، وتطوير الضمير الجمعي على الارتباط مع الآخرين، وخاصة المهمين في حياة الفرد، كالوالدين، والأخوة، والأصدقاء. فالارتباط مع الدين وأصدقاء متدينين؛ يجعل الفرد يحترم الدين، ويقدر دور العبادة.

٢. المشاركة أو الانغماس: انغماس الفرد ومشاركته في الأنشطة الدينية، يضبط سلوكه، وقد يحدث العكس، فقد يتطرف، ولكن المهم هنا محتوى المشاركة والانغماس .

٣. الالتزام: ويعني التزام الفرد، واستثمار جهوده في تحقيق أهداف مشروعة، مثل: تحقيق مستوى تعليمي مرتفع، أو بناء سمعة طيبة.

٤. الاعتقاد: وهو لب الدين، فالاعتقاد، أو الإيمان بالقيم الدينية، بأوامره ونواهيه، وقيم المجتمع، وأخلاقه، ومعتقداته، واحترام الآخرين، وتقدير مشاعرهم يعد من أهم ضوابط سلوك الفرد، وعازلا من التطرف". (الوريكات، ٢٠٠٨)، فما هو مطلوب من المؤسسات الدينية هو غرس الاعتقادات الدينية السليمة، وتعزيز ارتباط الفرد والتزامه بمعايير مجتمعه الكبير، ومن هنا يأتي دور المسجد والكنيسة المستجدة في تقديمها للمؤمنين والأتباع، وتعميقها في نفوسهم؛ من أجل ضبط سلوكياتهم، وإعادتهم إلى طريق الصواب، وخاصة من انحرف، وتطرف من خلال التوبة، وقبول العودة عن الإثم، والاعتراف بالخطيئة.

٤. نظرية التعلم الاجتماعي:

تري هذه النظرية: "أن المعتقدات والممارسات الدينية هي جزء من ثقافة المجتمع، التي تنتقل من جيل إلى آخر، من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية، التي يلعب فيها مبدأ التعزيز والعقاب دورا في تثبيتها واستمراريتها، وبناء عليه فإن المعتقدات والشعائر الدينية يتم تعلمها من خلال المحيطين، بالفرد، كما يتم تعلم أي سلوك آخر شأنه شأن مختلف الاتجاهات والعقائد، بالفرد يتبع الدين السائد في مجتمعه ولاسيما دين آبائه". (الخشاب، ١٩٩٣).

٥. نظرية الحاجة المعرفية:

إنّ التطرف وفقاً لهذه النظرية هو نتيجة للإيمان المطلق بهذه المعتقدات باعتبارها حقائق يقينية لا تقبل النقاش، فدور المؤسسة الدينية وفقاً لهذه النظرية يتمثل في إعادة البنية المعرفية للفرد وتصحيح المفاهيم الخاطئة لديه حول المعرفة الدينية.

وبيان أهمية الدين في مواجهة المشكلات، تبين الخشاب: "تتعلق هذه النظرية في تفسير الحاجة إلى الدين من أسس نفسية، حيث ترى الإنسان يمارس الطقوس الدينية، ويؤمن بها؛ لإشباع حاجات معرفية، فالإنسان من وجهة نظر هذه النظرية يستخدم المعرفة الدينية للإجابة عن أسئلة غامضة وإيجاد حلول للمشاكل الشخصية،

ومن أهم المشكلات التي يساعد الدين على مواجهتها:

١. الإجابة عن الأسئلة الوجودية، كيف بدأت الحياة؟، والغاية من الوجود، وهدف الحياة.

٢. مواجهة القلق الوجودي للموت، والفقر، والبؤس، والمعاناة.

٣. إيجاد تفسير للظواهر الطبيعية، التي عجز العلم عن تفسيرها.

٤. مواجهة المشاكل الشخصية" (الخشاب، ١٩٩٣).

٦. نظرية الاضطهاد أو التهميش:

يرى أصحاب هذه النظرية: "أن الشعور بالظلم، والتهميش (الاجتماعي، أو الاقتصادي) وعدم المساواة، وخاصة لدى الجماعات العرقية، والأثنية، والأقليات الدينية، يساهم في تشكيل الأفكار المتطرفة، والتعصب لدى الجماعات، والأفراد، كوسيلة دفاعية للحفاظ على هويتها. فالتطرف في هذه الحالة رد فعل على مقاومة مصدر الاضطهاد، والظلم، فالمتطرف يشعر نتيجة للظلم، وعدم المساواة الاجتماعية في الحقوق والواجبات أنه لا ينتمي للمجتمع، ومعادي له، ويعبر عن خلال التطرف عن تهميشه وعدم فاعليته، فالدين لديه هو مجرد إشباع انفعالي". (الوريكات، ٢٠١٤).

فهذه النظرية يمكن أن تفسر ظهور بعض حركات التطرف، وتطرف الأفراد في البلدان العربية، كرد فعل على الظلم، والاضطهاد، والتهميش، كما هو في فلسطين، وغزة، وسوريا، والعراق (تعرض الأيديين للقتل والتجهير على يد تنظيم الدولة الإسلامية).

٧. نظرية الثقافة الفرعية :

ترى هذه النظرية: "أن التطرف نتاج ثقافي يجسد اتجاهات الجماعة نحوه ويتبنى عضو تلك الجماعة معايير اجتماعية تعتمد على أفكار تمجد التطرف للحفاظ على كينونة تلك الجماعة ضد الجماعات الأخرى الذي يعتقد الفرد بأنها تنافس جماعته وبالتالي تخلق ثقافة فرعية تمجد التطرف". (الجوهري والسمري، ٢٠١١).

وبناءً على تلك الثقافة يصبح الفرد حاملاً لمكونين ثقافيين: (فردية وجمعي)، فالتطرف ذو الصبغة الدينية، لا يقتصر على دين محدد، حيث إن التطرف باسم الدين قد لوحظ لدى اتباع الديانات السماوية، وأيضاً لدى اتباع المعتقدات غير السماوية (السيخ والبوذيين)، وهذا قد يكون خاضعاً لكلا الثقافتين: الفردية والجمعية، فتكفير من يخالفه الرأي، وعدم التسامح معه يكون موجهاً لأبناء دينه، وللآخرين من الأديان الأخرى .

٨. نظرية الحرمان:

يشكل الحرمان هاجساً لدى الفرد أو المجتمع، وقد جاء الإسلام بنشر السلام عند اللقاء، ليكون جاباً للأمل مانعاً من الشؤم، لأنَّ فاقد الشيء الضروري يشعر بفقدانه، والمعضلة عند نشر ثقافات تصل بمرتفات الأمر إلى أساسيات، ويصبح الفرد يسعى إليها على أنها أساس في حياته، ويأتي الشعور بالحرمان كواحدة من مسوغات الجنوح عن القانون، بصرف النظر عن قيمة الشيء الذي يشعر الفرد بحرمانه، وهنا: "يعد تفسير نظرية الحرمان للتطرف، وخاصة التطرف الديني، أحد الاتجاهات التكاملية، الذي يفسر الظاهرة، من خلال افتراضات نظرية متعددة نفسية واجتماعية يلعب فيها الحرمان النسبي الذي قد يكون مادي أو معنوي (اجتماعي أو اقتصادي أو عاطفي) دوراً رئيساً" (عبدالعزیز، ٢٠٠٩).

وتأتي ثقافة الوعي، وتقديم الأولويات، والتعاون على الخير، ومنع انتشار الشعور بالحرمان خاصة بين النشء، فتلك أمور تصب في المصلحة العامة، وفيها منع من تسريب الفكر للبسطاء من الناس، لحماية المجتمع بأكمله من كل طيش وطائشة.

الخاتمة:

- بناءً على ما توصلت إليه الدراسة من نتائج، فإنه يمكن تقديم التوصيات الآتية:
١. اختيار وتعيين أئمة المساجد، يكون بناءً على اعتداله الفكري، كذلك تبني منهج التسامح والبعد عن الغلو والتشدد.
 ٢. التوجيه المستمر لأئمة المساجد من خلال الندوات، وورش العمل، نحو الاستمرار تقديم الخطاب الديني، الذي يحض على التعايش، والتسامح بين الأديان.
 ٣. عقد لقاءات دورية لأئمة المساجد للتأكيد على التسامح، والتعايش بين الأديان.
 ٤. توعية المجتمع وخاصة الأجيال الشابة بمقاصد الأديان من السماحة والمعاملة الحسنة.
 ٥. إن الحد من التطرف يتطلب من المسجد ترسيخ مفهوم المواطنة في نفوس أفراد المجتمع، وأن لكل فرد حقوق، وعليه واجبات تجاه مجتمعة؛ من أجل بناء مجتمع آمن تسوده قيم المحبة والاحترام.
 ٦. نظراً للاحترام الذي يحظى به الدين، ورجل الدين في المجتمع الأردني، فإن توجيه التوعية الدينية نحو تحقيق التضامن، والتماسك الاجتماعي من أجل إحداث تغييرات فكرية، وسلوكية لدى أفراد المجتمع من أجل مواجهة الفكر المتطرف.
 ٧. إجراء مزيد من الأبحاث، والدراسات حول الأدوار المستجدة للمسجد من وجهة نظر عينات اجتماعية كإسنادة كليات الشريعة، وطلبتها، وطلبة الجامعات، وأفراد المجتمع بالعموم والمتقنين والرياديين بالخصوص.
- ## المصادر والمراجع:
- ابن منظور، المؤلف: محمد بن مكرم بن علي (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب: (٣/٢٠٤)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤هـ.
 - أبو رمان، محمد. (٢٠١٤). أنا سلفي: بحث في الهوية الواقعية والمتخيلة لدى السلفيين. (ط ١). مؤسسة فريدلر شايبرت: مكتب الأردن والعراق.
 - آدم، أبكر. (٢٠١٧). طاعون العصر: التطرف الديني: أسبابه - نتائجه - علاجه. المجلة الليبية العالمية/ جامعة بنغازي.

- أغا، محمد هاشم. (٢٠١٠). رؤية تربوية للخروج من أزمة التطرف الفكري في المجتمع الفلسطيني بمحافظة غزة. مجلة جامعة الأزهر بغزة - سلسلة العلوم الإنسانية
- بن حمودة، عمار. (٢٠١٦). داعش: قداسة العنف وأسلمة الإرهاب. مؤسسة دراسات وأبحاث مؤمنون بلا حدود: الرباط، المملكة المغربية.
- بيومي، محمد احمد. (٢٠٠٤). ظاهرة التطرف الأسباب والعلاج. (ط١). دار المعرفة الجامعية: القاهرة.
- الثقفي، طلال صالح علي، السديس، & عبدالرحمن بن عبدالعزيز. مشرف. (٢٠١٨). دور الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي في تحقيق الوسطية والاعتدال وتعزيز الأمن الفكري (Doctoral dissertation، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية).
- حسن، آماني السيد عبدالحميد. (٢٠٠٩). العنف الأسري وعلاقته بالاتجاه نحو التطرف لعينة من الشباب الجامعي: دراسة سيكومترية-إكلينيكية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الزقازيق، الزقازيق: جمهورية مصر العربية.
- الخشاب، ساميه. (١٩٩٣). دراسات في الاجتماع الديني: علم الاجتماع الديني. (ط٢)، دار المعارف: القاهرة.
- الدجني، يحي (٢٠١٣). التعصب الفكري وأثره في العمل الإسلامي المعاصر، ورقة عمل مقدمة لمؤتمر أفاق العمل الإسلامي المعاصر وضوابطه، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.
- الديلمي، عبدالصمد. (٢٠١٦). سوسيولوجيا الإلحاد في العالم العربي. مؤسسة دراسات وأبحاث مؤمنون بلا حدود- قسم الدين وقضايا المجتمع الراهنة: الرباط، المملكة المغربية.
- رشوان، حسين. (١٩٩٧). التطرف والإرهاب من منظور علم الاجتماع. (ط١). دار المعرفة الجامعية: الاسكندرية.
- رشوان، حسين عبدالحميد. (٢٠٠٢). الإرهاب والتطرف من منظور علم الاجتماع، (ط٢). مؤسسة شباب الجامعة: الاسكندرية.

- الرواشدة، علاء. (٢٠١٥). التطرف الأيدولوجي من وجهة نظر الشباب الأردني : دراسة سوسيولوجية للمظاهر والعوامل. المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب
- السعيداني، منير. (٢٠١٥). المؤسسة المسجدية في زمن عاصف: ملاحظات ميدانية في الحالة التونسية. مؤسسة مؤمنون بلا حدود: الرباط، المملكة المغربية.
- شاهين، مصطفى. (١٩٩١). علم الاجتماع الديني. (ط١). دون ناشر.
- شوريجي، سيد. (١٩٩٤). تأثير الجريمة على خطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية. المركز القومي للدراسات الأمنية والتدريب - الرياض.
- الصالح، محمد احمد. (٢٠٠٩). اثر المسجد في تحقيق الأمن الفكري والانتماء الوطني. الملتقى العلمي الأول للائمة والوعاظ ٦-٧ / ١٠ / ٢٠٠٩ - المعهد العالي للائمة والوعاظ - جامعة طيبة - المدينة المنورة.
- ضامري، حسن يحيى. (٢٠٠٥). إسهامات المسجد في مواجهة الانحرافات الفكرية والخلقية من منظور التربية الإسلامية. رسالة ماجستير غير منشورة جامعة ام القرى، مكة المكرمة: المملكة العربية السعودية.
- عارف، جلال. (١٩٩٤). الغلو في الدين. دار الفتح للطباعة والنشر والتوزيع: الشارقة.
- عبدالعزيز، نفيسة. (٢٠٠٩). الأمن الفكري ودوره في مواجهة ظاهرة التطرف في المجتمعات الإسلامية. المؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري : المفاهيم والتحديات: مايو ٢٠٠٩، جامعة الملك سعود.
- العتيبي، سعود مرزوق. (٢٠١٢). التخطيط الأمني الاستراتيجي وأهميته لتعزيز دور حرس الحدود في مكافحة الإرهاب. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة العربية للعلوم الأمنية: الرياض، السعودية.
- العموش، أحمد فلاح. (٢٠٠٦). مستقبل الإرهاب في القرن الحادي والعشرون. (ط١)، جامعة نايف العربية للعلوم: الرياض.

- العميري، محمد عبدالله. (٢٠٠٤). موقف الإسلام من الإرهاب . (ط١). جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية- الرياض.
- عوض، محمد محي الدين. (١٩٩٩). تعريف الإرهاب، عمال ندوة تشريعات مكافحة الإرهاب في الوطن العربي. أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية- الرياض.
- قاموس المعجم الوسيط (٢٠١١). مجمع اللغة العربية، ط٥، القاهرة، مصر.
- القحطاني، حسين والطلافة، فؤاد. (٢٠٠٨). التدين وعلاقته بالجمود الفكري (الدمجانية): دراسة ميدانية على طلبة كلية المعلمين تبوك.
- محفوظ، عقيل سعيد. (٢٠١٧). العنف المقدس: في الأسس الثقافية لعنف الجماعات التكفيرية. مؤسسة دراسات وأبحاث مؤمنون بلا حدود: الرباط، المملكة المغربية.
- محمد، حسام. (٢٠١٤). تراجع ملحوظ لدور المسجد وتأثيره الاجتماعي . جريدة www.alittihad.ae
- هريمة، يوسف. (٢٠١٧). البناء النظري للإسلام السياسي وسيكولوجيا العنف. مؤسسة دراسات وأبحاث مؤمنون بلا حدود: الرباط، المملكة المغربية.
- الوريكات، عايد (٢٠١٤). علم النفس الجنائي.(ط١). دار وائل للنشر والتوزيع: عمان.
- Al-Badaine, M. Diab. (2010). University under risk: The University as Incubater for Radicalization. 2ed International Symposiium on in Terrorism Transnational crime, 7-9 December, Antalya, Turkey.
- <https://kikngabdullah.jo/ar/discision-papers>
- <https://www.almaany.com>
- Iqbal, Zahid&Lohdi, Sumaira. (2014). Extremist and Religious Violence: An Economic Overview of Pakistan. International Journal of Research In Applied Natural and Social Science.
- Shah, Erum&Nikku, BalaRaju. (2015). Socio- Psychological Impacts of Religious on Women Of Sindh, Pakistan. Journal of Humanities and Social Science.

دراسة السلوك الحيواني وأثره في فهم أحاديث صحيح البخاري

الأستاذ الدكتور رائد علي محمد الكردي

جامعة البلقاء التطبيقية - الأردن

E-mail: raed_kordi@yahoo.com

الملخص:

تناولت الدراسة موضوع السلوك الحيواني وأثره في فهم أحاديث صحيح البخاري. وقد تحدثت الدراسة عن بعض الأحاديث والروايات التي لها علاقة بموضوع السلوك الحيواني، وهي رواية القردة التي رُجمت لأنها زنت، والأحاديث التي تناولت قتل بعض الحيوانات، كالكلب العقور والوزغ. فذكرت الدراسة الشبهات التي أثّرت حول هذه الأحاديث التي وردت في صحيح البخاري، ثم قامت بالردّ على هذه الشبهات من خلال ذكر أقوال العلماء، ومن خلال الحديث أيضاً بشكل مفصّل عن سلوك هذه الحيوانات حسب ما ورد عند العلماء المختصين بهذا العلم. وقد خلّصت الدراسة إلى أنّ ما ورد في هذه الأحاديث المذكورة في صحيح البخاري واقعيّ ويتقبله العقل؛ لأنه يتفق مع جاء في علم سلوك الحيوان ومع ما ذكره المختصّون والمهتمّون بهذا العلم، وبناء على ذلك فإنّ القول بضعف هذه الأحاديث بدعوى أنّها لا تتفق مع العقل دعوى مردودة على صاحبها.

الكلمات المفتاحية: السلوك، الحيواني، البخاري.

Abstract:

The study dealt with the subject of animal behavior and its effect on understanding the hadiths of Sahih Al -Bukhari. The study talked about some hadiths and narrations related to the subject of animal behavior, which is the narration of the monkey that was stoned because it is adulterer, and the hadiths that dealt with the killing of some animals, such as the dog, the realty and the dust. The study mentioned the suspicions that were raised about these hadiths that were mentioned in Sahih Al-Bukhari, and then responded to these suspicions by mentioning the sayings of the scholars, and by also talking in detail about the behavior of these

animals according to what was reported by the scholars specialized in this science. The study concluded that what was mentioned in these hadiths mentioned in Sahih Al-Bukhari is realistic and accepted by reason. Because it agrees with what was stated in the science of animal behavior and with what was mentioned by specialists and those interested in this science, and based on that, the claim that these hadiths are weak on the grounds that they are not consistent with reason is a claim that is rejected by its owner.

Keywords: behavior, animal, Bukhari

المقدمة

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فقد حارب كثير من الناس هذا الدين بشتى الوسائل، ومن ضمن هذه الوسائل التشكيك بالسنة النبوية الشريفة، وفي محاربتهم للسنة اتبعوا طرقا كثيرة من أبرزها في عصرنا الحالي إثارة الشكوك حول صحة الأحاديث النبوية الشريفة من خلال إنكار هذه الأحاديث بدعوى أنها لا تتفق مع العقل. وللأسف فقد جرى بعض المسلمين هؤلاء المشككين فأنكروا أيضا أحاديث كثيرة معتمدين في إنكارهم لها على ما قاله الأعداء من أن هذه الأحاديث لا تتفق مع العقل، دون نظر إلى سند هذه الأحاديث. ويجد الناظر في عصرنا الحالي أن هناك هجمة شرسة على كتاب صحيح البخاري من خلال محاولة التشكيك بصحة الأحاديث والآثار الموجودة فيه، ومن ضمن الأحاديث والآثار التي شككوا فيها في كتاب صحيح البخاري وأثاروا الشبهات حولها، رواية القردة التي رُجمت لأنها زنت، والأحاديث التي أباحت قتل بعض الحيوانات مثل الكلب العقور والوزغ، فأنكر بعض الناس هذه الأحاديث بدعوى أن ما جاء في هذه الأحاديث يتعارض مع المنطق والعلم، ولذلك جاءت هذه الدراسة لإزالة الشبهات التي أثيرت حول هذه الأحاديث والروايات من خلال الحديث عن علم سلوك الحيوان وأثره في إثبات صحة هذه الأحاديث وفهمها، وبخاصة أن المتكلمين في علم سلوك الحيوان هم علماء مختصون ولهم مكانتهم عند المهتمين بهذا العلم.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في أنها ستختصّ بالدفاع عن بعض الأحاديث والروايات التي تمت الإشارة إليها من خلال ربط هذه الأحاديث بعلم سلوك الحيوان؛ لأنّ هذا العلم له أثره الواضح في فهم كثير من الأحاديث، وتأكيد صحتها من خلال بيان الاتفاق بين ما ورد في هذه الأحاديث والروايات وبين ما ورد في علم سلوك الحيوان.

خطة الدراسة:

جاءت الدراسة وفق الخطة الآتية:

المبحث الأول: السلوك الحيواني، تعريفه، وأنواعه، وقد تم تقسيم هذا المبحث إلى المطالب الآتية:

المطلب الأول: تعريف السلوك الحيواني.

المطلب الثاني: السلوك الحيواني في القرآن والسنة.

المطلب الثالث: أنواع السلوك الحيواني.

المطلب الرابع: أشكال السلوك الحيواني.

المبحث الثاني: رواية القردة التي زنت، وقد تم تقسيم هذا المبحث إلى المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: آراء العلماء في رواية القردة التي زنت.

المطلب الثاني: السلوك الحيواني للقرود.

المبحث الثالث: حديث الحيوانات الفواسق التي تُقتل، وقد تم تقسيم هذا المبحث إلى المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: تعريف الفسق.

المطلب الثاني: الحكمة من إباحة قتل الحيوانات الفواسق.

المبحث الرابع: حديث قتل الوزغ، وقد تم تقسيم هذا المبحث إلى المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: تعريف الوزغ.

المطلب الثاني: الحكمة من قتل الوزغ.

المبحث الأول

السلوك الحيواني، تعريفه وأنواعه

ورد في صحيح البخاري وغيره من كتب السنن أحاديث نبوية كثيرة تتحدث عن الحيوانات، ويعتمد فهم هذه الأحاديث وتأويلها على ربط ما جاء فيها مع ما جاء في علم السلوك الحيواني، وبالتالي بيان الاتفاق بين ما أثبتته العلم وبين ما ورد في هذه الأحاديث، وتتعدى فائدة هذا الربط أمر فهم الأحاديث إلى أمر إثبات صحتها، وبخاصة في ظل بث الشبهات من بعض المشككين والمنكرين لبعض الأحاديث بدعوى أن ما ورد في هذه الأحاديث يتعارض مع العقل والعلم.

المطلب الأول: تعريف السلوك الحيواني:

تعددت تعريفات الباحثين للسلوك الحيواني، ومن أبرز هذه التعريفات: "الأنشطة التي تقوم بها الحيوانات خلال حياتها، والتي قد تتضمن الحركة والغذاء والتكاثر، وصيد الطرائد، وتجنب الحيوانات المعادية المختلفة والسلوكيات الاجتماعية" (رسن، الدلالات التربوية للسلوك الحيواني في السنة النبوية، ص ١)

المطلب الثاني: السلوك الحيواني في القرآن الكريم والسنة النبوية:

قرر القرآن الكريم في وصفه لعالم الحيوان أن ذلك العالم هو أمة من الأمم (رسن، الدلالات التربوية للسلوك الحيواني في السنة النبوية، ص ٨)، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ الأنعام: ٣٨. قال ابن عاشور في تفسير هذه الآية: "اعلم أن معنى قوله (وما من دابة في الأرض) إلى قوله (إلا أمم أمثالكم) أن لها خصائص لكل جنس ونوع منها، كما لأمم البشر خصائصها، أي جعل الله لكل نوع ما به قوامه، وألهمه اتباع نظامه وأن لها حياة مؤجلة لا محالة، فمعنى (أمثالكم) المماثلة في الحياة الحيوانية وفي اختصاصها بنظامها" (ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج/٢٣)

وفي السنة النبوية ورد قوله صلى الله عليه وسلم: "لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها، فاقتلوا كل أسود بهيم" (الترمذي، سنن الترمذي، كتاب لأحكام والفوائد، باب ما جاء في قتل الكلاب، ص ٣١٥). قال الخطابي: "معنى هذا الكلام أن النبي صلى الله عليه وسلم كره إفناء أمة من الأمم، وإعدام

جيل من الخلق حتى يأتي عليه كله فلا يبقى منه باقية؛ لأنه ما من خلقٍ لله تعالى إلا وفيه من الحكمة وضربٌ من المصلحة" (الخطابي، شرح سنن أبي داود، ج ٤٠/٤).

المطلب الثالث: أنواع السلوك الحيواني:

- من أهم أنواع السلوك الحيواني التي حظيت باهتمام العلماء والباحثين:
- ١- عملية تعرّف الحيوانات على الأماكن التي تتحرك فيها ضمن بيئتها.
 - ٢- عملية اختيار المأوى، وتخضع هذه العملية لعوامل، من أهمها: مستوى تحمل الحيوان، والرطوبة، وتوفر المياه النقية.
 - ٣- عملية اختيار الطعام والحصول عليه.
 - ٤- السلوك الاجتماعي، ويتضمن التفاعلات بين الحيوانات من النوع الواحد، والحيوانات من الأنواع المختلفة (رسن، الدلالات التربوية، ص ١٧-١٨).

المطلب الرابع: أشكال السلوك الحيواني:

- بيّن العلماء والباحثون المختصون بعلم الحيوان أنّ للحيوانات سلوكيات مختلفة تقوم بها من أجل تحقيق أهداف محددة، ومن أهم أشكال السلوك الحيواني:
- ١- الرعاية الوالدية، ويشير هذا السلوك إلى كل ما يقوم به الحيوان للحفاظ على سلامة صغاره لبقائهم.
 - ٢- التودّد، ويشير هذا السلوك إلى ما يقوم به الحيوان من أفعال لاجتذاب الحيوان الآخر.
 - ٣- التزاوج والتكاثر، ويعتمد هذا السلوك على سلوك التودّد، ويهدف سلوك التزاوج والتكاثر إلى تحقيق بقاء النوع واستمراره.
 - ٤- السلوك العدواني، ويتضمن هذا الشكل من السلوك أفعالا، كالهرب والقتال والاختباء.

- ٥- سلوك الهجرة، ويعني انتقال الحيوان من مكان إلى آخر بحثاً عن بيئات ملائمة بشكل أكبر مع تغير الفصول.
- ٦- إصدار الأصوات، للتحذير مثلاً من الخطر واجتذاب الرفيق والتودّد.
- ٧- اللعب والاسترخاء، وغالباً ما يكون اللعب لدى الحيوانات هادفاً إذ يتضمن التدريب على مجموعة من المهارات الضرورية للبقاء (رسن، الدلالات التربوية، ص ١٨-٢٠).

المبحث الثاني

رواية القردة التي زنت

جاء في صحيح البخاري: حَدَّثَنَا نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ حُصَيْنٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قِرْدَةً اجْتَمَعَ عَلَيْهَا قِرْدَةٌ، قَدْ زَنَتْ، فَزَجَمُوهَا، فَزَجَمْتُهَا مَعَهُمْ (البخاري، صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب القسامة في الجاهلية، ج ٢/٧٧١).

وهذه الرواية كما هو ظاهر مروية عن عمرو بن ميمون، وهي بالتالي ليست من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولا أحد من الصحابة، فقد رواها البخاري على أنها حادثة رآها عمرو بن ميمون، وظنّ ظنّه هو أيضاً.

وعمر بن ميمون الأودي المذحجي الكوفي أدرك الجاهلية، وأسلم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لم يره، ولذلك هو من كبار التابعين، قال عمرو بن ميمون: قَدِمَ عَلَيْنَا مَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ الشَّامِ فَلَزِمْتَهُ، فَمَا فَارَقْتَهُ حَتَّى دَفَنْتَهُ، ثُمَّ صَحَبْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٤/١٥٨، ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٣/٢٨٢).

وقد حدّث عمرو بن ميمون عن عمر، وعليّ، وابن مسعود، ومعاذ، وأبي هريرة، وأبي أيوب الأنصاري، وطائفة.

وروى عنه الشعبي، وأبو إسحاق، وخُصين بن عبدالرحمن، وسعيد بن جبير وآخرون (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٤/١٥٨).

وقد أثارت هذه الرواية جدلاً واسعاً، وانقسم الناس بين مصدّق لهذه الرواية، ومنكر لها، بل ومستهزئ بها، ولذلك ستقوم الدراسة بعرض الآراء في هذه الرواية، وبيان الراجح منها.

المطلب الأول: آراء العلماء في رواية القردة التي زنت:

يمكن تقسيم آراء العلماء والباحثين في هذه الرواية إلى الأقوال الآتية:

القول الأول: عدم صحة هذه الرواية، حيث يرى أصحاب هذا القول أن هذه الرواية ضعيفة من حيث السند، فقال بعضهم إنّ في سندها نُعيم بن حمّاد، ونُعيم من رجالات معلقات البخاري لا من أسانيد، وقد قال ابن حجر عن نُعيم: "صدوق يخطئ كثيراً" (بشار معروف، تحرير تقريب التذهيب، ج ٤/٢١).

وفي سند هذا الخبر أيضاً هُشيم بن بشير الواسطي، وهُشيم هذا قال عنه الذهبي: "مدلس وقد عنعن" (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٤/١٥٩)، ولا يُحتجّ بحديثه إلا إذا صرح بالسماع، ولم يصرح بالسماع في هذا الخبر (أبو عبدالعزيز الزمان، مقالة بعنوان: الردّ على الشبهة المثارة حول رواية قردة في الجاهلية زنت فرجمت).

وممّن ضعّف هذا الرواية ابن عبد البر، حيث قال: "وأما القصة بطولها فإنها تدور على عبدالملك بن مسلم عن عيسى عن حطّان، وليس مما يُحتجّ بهما، وهذا عند أهل العلم منكرٌ، إضافة الزنا إلى غير مكلف وإقامة الحدود في البهائم" (ابن عبد البر، الاستيعاب، ٣٨٢/٣)، فابن عبد البر ضعّف هذه الرواية بناءً على روايتها عند غير البخاري، فقد رُويت مطوّلة عند غيره مثل الإسماعيلي في مستخرجه وفي سندها كما ذكر عبدالملك بن مسلم وعيسى بن حطّان اللذين لا يُحتجّ بهما.

وقد ردّ ابن حجر على ابن عبد البر بأنّ الطريق التي أخرجها البخاري دافعة لتضعيف ابن عبد البر للطريق التي أخرجها الإسماعيلي (ابن حجر، فتح صحيح البخاري، ج ٧/٢٠٣).

ومال الألباني أيضا إلى تقوية هذا الأثر، فقال: ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب أنه رواه عباد بن العوام أيضا عن حصين، كما رواه هشيم مختصرا، وقال الألباني: وعباد هذا ثقة من رجال الشيخين، وتابعه عيسى بن حطان عن عمرو بن ميمون به مطوّلًا، وعيسى هذه وثقه العجلي وابن حبان، وقد مال الحافظ إلى تقويتها خلافا لابن عبد البر (الألباني، مختصر صحيح البخاري، ج/٣٥٣-٣٣٦).

القول الثاني: إنّ هذا الأثر مُقحم في كتاب صحيح البخاري، ومن الذين قالوا بهذا الحميدي، يقول ابن حجر: "وأغرب الحميدي في "الجمع بين الصحيحين"، فزعم أنّ هذا الحديث وقع في بعض نسخ البخاري، وأنّ أبا مسعود وحده ذكره في "الأطراف"، قال: ليس في نسخ البخاري أصلا، فلعله من الأحاديث المُقحمة في كتاب البخاري" (ابن حجر، شرح صحيح البخاري، ج٧/٢٠٢).

وقد ردّ ابن حجر على الحميدي بقوله: "وما قاله - أي الحميدي - مردود، فإنّ الحديث المذكور في معظم الأصول التي وقفنا عليها، وكفى بإيراد أبي الحافظ له عن شيوخه الثلاثة الأئمة المتقنين عن الفربري حجة، وكذا إيراد الإسماعيلي وأبي نعيم في مستخرجيهما، وأبي مسعود له في أطرافه" (ابن حجر، شرح صحيح البخاري، ج٧/٢٠٢).

وقال ابن حجر: "إنّ تجويز أنّ يزيد في صحيح البخاري ما ليس منه يُنافي ما عليه العلماء من الحكم بتصحيح جميع ما أورده البخاري في كتابه، ومن اتّفاقهم على أنّه مقطوع بنسبه إليه، وهذا الذي قاله تخيل فاسد يتطرّق منه عدم الوثوق بجميع ما في الصحيح؛ لأنه إذا جاز في واحد بعينه جاز في كل فرد، فلا يبقى لأحد الوثوق بما في الكتاب المذكور، واتفاق العلماء ينافي ذلك" (ابن حجر، شرح صحيح البخاري، ج٧/٢٠٢-٢٠٣).

القول الثالث: إنّ هذه الرواية صحيحة، ولكنّ الذي ذكره عمرو بن ميمون في هذه الرواية مبني على ظنّ ظنّه، وهذا الظنّ خاطئ وغير صحيح، وبالتالي فإنّ أصحاب هذا القول يرون صحّة الرواية ولكنهم أنكروا ما رواه عمرو بن ميمون، ومن الذين ذهبوا إلى هذا القول الألباني، حيث قال عن هذه الرواية: "هذا أثر منكر، إذ كيف يمكن للإنسان أن يعلم أنّ القردة تتزوج، وأنّ من خلّقتها المحافظة على العرض،

فمن خان قتلوه؟ ثم هبَّ أن ذلك واقع بينهم، فمن أين علم عمرو أن رجم القردة لأنها زنت؟" (الألباني، مختصر صحيح البخاري، ج ٢/٥٣٥).

ويقول ابن قتيبة الدينوري في معرض دفاعه عن رواية عمرو بن ميمون: "إنَّ حديث القروذ شيء مذكور عن عمرو بن ميمون، وقد يكون بالفعل رأى القروذ ترجم قردة، فظنَّ أنها ترجمها لأنها زنت، وهذا لا يعلمه أحد إلا ظناً؛ لأن القروذ لا تُنبئ عن أنفسها، والذي يراها تتسافد - أي تمارس الجماع - لا يعلم أزنت أم لم تزن" (ابن قتيبة الدينوري، تأويل مختلف الحديث، ص ٣٧٢-٣٧٣).

إذاً أصحاب هذا القول يروون صحّة الرواية كما رواها البخاري، ويقولون بصدق ما رواه عمرو بن ميمون ولكنهم يروون أن ما رواه ظنَّ منه، فقد استنتج ممّا رآه أن ما قامت به القروذ تجاه القردة هو رجم بسبب زناها وهذا الاستنتاج خاطئ في نظرهم.

ويرى بعض أصحاب هذا القول أن البخاري يرى ما يروون، فهو - أي البخاري - في نظرهم غير مهتمّ بما رآه عمرو بن ميمون واستنتجه.

إذاً يبقى السؤال لماذا أورد البخاري هذه الرواية في كتابه مع أنه غير مهتمّ بما ظنّه عمرو بن ميمون؟

اختلفت الأقوال في توجيه هذا الأمر، فيرى القرطبي أن البخاري غير مهتمّ بما ظنّه عمرو بن ميمون، ولكنه أورد هذه الرواية للدلالة على أن عمرو بن ميمون أدرك الجاهلية (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١/٤٤٢).

ويرى بعض الباحثين المعاصرين أن البخاري أخرج هذا الأثر في كتابه ليبين للقارئ ما كان عليه أهل هذا الزمان في الجاهلية من أحوال وأخلاق قبل مجيء الإسلام، والدليل على ذلك كما يرى صاحب هذا الرأي أن البخاري وضع أثر عمرو بن ميمون تحت باب "القسامة في الجاهلية" من كتاب "مناقب الأنصار"، وبالتالي كأن البخاري يريد أن يقول: لقد كانوا في الجاهلية يقحمون أنفسهم

في شؤون الحيوان، والإسلام لم يأمر بهذا، وقد كرم الإنسان ونزّهه عن هذه الأفعال" (محمود بن أحمد، مقالة بعنوان: ليس دفاعا عن البخاري).

القول الرابع: إنّ هذه الرواية صحيحة، وما رآه عمرو بن ميمون صحيح وما ظنّه أيضا صحيح، ولكن لعلّ هؤلاء القردة الذين رآهم عمرو بن ميمون من نسل القردة الذين مُسخوا فبقي فيهم ذلك الحكم (ابن حجر، شرح صحيح البخاري، ج ٧/٢٠٢).

وقد ردّ العلماء على هذا بأنّ الممسوخ لا ينسل لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إنّ الله لم يجعل لمسخ نسلًا ولا عقبا" (مسلم، صحيح مسلم، كتاب القدر، باب الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد وتنقص عما سبق به القدر، ص: ١١٦٠).

ويرى ابن عبد البر الذي ينكر بالأصل صحة الرواية أنّ الذين رآهم عمرو بن ميمون من الجنّ على فرض صحة الرواية؛ لأنّ الإنس والجنّ هم المكلفون فقط بالعبادات (ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٣/٢٨٢).

القول الخامس: إنّ هذه الرواية صحيحة، وما رآه عمرو بن ميمون صحيح وما ظنّه أيضا صحيح، فعند هؤلاء بالفعل رأى عمرو بن ميمون قردة ترجم قردة لأنها زنت، وشارك معهم في الرجم كما أخبر بذلك، وقد ذهب إلى هذا القول كثير من العلماء السابقين والمعاصرين، ومن أبرز هؤلاء العلماء:

– ابن حجر العسقلاني، حيث يقول: "وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتاب "الخیل" أنّ مهرا أنزي على أمّه فامتنع، فأدخلت في بيت وجلّت بكساء وأنزي عليها، فنزى، فلما شمّ ريح أمّه عمد إلى ذكره فقطعه بأسنانه من أصله، فإذا كان هذا الفهم في الخيل مع كونها أبعد في الفطنة من القرد فجوازها في القرد أولى" (ابن حجر، فتح الباري، ج ٧/٢٠٣).

– ابن قتيبة الدّينوري، حيث يرى أنّ توهم عمرو بن ميمون للزنا فيما رآه ليس ببعيد، فيقول ابن قتيبة: "ولعلّ الشيخ عرف أنها زنت بوجه من الدلائل، والعرب تضرب بها المثل، فتقول: أزنى من قرد، ولولا أنّ الزنا منه معروف ما ضربت به المثل، وليس شيء أشبه بالإنسان في الزواج والغيرة منه، والبهايم قد تتعاضد ويثبّ بعضها على بعض، ويعاقب بعضها بعضا، فمنها ما يعصّ، ومنها ما يخدش، ومنها ما يكسر ويحطم،

والقرود ترجم بالأكف التي جعلها الله لها كما يرمم الإنسان، فإن كان إنما رجم بعضها بعضا لغير زنا فتوهمه الشيخ لزنا فليس هذا ببعيد، وإن كان الشيخ استدلل على الزنا منها بدليل وعلى أن الرجم كان من أجله فليس ذلك أيضا ببعيد، لأنها على ما أعلمتك أشد البهائم غيرة، وأقربها من بني آدم أفهاما" (ابن قتيبة الدينوري، تأويل مختلف الحديث، ص: ٣٧٢-٣٧٣).

- ابن تيمية، حيث يقول عن رواية عمرو بن ميمون: "ومثل ذلك قد شاهدته الناس في زماننا في غير القرود، حتى الطيور" (ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج ١١/٥٤٥).

- عمر الأشقر، حيث يقول: "من عجيب أمر القرود ما ذكره البخاري في صحيحه، فهؤلاء القرود أقاموا حداً الله حيث عطّله بنو آدم" (عمر الأشقر، العقيدة في الله، ص: ٤١).

ترجيح الباحث: يرى الباحث - والله تعالى أعلم - صحة رواية عمرو بن ميمون التي أوردها البخاري في كتابه، وأن ما رآه عمرو بن ميمون صحيح وما ظنّه أيضا صحيح، ولا يُعقل أن عالما مثل الإمام البخاري يورد رواية في صحيحه دون أن يهتم بصحة ما فيها كما ذكر بعض العلماء، والدليل على ذلك ما وصل إليه العلم الحديث في الكشف عن سلوك الحيوان، حيث تصيب الإنسان الدهشة وهو يرى بعض سلوكيات الحيوان التي تفوق ما ذكره عمرو بن ميمون، ولذلك سيتم الحديث بشكل مفصل عن سلوك القرود لإثبات ما رواه عمرو بن ميمون.

المطلب الثاني: السلوك الحيواني للقرود:

لو نظرنا إلى رواية عمرو بن ميمون سوف نجد أنها تتحدث عن سلوكين مهمين عند القرود، هما: الغيرة، والتقاضي، وبالتالي فإن إثبات هذين السلوكين عند القرود يؤكد صحة ما رآه عمرو بن ميمون.

أولاً: الغيرة عند القرود:

لا تخلو العشرة الزوجية عند الحيوانات بشكل عام من الغيرة، فالحيوانات تغار كما يغار الإنسان، ويستوي في ذلك الذكر والأنثى، فالذكر يغار على الأنثى، والأنثى كذلك تغار على الذكر (عزالدين فراج، عجائب المخلوقات، ص ١٨)، وهذه الغيرة موجودة في شتى أصناف الحيوانات، بل وحتى في الطيور، ولذلك يرى

الباحثون في عالم سلوك الحيوان أنّ هناك ميلا واضحا عند كثير من الحيوانات لأنّ يظلّ ذكر معين بذاته مرتبطا بأنثى معينة بذاتها، وبالتالي فإنّ السلوك الجنسي عند الحيوان لم يعد مقتصرًا على وظيفة التكاثر، بل أصبح هذا السلوك عنصرا هاما في التنظيم الاجتماعي الذي يميل إلى إنتاج علاقة بين الذكور والإناث أثبت بقاءً وأبعد مكثاً (جون بول سكوت، سلوك الحيوان، ص: ٢١٤، ٢١٥).

وفي عالم القردة نجد هذه الغيرة واضحة جليّة عند كثير من من أنواع القردة، ولذلك وصفها العلماء بأنها أشبه الحيوانات بالإنسان من حيث الغيرة كما قال ابن قتيبة الدينوري: " وليس شيء أشبه بالإنسان في الزواج والغيرة منه" (ابن قتيبة الدينوري، تأويل مختلف الحديث).

ومن أبرز أنواع القردة التي تغار "الرباح"، حيث تغار ذكور الرباح – وهو ذكر القردة عامة – على إناثها بعنف وشراسة، وهذا ما يعرفه أمعاء حدائق الحيوان، حيث تُكبدّهم هذه الغيرة خسائر فادحة، فالذكور تقتتل في تنافسها على الإناث حتى الموت، بل قد تمرّق الإناث تمزيقا وهي تتجاذبها ليستحوذ عليها واحد من الذكور دون سواه (سكوت سلوك الحيوان، ص: ٢١١).

ويقول علماء سلوك الحيوان من الغريب أنك تجد في القردة أنّ الذكر يكون سيدا على الإناث ويسيطر عليها، وله زوجة أو أكثر، وهذا الذكر نفسه قد لا يستطيع أن يتغلب على الذكور الأخرى فيما لو كان العراك على الطعام، وحتى لو هُزم في هذا النضال من أجل الطعام فإنه يتمسك بزوجاته، فلا يفقدها، وإذا حاول قردٌ أعزب أن يأخذ إحدى إناثه فإن قتالا مريرا ينشب (مونرو فوكس، شخصية الحيوان، ص: ١٥٥).

وتعيش أغلب أنواع القردة بشكل عائلي، ومن هذه الأصناف قرد "الهامار ديللي" الذي يتواجد في إفريقيا الشرقية، وشبه الجزيرة العربية، ويعيش هذا النوع من القردة بشكل قبائل متجاورة أو متباعدة، ولكل قبيلة منطقتها وحدودها، والعلاقات بين أفراد القبيلة مؤلفة من عدة عوائل، ولكل عائلة رئيسها، وهذا الرئيس يخضع له الجميع، ويعيش في حريم خاص به، والعائلة تضم الإناث والصغار، وحين يكبر الصغار يطردهم الزعيم (صبري القباني، غرائب في مملكة الحيوان، ص: ٩٩).

ولا تقتصر الغيرة عند القردة على الذكر فقط، بل تشمل الإناث أيضاً، فالإناث تغار بشدة على زوجها، ومن المشاهدات على هذه الغيرة ما ذكرته كثير من الكتب المختصة بسلوك الحيوان عن قصة مفادها أنه في عام ١٩٥٤ شهدت حديقة حيوان في الجيزة في مصر حادثاً طريفاً، إذ وقفت فتاة حسناء أمام بيت قرد في الحديقة وراحت تداعبه وتقدم له الطعام، وصار القرد يعرض حركاته وألعابه أمام هذه الفتاة، وفجأة أطلقت زوجة القرد صرخة وراحت تعترض القضبان الفاصلة بين زوجها وبين الفتاة، فرجعت الفتاة ثم ألقت قطعة حلوى أخرى إلى القرد وقبل أن يلتقطها القرد تقدمت زوجته وأمسكت بها وقذفتها في وجه الفتاة، فغضب القرد الزوج وقفز على زوجته كالوحش وانهاled عليها بالضرب (فراج، عجائب المخلوقات، ص ١٩-٢٠).

وهذه الغيرة على العرض لا تقتصر على القردة، بل تشمل كثير من الحيوانات والطيور أيضاً، فبعض الطيور تأخذها الغيرة على العرض أيضاً، فقد لوحظ مرة مظاهر الغيرة الزوجية عند حمام الزاجل فاستغلها المربون في زيادة سرعة طيرانه وذلك من خلال وضع ذكر غريب في قفص الأنثى قبل انطلاق زوجها برسالته، فكان هذا الزوج الغيور يعود من مهمته في ثلاث أرباع المدة التي كان يعود فيها من قبل وذلك خشية أن يجد أنثاه في أحضان هذا الذكر الجديد، وقد أجريت هذه التجربة ذاتها مع الإناث فعاتت مسرعة كالذكر (فراج، عجائب المخلوقات، ص: ١٩).

ثانياً: التقاضي عند القردة:

بيّنت المعلومات الجديدة عن بعض أنواع القردة، مثل قرد "الهامار ديللي" أنّ كل قبيلة من هذه القردة تتبع سنة التدرج الطبقي في تركيبها الاجتماعي، فهناك رأس القبيلة، ويكون أكبر أفرادها سناً وحجماً، ويُقدم في كل شيء، فيأكل قبل الجميع، ويختار الأنثى التي يريد، ويوزع الأكل ثواباً، أو الضرب والعصّ عقاباً، ويأتي بعده الوكلاء، ولهؤلاء سلطات واسعة مثل سلطة الزعيم، ولكنهم يؤدونها بموجب أمر يصدر عنه، فهم يوفرون الحماية للصغار، ويفضون المشاجرات، ويعاقبون المشاغبون (القباني، غرائب في مملكة الحيوان، ص: ١٠).

ونجد مثل هذا التقاضي وإقامة العقوبة عند الطيور، فقد وصف الرحالة "أدموندسون" محاكمة نوع من الغربان تُعرف بالزَّارغ فقال: اجتمعت جماعة من الغربان في إحدى الحقول في جلبة وصياح، وأخذت أصوات هذا الجمع ترتفع وتشتدّ، وبعد مهلة قصيرة انهالت جماعة من الغربان التي نصّبت نفسها منصب القضاء على الطائر المُذنب بمناقيرها حتى أدمته، ولم تكفّ عن نقره وإيذائه حتى صرخته وقتلته (فراج، عجائب المخلوقات، ص ١٥٣).

وفي قصة تتشابه إلى حدّ كبير مع القصة التي رواها عمرو بن ميمون ذكر بعض المهتمين بعالم الحيوان أنه ذهب إلى وكر تسكنه أنثى اللقلاق وغافلها وأخذ بيضاتها ووضع بعدها بيضا للدجاج، وبعد مدة فقسّت البيضات فإذا هي فراريح صغيرة، ولما عاد زوجها اللقلاق ورأى النتيجة أخذه الدهش وغضب غضبا شديدا، ثم حلّق في الجو في أسى وحنقٍ شديدين، وبعد قليل رجع في جمع من اللقلاق التي طار إلى أوكارها ومواقع لقائها يبحثها شكواه، فهجمت هذه اللقلاق على أنثى هذا اللقلاق ونفّذت فيها حكم الموت بعد لحظات (فراج، عجائب المخلوقات، ص: ١٥٤).

إن المجال لا يتسع لذكر كثير من القصص التي رواها في عصرنا الحالي العلماء والباحثون المختصون بعالم الحيوان وسلوكه، وكثير من هذه القصص يفوق ما ذكره عمرو بن ميمون، ومع ذلك لا تجد أحدا يكذب هؤلاء أو ينكر عليهم، بل تجد الناس يتقبلون أخبارهم بصدق ورحب وإعجاب.

وينوّه الباحث إلى أمر مهمّ مفاده أنّ القول بصحة ما ظنّه عمرو بن ميمون لا يلزم القول بأن القُرود مكلفة بما هو مكلف به الإنسان، بحيث يكون الرجم الذي ذكره عمرو بن ميمون كالرجم الذي في شريعتنا الإسلامية، فالذي قامت به القُرود في حقّ القُرود التي زنت عقوبة سمّاها عمرو بن ميمون رجماً، ولو رآها شخص آخر ربّما أطلق عليها وصفاً آخر.

المبحث الثالث

حديث الحيوانات الفواسق التي تُقتل

ذكر البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خمسٌ فواسقٌ، يُقتلن في الحرم: "الفأرة، والعقرب، والحُديّا، والغُراب، والكلبُ العَقُورُ" (البخاري، صحيح البخاري، كتاب جزاء الصيد، باب ما يُقتل المُحرّم من الدواب، ج ١/٣٧٣، ورواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب خمس من الدوابّ فواسقٌ، يُقتلن في الحرم، ج ٢/٦٧٠).

وقد اعترض بعض الناس على أمرين في هذا الحديث، أولهما: وصف هذه الحيوانات بالفسق، فقال المعترضون: لا يجوز أن يوصف غير الجن والإنس بالفسق والهداية.

والاعتراض الثاني: إنّ إباحة قتل هذه الحيوانات بمجرد رؤيتها يتنافي مع رحمة الإسلام، فما ذنب هذه الحيوانات أن تقتل بمجرد رؤيتها ودون أن ترتكب فعلاً يستوجب قتلها.

إنّ الإجابة على هذين الاعتراضين تستوجب بيان معنى فسق هذه الحيوانات، ثم بيان سلوكها الذي يبيح قتلها.

المطلب الأول: تعريف الفسق:

الفسق لغة: الخروج عن الأمر، فتقول العرب: فسقت الرُطبة: أي خرجت من قشرها.

والفسق: العصيان والترك لأمر الله عز وجلّ والخروج عن طريق الحقّ، وقيل الفسوق: الخروج عن الدين، وكذلك الميل إلى المعصية، وكأنّ الفأرة سُميت فويسقة لخروجها من جحرها على الناس (ابن منظور، لسان العرب، ج ١١/١٨١).

وأما المعنى في وصف الدوابّ المذكورة في الحديث بالفسق فقليل لخروجها عن حكم الحيوان في تحريم قتلها في الحرم والإحرام (النووي، المنهاج بشرح صحيح مسلم، ج ٤/١١٨).

وقيل إنّ سبب وصفها بالفسق لكون فعل هذه الدوابّ يشبه فعل الفسّاق من إيقاع الضرر (ابن حجر، فتح الباري، ج ٤/٤٩).

المطلب الثاني: الحكمة من إباحة قتل الحيوانات الفواسق:

إنّ النظر إلى سلوك الحيوانات التي أباح الحديث النبوي قتلها يبيّن الحكمة من إباحة قتلها، فهذه الحيوانات كما بيّن العلماء وُصفت بالفسق لأنّ سلوكها مبني على إيقاع الضرر بالناس وغيرهم، ولذلك سنقوم الدراسة ببيان سلوك كلّ حيوان ورد في الحديث.

أولاً: الفأرة:

ورد في حديث آخر ذكره البخاري في صحيحه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم وصف الفأرة بالفؤيسقة وبيّن سبب وصفها بذلك، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خَمَرُوا الْآتِيَةَ، وَأَجِيفُوا الْأَبْوَابَ، وَأَطْفِئُوا الْمَصَابِيحَ، فَإِنَّ الْفُؤَيْسِقَةَ رُبَّمَا جَزَتْ الْفَتِيلَةَ فَأَحْرَقَتْ أَهْلَ الْبَيْتِ" (البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب لا تترك النار في البيت عند النوم، ج ٤/١٢٧)

لقد بيّن الحديث النبوي سلوكاً سيئاً من بعض سلوكيات الفأرة، فقد تتسبب في حرق البيت.

وهناك أضرار كثيرة للفأرة من أبرزها:

١- نقل الأمراض الخطيرة إلى الإنسان، ذكر استشاري مناعة أنّ الفئران تنقل عشرين مرضاً من الأمراض الفيروسية والبكتيرية، وتنقل الفئران هذه الأمراض بطرق مختلفة مثل الإفرازات والعضّ، أو من خلال تناول بعض الأطعمة التي تلوّثها الفئران، ومن أخطر الأمراض التي تنقلها الفئران للإنسان:

أ- فيروسات هنتا (hantavirus) وهي من أهم الفيروسات القاتلة التي تصيب الرئتين، ولم يكتشف علاج ولا لقاح لهذه الفيروسات حتى الآن.

ب- التهاب السحايا والمشيمات اللمفاوي.

- ج- الطاعون الذي تسبب في قتل ملايين الأشخاص في السنوات السابقة.
- د- السالمونيلا: حيث تحمل بعض القوارض بكتيريا السالمونيلا في الجهاز الهضمي الخاص بها، مما يسهل نقل مسبب المرض إلى الإنسان.
- هـ- حمى عضة الجرذ: وهذا المرض ينتقل في حال عضّ إنسان من قبل جرذ مصاب بالمرض (مقالة بعنوان: أمراض تنقلها لك الفئران، موقع: اليوم السابع).
- ٢- الأضرار الاقتصادية نتيجة أكلها للنباتات والمحصول الزراعي، وكذلك تؤدي إلى تلف الملابس والمفروشات وبعض المواد الغذائية، والأسلاك الكهربائية، حيث تقوم الفئران بقضمها مما يؤدي أحيانا إلى حدوث ماس كهربائي، أو تلف العديد من الأجهزة الكهربائية.
- ٣- الفزع والخوف: إن مجرد رؤية فأرة داخل المنزل يؤدي إلى الخوف والفزع بين أهل هذا المنزل (مقالة بعنوان: أضرار وجود الفئران في المنزل، موقع: اليوم السابع).

ثانيا: العقرب:

لا يخفى ضرر العقرب على أحد، فهذا المخلوق صاحب سلوك عدائي محض، ويمارس سلوكه هذا من خلال اللدغ، ولدغة العقرب قد تؤدي إلى الوفاة، وذلك بسبب السم الذي يدخل إلى الجسم إثر هذه اللدغة. وهناك أضرار كثيرة ترافق لدغة العقرب من أبرزها: الشعور بالخدر في الجزء المتضرر، وازدياد عدد ضربات القلب، وحدوث تأرجح في ضغط الدمن والشعور بالغثيان، وتورم في الرئتين، وحدوث نزيف في الجسم، وفشل في عمل الجهاز الدوري الذي يشمل القلب والأوعية الدموية (مقالة بعنوان: أضرار لدغة العقرب، موقع: موضوع).

ثالثا: الحديّا:

وردت في رواية أخرى بلفظ الحداة، وهي الطائر المعروف من الجوارح ، ويوصف هذا الطير بأنه أخس الطيور، حيث جاء في حاشية السندي على ابن ماجة: " أخس الطيور تخطف أطعمة الناس من أيديهم" (أبو الحسن السندي، حاشية السندي على ابن ماجة، ج ٣/٥٠٩).

وهذا الطائر كما ذكر من الجوارح، وينقض على بعض الحيوانات، ويسرق الطعام، ومن أبرز أنواع الحدأة "البراهمية" والمعروفة باسم علمي هو *haliaetetus indus* أي منتهزة الفرص، لذلك يُسمى هذا النوع أبو الخطاف.

وقد ورد في صحيح البخاري ما يؤكد هذا السلوك لطائر الحدأة، فعن عائشة رضي الله عنها أن وليدة كانت سوداء لحي من العرب، فأعتقوها، فكانت معهم، قالت: فخرجت صبية لهم، عليها وشاح أحمر من سُيُور، قالت: فوضعتُ - أو وقع منها - فمرت به حُدياة وهو ملقى، فحسبته لحما فخطفته، قالت: فالتمسوه، فلم يجدوه، قالت: فاتهموني به، قالت: فطفقوا يفتشون، حتى فتشوا قُبُلَهَا، قالت: والله إني لقائمة معهم، إذ مرت الحُدياة فألقته، قالت: فوقع بينهم، قالت: فقلتُ: هذا الذي أتهموني به، زعمتم وأنا منه بريئة، وهو ذا هو، قالت: فجاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت (البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب نوم المرأة في المسجد، رقم الحديث ٤٣٩، ج ١/١٠٥-١٠٦).

وتعيش الحدأة عادة فوق قمم الأشجار والنباتات المرتفعة، كما أنها تحوم فوق الحقول لترى الأهداف بوضوح، ومتى عاينتها تنقض وتسرقها لقمة سهلة. ولا يقتصر ضرر الحدأة على هذا السلوك بل وجد باحثون في جامعة سيدني الأسترالية أن هذا الطائر يتعمد إشعال الحرائق في الغابات بطريقة احترافية، فيستخدم منقاره ومخالبه ويحاول توسيع هذه الحرائق مع زملائه، ويقول الباحثون إن هذه الطيور المؤذية تنشر الحرائق لتوسّع مناطق صيدها، وتستخدم تقنيات عالية في ذلك، مما يسبب أضراراً كثيرة على الإنسان من خلال إتلاف المحاصيل الزراعية، وأضراراً على البيئة، وقتلاً للحيوانات بسبب هذه الحرائق (مقالة بعنوان: قتل الحدأة لماذا أمر به النبي الكريم، موسوعة الكحيل للإعجاز العلمي في القرآن والسنة).

رابعاً: الغراب:

نص الحديث النبوي على أن الغراب من ضمن الأصناف التي يباح قتلها عند رؤيتها، وقد ورد في صحيح مسلم أن الغراب الذي يُقتل هو الغراب الأبقع، حيث قال صلى الله عليه وسلم: "خمس فواسق يقتلن في الحلّ والحرم: الحية، والغراب الأبقع، والفأرة، والكلب العقور، والحُدياء" (مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب ما يُندب للمحرم وغيره قتله من الدواب في الحلّ والحرم، ص: ٤٩).

وقد أخذ بهذا القيد بعض العلماء، وعند آخرين اعتمدوا الروايات المطلقة (السندي، حاشية السندي، كتاب المناسك، باب ما يقتل المحرم، ج ٣/٥٠٩).

وترجع علّة إباحة قتل الغراب إلى سلوكه، فهذا الطائر صاحب سلوك عدائي حسب ما لاحظته الناس في القديم والحديث، يقول ابن قتيبة الدينوري: "والغراب يقع على داء البعير الدبر - أي قرحة الدابة - فينقره حتى يقتله، ولذلك تسمّيه العرب: ابن دابة" (ابن قتيبة الدينوري، تأويل مختلف الحديث، ص: ٢١٤-٢١٥).

وتتميز بعض أنواع الغربان بحبها الشديد لكافة أنواع اللحوم، ولذلك فإنها إن لم تجد طعاما في بيئتها قد تشكل خطورة كبيرة على البشر، وبخاصّة عندما يفقد شخص الوعي أو يتعرض للإصابة، فإن الغربان تجتمع حوله منتظرة أن يلفظ أنفاسه الأخيرة لكي تتغذى عليه .

وذكر أنّ عجوزا أسترالي توفي بعد أن نقره غراب في عينه، وذكرت وكالة أنباء أسترالية أن هذا الغراب انقضّ في وقت لاحق على سائح كوري وألحق بعينه جروحا خطيرة أدخلته المستشفى، ونصح مسؤول الحياة البرية الذي قتل هذا الغراب رميا بالرصاص سكان المنطقة بارتداء خوذات رأس واقية ويفضّل أن تكون بعيون غير حقيقية لإخافة الطيور المهاجمة.

وتناقلت وكالات الأنباء خبرا نقله موقع الجزيرة الإلكتروني مفاده أنّ غرابا هاجم امرأة وطفلها مرّات في قرية ألمانية (الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة الصحيحة المطهرة، جمع وترتيب شحاتة صقر، ص: ١٣٠)، وتقوم بعض الغربان بالتسلّل من نوافذ المنازل وتهاجم الأطفال.

كما أثبت العلماء والباحثون أنّ الطيور الجارحة ومنها الغراب تعدّ مصدرا لإصابة الإنسان بكثير من الأمراض الفيروسية والبكتيرية والطفيلية، وطريقة نقل هذه الأمراض تختلف حسب نوع المرض إمّا عن طريق الفضلات التي تحتوي على الميكروبات المسببة للأمراض والتي تتحول إلى مسحوق ينقله الهواء، وإمّا عن طريق الرذاذ من الفم، وإمّا عن طريق تلوث الماء والغذاء بالفضلات المحتوية على الميكروبات التي تنقلها لعض الحشرات.

وهناك أضرار اقتصادية للغربان حيث يتغذى بعض أنواع الغربان على المحاصيل الزراعية مما يتسبب في إحداث خسائر كبيرة للمزارعين (الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة الصحيحة المطهرة، مقالة بعنوان: كيف يشكل طائر الغراب خطورة كبيرة على حياة البشرية، ص: ١٣١-١٣٣).

خامسا: الكلب العقور:

عقر في اللغة: جرح، وعقره: أي جرحه (الفيومي، المصباح المنير، ج ٢/٥٠٢)، فهو عقير مثل جريح (ابن منظور، لسان العرب، ج ١٠/٢٢٣).

والكلب العقور كما قال جمهور العلماء هو كل عاذٍ مفترس غالبا، كالسبع والنمر والذئب والفهد ونحوها، ولذلك ليس المراد بالكلب العقور تخصيص هذا الكلب المعروف (النووي، شرح صحيح مسلم، ج ٤/١١٨).

قال الإمام مالك: "إنّ كل ما عقر الناس وعدا عليهم وأخافهم، مثل الأسد والنمر والفهد والذئب فهو الكلب العقور" (مالك بن أنس، الموطأ، كتاب الحج، باب ما يقتل المحرم من الدواب، ص: ٢١٦).

وقد بيّن ابن منظور سبب وصف غير الكلب من الحيوانات الجارحة بالكلب بقوله: "الكلب العقور هو كل سبع يعقر أي يجرح، ويقتل ويفترس، كالأسد والنمر والذئب والفهد وما أشبهها، سمّاها كلباً لاشتراكها في السَّبُعِيَّة، قال سفيان بن عيينة: هل كل سبع يعقر ولم يخصّ به الكلب، وقال أبو عبيد: يُقال لكل جرح أو عاقر من السباع كلب عقور" (ابن منظور، لسان العرب، ج ١٠/٢٢٤).

وبناء على معرفة المقصود بالكلب العقور فإنّ علة قتل الكلب العقور واضحة جليّة، فسلوك هذا الحيوان سلوك عدائي قد يؤدي إلى قتل الإنسان أو جرحه من خلال مهاجمته من قبل هذا الحيوان.

المبحث الرابع

حديث قتل الوزغ

ورد في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للوزغ: "فُؤَيْسِقٌ". ولم أسمعهُ أمر بقتله (البخاري، صحيح البخاري، كتاب جزاء الصيد، باب ما يَقْتُلُ الْمُحَرِّمُ مِنَ الدَّوَابِّ، ج ١/٣٧٣).

وفي حديث آخر رواه البخاري عن أُمِّ شَرِيكِ رضي الله عنها: أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أَمَرَ بِقَتْلِ الْوَزْغِ. وقال: "كَانَ يَنْفُخُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ" (البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى (وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا)، ج ٢/٦٨٢).

وبناء على رواية أُمِّ شَرِيكِ فَإِنَّ الْوَزْغَ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي تُقْتَلُ عِنْدَ رُؤْيَيْهَا، وَيُؤَيَّدُ هَذَا مَا رَوَاهُ أَصْحَابُ السَّنَنِ أَيْضًا مِنْ أَحَادِيثٍ تَتَحَدَّثُ عَنِ الْوَزْغِ، بَلْ وَتَرَّغَبَ فِي قَتْلِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ سَعِيدٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِقَتْلِ الْوَزْغِ وَسَمَّاهُ فُؤَيْسِقًا (مسلم، صحيح مسلم، كتاب السلام، باب استحباب قتل الوزغ، ص: ٩٩٤).

لقد ورد استحباب قتل الوزغ عند البخاري ومسلم وغيرهما من أصحاب السنن، ومع ذلك تجد مَنْ يَشْكُكُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، وَيُصَابِ الْمَرْءُ بِالْدهْشَةِ عِنْدَمَا يَسْمَعُ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ وَالِدَّاعَةِ مِنْ أَهْلِ السَّنَةِ يَنْكُرُونَ هَذَا الْحَدِيثَ، وَبَعْضُهُمْ يَنْكُرُهُ بِطَرِيقَةٍ فِيهَا اسْتِهْزَاءٌ، وَيَعْتَرِضُ بَعْضُهُمْ عَلَى وَصْفِ الْوَزْغِ بِالْفَسْقِ، وَقَدْ مَرَّ سَابِقًا بَيَانُ الْمَقْصُودِ بِوَصْفِ بَعْضِ الْحَيَوَانَاتِ بِالْفَسْقِ، فَقَدْ قَالَ الْعُلَمَاءُ إِنَّ هَذِهِ الْحَيَوَانَاتِ وَصِفَتْ بِالْفَسْقِ لَخُرُوجِهَا عَلَى النَّاسِ بِالْإِيْذَاءِ، وَبَعْضُهُمْ قَالَ لَخُرُوجِهَا عَنْ حُكْمِ بَاقِي الْحَيَوَانَاتِ بِإِبَاحَةِ قَتْلِهَا، وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ بِفَسْقِ هَذِهِ الْحَيَوَانَاتِ هُوَ مَعْصِيَتُهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، يَقُولُ النَّوَوِيُّ: "وَأَمَّا تَسْمِيَةُ الْوَزْغِ فُؤَيْسِقًا فَنَظِيرُهُ الْفَوَاسِقُ الْخَمْسُ الَّتِي تُقْتَلُ فِي الْحَلِّ وَالْحَرَمِ، وَأَصْلُ الْفَسْقِ الْخُرُوجُ، وَهَذِهِ الْمَذْكُورَاتُ خَرَجَتْ عَنْ خُلُقِ مَعْظَمِ الْحَشَرَاتِ وَنَحْوِهَا بِزِيَادَةِ الضَّرَرِ وَالْأَذَى" (النووي، شرح صحيح مسلم، ج ٧/٢٤٩).

المطلب الأول: تعريف الوزغ:

حيوان صغير أو متوسط الحجم، وهو من السحالي التي تنتمي لعائلة الوزغيات، وله أسماء عديدة، فيُقال له: سوامٌ أبرص، وسامٌ أبرص" (ابن منظور، لسان العرب، ج ١٥/٢٠٤)، وهذه الأوزاغ حيوانات ليلية يمكن رؤيتها متسلقة الجدران في المنازل وغيرها من المباني، وذلك بحثاً عن الطعام والشراب.

وتتغذى الأوزاغ عادة على الحشرات، مثل النمل والصراصير والديدان، وأحياناً القوارض الصغيرة مثل الأرناب والفئران حديثي الولادة.

وتنتشر الأوزاغ في الأماكن التي يسكنها الأشخاص والمحيطات بهم كالحدايق وغيرها، وتتواجد أحياناً تحت الصخور، وفي الكهوف الصغيرة، وتتواجد دائماً في الأماكن الرطبة في درجة الحرارة المعتدلة. وتتنوع الأوزاغ، فلها أكثر من ألفين نوع، وتختلف أيضاً في أشكالها وأحجامها وألوانها" (موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مقالة بعنوان: الإعجاز العلمي في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن الوزغ).

المطلب الثاني: الحكمة من قتل الوزغ:

يعتقد المنكرون لأحاديث قتل الوزغ أنّ علّة النّذب إلى قتل الوزغ هي فقط أنه كان ينفخ النار على إبراهيم عليه السلام كما أخبر بذلك الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلّم، وهذا الاعتقاد غير صحيح لأمرين، أولهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما ذكر لنا أنّ الوزغ كان ينفخ النار على إبراهيم عليه السلام أراد أن يبيّن لنا صلى الله عليه وسلم فساد هذا الحيوان وأنه صاحب ضرر، يقول الشرواني: "أي: لأنّ أصلها الذي تولدت منه كان ينفخ... فتثبتت الخسة لهذا الجنس إكراماً لإبراهيم" (عبد الحميد الشرواني، حواشي الشرواني على تحفة المحتاج، ج ٩/٣٨٣).

والأمر الثاني: أنّ سلوك الوزغ يسبّب أضراراً كثيرة جداً هي السبب الرئيسي في النذب إلى قتله.

لقد أثبت العلم الحديث أضراراً عديدة للأوزاغ، فهي موطن للعديد من الأمراض، والسبب في ذلك كما ذكر طبيعة غذائها، حيث تتغذى عادة على الحشرات، مثل النمل والصراصير والديدان، ومعروف أنّ الحشرات أكثر وسط فعال في نقل الأمراض المتوطنة.

ويلعب أيضاً مسكن الأوزاغ دوراً هاماً في الإصابة بالأمراض؛ لأن معظم الأوزاغ تسكن الأماكن الرطبة والأكثر تلوثاً.

ومن أهم الأمراض التي تنقلها الأوزاغ:

١- الأمراض البكتيرية، مثل بكتيريا السالمونيلا التي تسبب العديد من الأمراض التي تصيب الإنسان والحيوان، مثل النزلة المعوية التي قد تتحول إلى مرض مُزمن.

٢- الأمراض المعوية حيث تحتوي الأوزاغ على الطفيليات الممرضة.

٣- الأمراض التنفسية.

وقد أظهرت نتائج أحدث إحصائيات وكالة حماية الصحة في بريطانيا أنّ الأطفال في المنازل التي تُربى فيها الأوزاغ الأليف أكثر عرضة للإصابة ببكتيريا السالمونيلا.

وذكرت الدكتورة كاثرين سميث في مجلة العلوم أنّ الولايات المتحدة الأمريكية استوردت حيوانات أليفة بقيمة مليار ونصف جنيه ومن ضمن هذه الحيوانات الأوزاغ، ولذلك شهدت الفترة من عام ٢٠٠٠ إلى عام ٢٠٠٦ العديد من الإصابات ببكتيريا السالمونيلا.

ونشرت مجلة العلوم الأمريكية عام ٢٠٠٩ جزءاً خاصاً ناقشت فيه مسببات الأمراض من الزواحف الألفية، حيث قال الدكتور برندان بوريل إنه وجد عشرة أنواع من السالمونيلا في أحد الأوزاغ.

وأكثر الطرق شيوعاً لنقل الأمراض إلى البشر من خلال براز الوزغ أو القيء.

ولذلك أوصى المعهد البرازيلي للبيئة بضرورة حماية السكان من الإصابات الطفيلية التي أصابت بعض الأوزاغ المنزلية (موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مقالة بعنوان: الإعجاز العلمي في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن الوزغ).

وقد تحدّث العلماء السابقون عن بعض السلوكيات السلبية للوزغ، ومن ذلك ما ورد في مرقاة المفاتيح: "ومن شغفها - أي الأوزاغ - إفساد الطعام خصوصاً الملح، فإنها إذا لم تجد طريقاً إلى إفساده ارتقت السقف وألقت خراجها في موضع يحاذيه، وفي الحديث أنّ جبلتها على الإساءة" (القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للتريزي، ج ٨/٥١).

وبذلك يظهر الإعجاز العلمي في حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي أباح فيه قتل الوزغ بسبب سلوكه المؤذي، بل ورغب في قتله، يقول النووي: "واتفقوا على أنّ الوزغ من الحشرات المؤذيات، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله، وحثّ عليه، ورغب فيه؛ لكونه من المؤذيات" (النووي، شرح صحيح مسلم، ج ٧/٢٤٨).

جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قتل وزغة في أول ضربة فله كذا وكذا حسنة، ومن قتلها في الضربة الثانية فله كذا وكذا حسنة. لدون الأولى، وإن قتلها في الثالثة فله كذا وكذا حسنة. لدون الثانية" (مسلم، صحيح مسلم، كتاب السلام، باب استحباب قتل الوزغ، ص: ٩٩٤).

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين، فقد خرجت الدراسة بالنتائج الآتية:

- ١- وجود اتفاق بين ما ورد في الشريعة الإسلامية وما ورد في علم سلوك الحيوان، بل وما ورد في كافة أصناف العلوم، وهذا بدوره يفيد في نفي الشبهات عن بعض الأحاديث التي تتناول أموراً لها علاقة بعلم سلوك الحيوان.

- ٢- إنَّ ما أخبر به عمرو بن ميمون من رجم القرود لقردة زنت صحيح وله شواهد كثير في عالم الحيوان حسب ما أخبر بذلك علماء السلوك الحيواني.
- ٣- إنَّ علة إباحة قتل الحيوانات الفواسق الذي أخبرت به الأحاديث النبوية هو سلوك هذه الحيوانات المبني على الضرر.
- ٤- إنَّ وصف الأحاديث النبوية لبعض الحيوانات بالفسق ليس لكونها مكلفة بالهداية وإنما لخروجها على الناس بالإيذاء والضرر، فأصل الفسق في اللغة الخروج.
- ٥- إنَّ علة الندب إلى قتل الأوزاغ هي الضرر الناتج عنها، وليس بسبب أنها كانت تنفخ النار على إبراهيم عليه السلام كما يعتقد كثير من الناس.

قائمة المراجع والمصادر:

- الأشقر، عمر سليمان، العقيدة في الله، دار النفائس، ط١٢، ١٩٩٩.
- الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الترمذي، دار الكتاب العربي، بيروت.
- الألباني، محمد ناصر الدين، مختصر صحيح البخاري، طبعة مكتبة المعارف.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، اعتنى به حسن عبدالعال وهيثم الطعيمي، المكتبة العصرية، ط٢٠١١.
- ابن تيمية، أحمد، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد العاصمي النجدي.
- الترمذي، أبو عيسى محمد عيسى بن سورة بن الضحَّاك، سنن الترمذي بشرح الإمام ابن العربي المالكي، تحقيق رائد صبري، دار طويق، الرياض، ط١، ٢٠١٠.
- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار السلام، الرياض، ط١، ١٩٩٧.

- الخطابي، أبو سليمان محمد بن محمد، معالم السنن شرح سنن أبي داود، تحقيق سعد نجدت عمر وشعبان العودة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ٢٠١٢.
- رسن، حيدر مهدي، الدلالات التربوية للسلوك الحيواني في السنة النبوية، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، الأردن، ٢٠١٥.
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلم النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١١، ١٩٩٦.
- سكوت، جون بول، سلوك الحيوان، ترجمة عبدالحميد خليل وعبدالحافظ حلمي، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- السندي، أبو الحسن الحنفي، حاشية السندي على ابن ماجة، تحقيق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة بيروت، ط ١، ١٩٩٦.
- شحاتة، صقر، الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة الصحيحة المطهرة.
- الشرواني، عبدالحميد، حواشي الشرواني وأحمد بن قاسم العبادي على تحفة المحتاج بشرح المنهاج لأحمد بن حجر الهيتمي، دار الفكر.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس.
- ابن عبدالبر، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد معوض وعادل عبدالموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١.
- فراج، عزالدين، عجائب المخلوقات، النسخة الأخيرة.
- فوكس، مونرو، شخصية الحيوان، ترجمة فتحي الغزاوي ومحمد رشاد، مطبعة نهضة مصر، القاهرة.
- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط ١٩٠٦.
- القاري، علي بن سلطان محمد، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للتبريزي، تحقيق جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠١.
- القبانى، صبري، غرائب في مملكة الحيوان.

- ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري، تأويل مختلف الحديث، تحقيق محمد محيي الدين الأصغر، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٩.
- القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار عالم الكتب، الرياض، طبعة خاصة، ٢٠٠٣.
- مالك بن أنس، الموطأ، تحقيق محمود بن الجُميل، مكتبة الصفا.
- معروف، بشار عواد، وشعيب الأرناؤوط، تحرير تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٩٧.
- مسلم، أبو الحسين بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، صحيح مسلم.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، طبعة جديدة.
- النووي، محيي الدين بن يحيى بن شرف، المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج، إشراف حسن عباس قطب، دار عالم الكتب، الرياض، ط ١، ٢٠٠٣.

المواقع الإلكترونية والمقالات:

- مقالة بعنوان: الردّ على الشبهة المثارة حول رواية "قردة في الجاهلية زنت فرجمت" لأبي عبدالعزيز سعود الزمانان، موقع: صيد الفوائد.
- مقالة بعنوان: ليس دفاعاً عن البخاري، لأبي مسلم محمود بن أحمد، موقع: الألوكة الشرعية الإلكتروني.
- مقالة بعنوان: أمراض تنقلها لك الفئران، موقع: www.webteb.com.
- موقع: اليوم السابع www.youm7.com.
- مقالة بعنوان أضرار وجود الفئران في المنزل، موقع: مجلة رجم www.rjeem.com.
- مقالة بعنوان: أضرار لدغة العقرب، موقع موضوع www.mawdoo3.com.
- مقالة بعنوان: قتل الحداة، لماذا أمر به النبي الكريم، موسوعة الكحيل للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، موقع: kaheel7.net.
- مقالة بعنوان: كيف يشكل طائر الغراب خطورة كبيرة على حياة البشرية، موقع: تسعة www.ts3a.com.

ضمان رأس المال في المضاربة المصرفية

د. قتيبة رضوان راشد المومني

دكتورة في الفقه والسياسة الشرعية / جامعة الزيتونة- تونس

E-mail: qrm.almomani@yahoo.com

الملخص:

يتحدث البحث عن مسألة ضمان رأس المال في المضاربة المصرفية، حيث تعرض البحث لبعض العوائق التي تواجه المضاربة المصرفية، خاصة فيما يتعلق في التعاملات المتعلقة بالعملاء وطريقة تعامل المصارف مع الديون المترتبة على العملاء نتيجة معاملات بيع المrabحة، وخلص البحث لعدة نتائج بعد بيان أقوال الفقهاء ومناقشتها وتحليلها، ومن هذه النتائج أنّ ضمان المصرف لرأس مال المضاربة جائز من باب التكافل الاجتماعي، بإنشاء صندوق تعاوني يُموّل عن طريق اقتطاع جزء من أرباح المضاربة لمواجهة مخاطر الاستثمار. على أن يكون من باب التبرع ولا يكون مشروطاً في العقد، كما يجوز للبنك المضارب التبرع بجزء من حصته بالربح دون شرط في عقد المضاربة.

الكلمات المفتاحية: المضاربة، ضمان ، المصرفية

Abstract :

The research talks about the issue of guaranteeing capital in banking speculation, as the research exposed some of the obstacles facing banking speculation, especially with regard to transactions related to customers and the way banks deal with the debts incurred by customers as a result of Murabaha sale transactions. The research concluded with several results after stating, discussing and analyzing the sayings of the jurists. Among these results is that the bank's guarantee of speculative capital is permissible as a matter of social solidarity, by establishing a

cooperative fund that is financed by deducting a portion of the speculative profits to confront investment risks. Provided that it is a donation and not conditional in the contract, just as the Mudarib bank may donate part of its share in the profit without a condition in the Mudaraba contract.

Keywords: Mudaraba, guarantee, banking

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

ظهرت في الآونة الأخيرة مسألة ضمان رأس مال المضاربة، وكانت هذه المسألة غير واضحة للعيان، وتجلت ظهورها عند انتشار وباء كورونا بين الدول والأفراد، مما أدى إلى اتخاذ الدول مجموعة من التدابير والوسائل التي من شأنها أن تحدّ من انتشار الوباء، ولكن كان لهذه التدابير المتخذة من قبل الدول أثر كبير جدا على الواقع الاقتصادي للبلدان بكافة القطاعات الاقتصادية، ومن جملة العقود التي تأثرت بالإجراءات الصادرة من الدول عقود المضاربة.

وعقد المضاربة يدخل في عمل الكثير من المؤسسات التجارية، وهو من العقود ذات الطابع الخاص فله أحكامه وشروطه.

ومن جملة المؤسسات التي تتعامل بعقد المضاربة، المصارف الإسلامية؛ لأنها تقوم بتشغيل أموالها وودائع المتعاملين مع المصرف ومن صور التجارات التي تقوم بها المصارف الإسلامية المضاربة.

وفيما يتعلق بالقطاع المصرفي، اتخذت غالبية البنوك المركزية في مختلف أنحاء العالم العديد من السياسات النقدية والتدابير المالية؛ لاحتواء ومواجهة التداعيات الناجمة عن توقف عمل النشاطات الاقتصادية المختلفة.

وفي هذا البحث سنبين حكم ضمان رأس مال المضاربة في المصارف الإسلامية مع بيان آراء الفقهاء وأدلتهم في هذه المسألة، مع عرض التحديات التي تواجه المصارف الإسلامية في ظل الظروف الاقتصادية الصعبة التي تعيشها.

أهمية البحث: -

تتجلى أهمية البحث في عدة أمور أهمها:

- ١- إبراز ما تتمتع به الشريعة من مرونة وسعة بحيث شملت جميع جوانب الحياة والتي من أهمها المعاملات بين الناس وكيف كان إتقانها وإحكامها بقوانين فقهية دقيقة.
- ٢- ملامسة الموضوع للواقع حيث كان من أهم القضايا الاقتصادية التي واجهت المصارف الإسلامية في ظل وجود تحديات غير مألوفة مثل انتشار وباء كورونا.

مشكلة الدراسة:

تظهر مشكلة الدراسة في الإجابة على السؤال الرئيس التالي:

ما حكم ضمان رأس مال المضاربة في المصارف الإسلامية في ظل وجود تحديات تؤثر على العمل المصرفي؟

أهداف البحث:

يهدف البحث لعدة أمور منها:

- ١- بيان التحديات والعوائق التي تتعرض لها المصارف الإسلامية فيما يخص مسألة المضاربة المصرفية.
- ٢- بيان حكم ضمان رأس مال المضاربة المصرفية.

منهج البحث:

يقوم منهج البحث على النحو التالي:

١- الاستقراء: وذلك بتتبع ما ورد من آراء فقهية في موضوع الآفة السماوية والمسائل التطبيقية المستجدة المرتبطة بالموضوع، من خلال كتب الفقه المرجعية في كل مذهب من المذاهب ، والاستعانة بكتب الفقه المعاصرة والموسوعات الفقهية ورأي المجامع الفقهية أيضا؛ لاستقراء آراء الفقهاء في كثير من المسائل وخاصة المسائل التطبيقية المعاصرة على موضوع الآفة السماوية.

٢- التحليل: وذلك بتفصيل ما ورد من آراء وأدلة فقهية في مسائل الآفة السماوية، مع بيان أوجه التشابه والاختلاف بينها، مع ذكر الأدلة النقلية من الكتاب والسنة الشريفة، وذكر الأدلة العقلية مع الإشارة إلى مواطن الاستدلال لكل رأي من الآراء.

٣- المقارنة: مقارنة الأدلة الفقهية ونقدها وفقا للمذاهب الفقهية الأربعة من خلال بيان رأي كل مذهب من المذاهب مع بيان الاستدلال وذكر الأدلة التي استند إليها كل مذهب من المذاهب مع مناقشة هذه الأدلة والترجيح بينها، مع بيان رأي بعض الفقهاء المعاصرين في بعض المسائل التي تم طرحها في البحث .

خطة البحث:

المبحث الأول: مفهوم المضاربة في اللغة والاصطلاح وصورة المضاربة المصرفية

المطلب الأول: المضاربة لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: صورة المضاربة المصرفية

المبحث الثاني: العوائق التي تواجه المضاربة المصرفية وحكم ضمان رأس مال المضاربة.

المطلب الأول: تعامل المصارف الإسلامية مع الديون المترتبة على العملاء والعوائق التي تواجه المضاربة في هذه المصارف

المطلب الثاني: حكم ضمان رأس المال في المضاربة المصرفية

المبحث الأول: مفهوم المضاربة في اللغة والاصطلاح وصورة المضاربة المصرفية

المطلب الأول: حقيقة المضاربة

أولاً: المضاربة لغة : مشتقة من الضرب في الأرض، فهي مفاعلة من الضرب في الأرض والسير فيها للتجارة. يقال ضربت الطير: أي ذهبت. والضرب: الإسراع في السير. (ابن منظور: لسان العرب، ١/٥٤٥)

ثانياً: المضاربة اصطلاحاً:

ذكر الفقهاء عدة تعريفات للمضاربة، فعرفها الحنفية بأنها: "دفع المال إلى غيره ليتصرف فيه ويكون الربح بينهما على ما شرطاً فيكون الربح لرب المال بسبب ماله لأنه نماء ماله وللمضارب باعتبار عمله الذي هو سبب وجود الربح". (السمرقندي: تحفة الفقهاء، ٣/١٩)

وعرفها المالكية بأنها: " أن يدفع الرجل إلى الرجل مالا يتجر فيه ويكون الربح فيه بينهما على ما يتفقان عليه من الأجزاء، والوضعية على رأس المال وهي المقارضة". (ابن رشد القرطبي: المقدمات الممهدات، ٣/٣٦) وعرفها الشافعية بأنها: " أن يدفع مالا إلى غيره ليتجر فيه على أن يكون الربح بينهما، ويسمى ذلك قِراضاً ومُقَارَضَةً". (الرافعي: العزيز شرح الوجيز المعروف بالشرح الكبير، ٦/٣)

والحنابلة على أن المضاربة: " أن يدفع إنسان ماله إلى آخر يتجر فيه، والربح بينهما". (ابن قدامة: الكافي في فقه الإمام أحمد، ٢/١٥١)

ومما سبق نجد أن الفقهاء جميعاً متفقون، على أن المضاربة أن يدفع أحد الطرفين ماله لآخر ليتجر فيه، والربح بينهما بحسب اتفاقهما.

المطلب الثاني: صورة المضاربة المصرفية

حتى نبين حكم ضمان رأس المال في المضاربة المصرفية فعلينا أولاً أن نوضح صورة المضاربة المصرفية، ومن جملة ما ذكر فيها أن " المضاربة في المؤسسات المالية الإسلامية هو أن يقوم بعض أرباب الأموال

بإيداع كل منهم مبلغاً من أمواله سواء دفعة واحدة أو على دفعات متلاحقة في مؤسسة مالية إسلامية بقصد الاستثمار. ويسمح لرب المال أن يسحب ماله كله أو بعضه متى شاء على أن نسبة استحقاق المربح تتغير بحسب طول المدة وقصرها.

تقوم المؤسسة المالية الإسلامية باستثمار هذه الأموال بالطرق المشروعة، ثم تقوم بتوزيع الأرباح كل حسب مقدار رأس ماله بحسب النسبة المتفق عليها في عقد المضاربة بعد خصم جملة من النفقات المطلوب خصمها.

أما في حال وقوع خسارة فإنها تخصم من أرباح الأموال كل بحسب مقدار رأس ماله، ولا تأخذ المؤسسة المالية شيئاً في هذه الحالة...". (دردور: عقود مستحدثة في الاستثمار والتمويل والتأمين، ص ٥٥-٥٦) وهذه الصورة يطلق عليها كثير من المعاصرين مصطلح " المضاربة المشتركة"

المبحث الثاني: العوائق التي تواجه المضاربة المصرفية وحكم ضمان رأس مال المضاربة.

المطلب الأول: تعامل المصارف الإسلامية مع الديون المترتبة على العملاء والعوائق التي تواجه المضاربة في هذه المصارف

ويتلخص تصرف المصارف الإسلامية في العالم وتعاملها مع الديون المترتبة على العملاء نتيجة معاملات بيع المربحة بما يلي:

أولاً: تخفيض أسعار الفائدة على كافة أدوات السياسة النقدية، وذلك من خلال تخفيض أسعار الفائدة لديها دون انتظار تواريخ الاستحقاقات التعاقدية.

ثانيا: تأجيل أقساط العملاء، سواء كانوا شركات أو أفراد دون عمولات وفوائد تأخير بما يتناسب مع تعافي القطاعات الاقتصادية.

ثالثا: إعادة هيكلة وجولة ديون العملاء والقطاعات الاقتصادية المتضررة بدون دفعة نقدية أو أي كلف أو عمولات إضافية.

رابعا: لجأت المصارف إلى دفع أرباح للعملاء بالرغم من عدم تحصيلها للأرباح التي تم توزيعها من باب ضمان رأس مال المضارب.

علما أنّ المضاربة في المصارف الإسلامية في ظروفها الطبيعية تتعرض لمجموعة من العوائق وهي على النحو الآتي:

أولا: العائق النفسي فيتمثل في غياب الفهم السليم لحقيقة عقد المضاربة من طرف أصحاب الحسابات الاستثمارية، وعدم استعدادهم للمخاطرة بأموالهم، ومقارنتهم العوائد الربحية في المصارف الإسلامية بالفوائد الربوية في البنوك التقليدية.

والحال أن من مقتضيات عقد المضاربة قيامها على مبدأ الغنم بالعزم، وعدم ضمان المال من المصرف بصفته مضاربا إلا عند التعدي أو التقصير أو مخالفة الشروط .

ثانيا: العائق القانوني فيتمثل في فرض بعض النصوص القانونية من خلال منشورات البنك المركزي قيودا على المصارف الإسلامية، منها القيود على العوائد المتعلقة بالحسابات المفتوحة لدى البنوك على نحو مفصل، بحسب طبيعة كل حساب .

ثالثا: العائق الفني فيتمثل في أنّ أغلب العاملين بالمصارف الإسلامية يتمتعون بكفاءة فنية معتبرة وكثير منهم له تجربة سابقة في العمل بالبنوك التقليدية، لكنهم يفتقرون بصفة ملحوظة للمعارف الضرورية في مجال صيغ الاستثمارات الشرعية .

وهذه العوائق التي تمّ ذكرها بدت واضحة جلية في زمن كورونا وخاصة العائق الأول والثاني، لغياب مفهوم تقبل الخسارة في مضاربة المصارف مقارنة بالبنوك التقليدية، فالعمل لا يتصور الخسارة ويتصور الربح في كل الظروف .

وكما ذكرنا أن المصارف الإسلامية زمن كورونا تعرضت لمجموعة من القوانين الصادرة من البنوك المركزية، كان من آثارها التأثير على المردود الذي تحصل عليه المصارف في الظروف المعتادة .
وهذا مما أدى لظهور مسألة ضمان رأس المال في المضاربة المصرفية وهي ما سنقوم ببيان أحكامها وآراء الفقهاء فيها في المطلب التالي.

المطلب الثاني: حكم ضمان رأس المال في المضاربة المصرفية

في مسألة ضمان رأس مال المضاربة في المصارف الإسلامية، والذي يقصد به أن المصرف الإسلامي متعهد بضمان رأس المال ورد قيمة الودائع الاستثمارية إذا ما تعرض للخسارة، فالفقهاء في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: ذهبوا إلى عدم جواز فرض الضمان على المضارب إلا إذا قصر وفطر، وهو الأصل الذي عليه جمهور الفقهاء في المضاربة. (التميمي: وضیح الأحكام من بلوغ المرام، ٤/٤٧٤)

فالفقهاء جميعاً على أن يد المضارب يد أمانة والمضارب لا يضمن رأس المال إلا بالتقصير، ولا يتحمل الخسارة الواقعة على رأس مال المضاربة ويخسر جهده، وإن اشترط الضمان فسدت المضاربة . (السعدي: الننف في الفتاوى، ١/٥٤١)

وقد صرح الفقهاء بذلك الفقهاء

فقال الحنفية عن المضارب: "وإن هلك المال على يده فلا ضمان عليه، لأنه أمين وإن كانت المضاربة فاسدة". (السغدي: النتف في الفتاوى، ٥٤١/١)

والمالكية على أن يده يد أمانة واشتراط الضمان مفسد للعقد فقالوا: "...وهو أمين ما لم يتعد، والتلف والخسارة من ربه، واشتراطه على العامل مفسد...". (البغدادى: إرشاد السائل إلى أشرف المسالك في فقه الإمام مالك، ٩٠/١)

وقال الشافعي: "تكون المضاربة الصحيحة والفاصلة في أنها غير مضمونة سواء". (الشافعي: الأم، ١٧١/٣) وعند الحنابلة: "إذا تعدى المضارب، وفعل ما ليس له فعله، أو اشترى شيئاً نهى عن شرائه، فهو ضامن للمال...". (ابن قدامة: المغني لابن قدامة، ٣٩/٥) وذلك لما يلي:

- اعتبار المضارب أميناً على ما تحت يده من مال، فلا يضمن إلا بالتقصير. (الشافعي: الأم، ١٧١/٣. السغدي: النتف في الفتاوى، ٥٤١/١. ابن قدامة: المغني لابن قدامة، ٣٩/٥. البغدادى: إرشاد السائل إلى أشرف المسالك في فقه الإمام مالك، ٩٠/١)
- الضمان في المضاربة يجعل للعلاقة صيغة ربوية. (الدبيان: المعاملات المالية أصالة ومعاصرة، ٥٥٩/٢٠)
- لأن تحميل خسارة نصيب أحد الطرفين للآخر شرط باطل لما فيه من أكل للمال بغير حق، إذ الخسارة على قدر المال. (انظر: درر: عقود مستحدثة في الاستثمار والتمويل والتأمين، ص ٦٤)
- ولأن المصرف الإسلامي إذا اعتبر ضامناً فيتحول رأس المال إلى ما يشبه القرض، ويتحول الربح إن وجد إلى فائدة للقرض، فيكون حاله كحال البنوك الربوية. (انظر: العبادي: موقف الشريعة من المصارف الإسلامية، ص ٢٤٠. الدبيان: المعاملات المالية أصالة ومعاصرة، ٥٥٩/٢٠)

القول الثاني: ذهب بعض الفقهاء المعاصرين إلى القول بجواز ضمان رأس مال المضاربة من قبل المصرف الإسلامي. (انظر: الديبان: المعاملات المالية أصالة ومعاصرة، ٨٧/١٥)
واستدلوا لرأيهم وإن لم تكن جميع الأدلة محط اتفاق بين القائلين بهذا القول:

- أن ضمان المصرف لرأس مال المضاربة جائز قياساً على الأجير المشترك؛ لأن الأجير المشترك ضامن لما تحت يده تحقيقاً للمصلحة، فالمصرف في المضاربة يأخذ دور الأجير المشترك فيأخذ حكمه بالضمان. (انظر: الهيتمي: المصارف الإسلامية بين النظرية والتطبيق، ص ٤٩٠. الديبان: المعاملات المالية أصالة ومعاصرة، ٨٧/١٥، العبادي: موقف الشريعة من المصارف الإسلامية، ص ٤١)

ومن استند إلى هذا الدليل باعتبار قياسه من ناحيتين:
الأولى: أن المضارب المشترك (البنك) يأخذ الأموال من كافة الناس تماماً كما يفعل الأجير المشترك. (الديبان: المعاملات المالية أصالة ومعاصرة، ٨٧/١٥)
الثاني: أن المالكية ذهبوا إلى أن الأصل في يد الأجير المشترك أنها يد أمانة، ولكن لما فسد الناس وظهرت خيانة الأجراء ضمن الصناعات، وكل من تقتضي المصلحة العامة تضمينه من الأجراء المشتركين حيث تقوم به التهمة. وهو من باب الاستحسان. (النفاوي: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ١١٧/٢)
واستدلوا لرأيهم على ما ذكره ابن رشد في بداية المجتهد بقوله: "ولم يختلف هؤلاء المشاهير من فقهاء الأمصار أنه إن دفع العامل رأس مال القراض إلى مقارض آخر أنه ضامن إن كان خسران، وإن كان ربح، فذلك على شرطه، ثم يكون للذي عمل شرطه على الذي دفع إليه، فيوفيه حظه مما بقي من المال". (ابن رشد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ٢٦/٤)

- أنّ ضمان المصرف لرأس مال المضاربة جائز من باب التبرع من قبل المصرف لأصحاب الأموال

المودعين. (الصدر: البنك اللاروي في الإسلام، دار الكتاب اللبناني، ص ٣٢)

فالمصرف يقرر على نفسه ضمان رأس المال متبرعا لعدم دخوله بصفته العامل ودخوله بصفته وسيط

بين العامل ورأس المال من المودعين. (الصدر: البنك اللاروي في الإسلام، ص ٣٢)

- إنّ ضمان المصرف لرأس مال المضاربة جائز من باب التكافل الاجتماعي، بإنشاء صندوق

تعاوني يمول عن طريق اقتطاع جزء من أرباح المضاربة لمواجهة مخاطر الاستثمار. (انظر:

دردور: عقود مستحدثة في الاستثمار والتمويل والتأمين، ص ٦٥. شبير: المعاملات المالية

المعاصرة، ص ٣٠٨)

واستندوا لدليلهم بما قاله الحطاب في مواهب الجليل بأنه " يجوز القراض على أن يكون الربح لغيرهما أو

لأحدهما.. " وهذا لأنه من باب التبرع. (الحطاب: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، ٣٥٥/٥)

مناقشة الاستدلالات:

-إن ما ذهب إليه القائلون بأنّ ضمان المصرف لرأس مال المضاربة جائز قياسا على الأجير المشترك؛

لأن الأجير المشترك ضامن لما تحت يده تحقيقا للمصلحة، فالمصرف في المضاربة يأخذ دور الأجير

المشترك فيأخذ حكمه بالضمان.

يرد عليه:

أن قياس المصرف الإسلامي في المضاربة على الأجير المشترك قياس مع الفارق، لأن الإجارة من عقود

المعاوضات، والمضاربة من عقود المشاركات، وعقود المعاوضات يجوز فيها للمتعاقدین تحديد ما يعتاض به

كل طرف، وعقود المشاركات لا يصح فيها قطع بالاشتراك بالربح، والقول بضمان المضارب (المصرف

الإسلامي) يخل بهذا الأساس الذي تقوم عليه عقود المشاركات.

وذكر الزيلعي في تبیین الحقائق أن هنالك جمع من العلماء قالوا بعدم تضمين الأجير المشترك، فقال: "الأجير المشترك يضمن ما جنت يده استحسنانا أو القياس أن لا يضمن وهو قول زفر والشافعي...". (الزيلعي: تبیین الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي، ١٣٥/٥)

– أن ضمان المصرف لرأس مال المضاربة جائز من باب التبرع من قبل المصرف لأصحاب الأموال المودعين.

يرد عليه:

أن مال المضاربة هو أمانة بيد المضارب، والأمانة لا تضمن إلا بالتعدي، قال ابن قدامة في الشرح الكبير: "وكل ما كان أمانة لا يصير مضموناً بشرطه لأن مقتضى العقد كونه أمانة فإذا شرط ضمانه فقد التزم ضمان ما لم يوجد سبب ضمانه فلم يلزمه كما لو اشترط ضمان الوديعة أو ضمان مال في يد مالكة وما كان مضموناً لا ينتفي ضمانه بشرطه لأن مقتضى العقد الضمان...". (ابن قدامة: الشرح الكبير على متن المقنع، ٣٦٧/٥)

– المصرف يقرر على نفسه ضمان رأس المال متبرعا لعدم دخوله بصفته العامل، ودخوله بصفته وسيط بين العامل ورأس المال المقدم من المودعين.

يرد عليه:

إنّ تغيير مسمى المصرف الإسلامي إلى وسيط لا يغير حقيقة أنّ ما يقوم به المصرف هو مضاربة، "فالعبرة في العقود للمقاصد والمعاني لا للألفاظ والمباني" ولأنّ المصرف الإسلامي إذا اعتبر ضامناً فيتحول رأس المال إلى ما يشبه القرض، ويتحول الربح إن وجد إلى فائدة للقرض، فيكون حاله كحال البنوك الربوية. (انظر: العبادي: موقف الشريعة من المصارف الإسلامية، ص ٢٤٠. شبير: المعاملات المالية المعاصرة، ص ٣٠٩)

الترجيح:

بالنظر إلى مجمل الآراء والردود على كل رأي، نجد أنّ القول الذي يحقق أكبر قدر من المصلحة دون مخالفة لنصوص الشريعة الإسلامية وقواعدها، هو القول بأنّ ضمان المصرف لرأس مال المضاربة جائز من باب التكافل الاجتماعي، بإنشاء صندوق تعاوني يمول عن طريق اقتطاع جزء من أرباح المضاربة لمواجهة مخاطر الاستثمار. (انظر: شبير: المعاملات المالية المعاصرة، ص ٣٠٨)

على أن يكون من باب التبرع ولا يكون مشروطاً في العقد.

فيكون هذا القول مع ما اشترط فيه من كونه تبرع وغير منصوص على الشرط بالعقد، هو أكثر الأقوال تحقيقاً للتوازن في المسألة، وفيه تحقيق لمصلحة المستثمر من جهة، كونه لا يرغب بالخسارة، وفيه تحقيق لمصلحة المصرف الإسلامي من جهة أخرى من باب المحافظة على عملائه حتى لا يتوجهوا بودائعهم إلى مصارف أخرى.

وهذا ما أيده قرار مجمع الفقه الإسلامي ووضع شروط للأخذ به فالمجمع: "لا يجوز تضمين البنك بصفته مضارباً بالشرط؛ لمخالفته لمقتضى عقد المضاربة، وبهذا يؤكد المجمع على ما ورد في قراره رقم ٨٦ وكذلك ما جاء في قراره رقم ٣٠ (٥/٤) في صكوك المقارضة من أنه (لا يجوز أن تشمل نشرة الإصدار أو صكوك المقارضة على نص بضمان عامل المضاربة رأس المال أو ضمان ربح مقطوع أو منسوب إلى رأس المال، فإن وقع النص على ذلك صراحةً أو ضمناً بطلَ شرط الضمان واستحق المضارب ربح مضاربة المثل".

(<https://iifa-aifi.org/ar/3996.html>)

وقال المجمع في البند السادس من قراره: "بجواز تبرع البنك المضارب بجزء من حصته بالربح دون شرط في عقد المضاربة. ووضع الضابط في البند الثامن: "يقتصر التعويض عن الخسائر في الحسابات الاستثمارية على الضرر الفعلي-سواء أكانت الخسارة كلية أو جزئية دون ضمان الربح الفائت (الفرصة البديلة)؛ لأنه مجرد توقع غير قائم". (<https://iifa-aifi.org/ar/3996.html>)

ومن حيث المبدأ لا مانع من اتباع كلّ ما من : شأنه وقاية أموال المستثمرين والحفاظ عليها، كما أشار إلى ذلك صراحة قرار مجمع الفقه الإسلامي في دورة مؤتمره السادسة عشرة. (انظر: دررور: عقود مستحدثة في الاستثمار والتمويل والتأمين، ص ٦٥)
الخاتمة:

وتتضمن أهم النتائج:

-إنّ ضمان المصرف لرأس مال المضاربة جائز من باب التكافل الاجتماعي، بإنشاء صندوق تعاوني يُموّل عن طريق اقتطاع جزء من أرباح المضاربة لمواجهة مخاطر الاستثمار. على أن يكون من باب التبرع ولا يكون مشروطاً في العقد.
- جواز تبرع البنك المضارب بجزء من حصته بالربح دون شرط في عقد المضاربة.

المصادر والمراجع:

- ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، لسان العرب، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
- السمرقندي: محمد بن أحمد بن أبي أحمد، أبو بكر علاء الدين (المتوفى: نحو ٥٤٠هـ)، تحفة الفقهاء، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ.
- ابن رشد القرطبي: أبو الوليد محمد بن أحمد (المتوفى: ٥٢٠هـ) المقدمات الممهدات، تحقيق: الدكتور محمد حجي، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

- الرافعي: عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرافعي القزويني (المتوفى: ٦٢٣هـ)، العزيز شرح الوجيز المعروف بالشرح الكبير، المحقق: علي محمد عوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- ابن قدامة: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الكافي في فقه الإمام أحمد، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
- دررور: د. إلياس محمد ، عقود مستحدثة في الاستثمار والتمويل والتأمين، دار المازري - تونس، ٢٠٢٢م، ط ١
- التميمي: عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد (المتوفى: ١٤٢٣هـ)، توضيح الأحكام من بلوغ المرام، الناشر: مكتبة الأسد، مكة المكرمة، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
- السغدري: أبو الحسن علي بن الحسين بن محمد السغدري، حنفي (المتوفى: ٤٦١هـ) ، النتف في الفتاوى، المحقق: المحامي الدكتور صلاح الدين الناهي، الناشر: دار الفرقان ، مؤسسة الرسالة - عمان الأردن ، بيروت لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤ - ١٩٨٤.
- البغدادي: عبد الرحمن بن محمد بن عسكر البغدادي، أبو زيد أو أبو محمد، شهاب الدين المالكي (المتوفى: ٧٣٢هـ)، إرشاد السالك إلى أشرف المسالك في فقه الإمام مالك، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة: الثالثة. ٠
- الشافعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبية القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ) ، الأم ، الناشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة: بدون طبعة، سنة النشر: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

- ابن قدامة: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، المغني لابن قدامة، الناشر: مكتبة القاهرة، الطبعة: بدون طبعة، عدد الأجزاء: ١٠، تاريخ النشر: ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
- انظر: العبادي: عبدالله عبد الرحيم، موقف الشريعة من المصارف الإسلامية، الناشر: المكتبة العصرية - بيروت، الطبعة: بدون طبعة، انظر: الديان: المعاملات المالية أصالة ومعاصرة، ٨٧/١٥
- انظر: الهيتمي: عبدالرزاق رحيم، المصارف الإسلامية بين النظرية والتطبيق، دار أسامة - الأردن
- الصدر: محمد باقر، البنك اللاروي في الإسلام، دار الكتاب اللبناني - بيروت، الطبعة: الثانية.
- شبير: محمد عثمان، المعاملات المالية المعاصرة، الناشر: دار النفائس - عمان، ٢٠٠١م.
- الخطاب: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، (المتوفى: ٩٥٤هـ)، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل. الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- الزيلعي: عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (المتوفى: ٧٤٣هـ)، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي، الحاشية: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشلبي (المتوفى: ١٠٢١هـ)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣١٣هـ.
- شبير: محمد عثمان، المعاملات المالية المعاصرة، الناشر: دار النفائس - عمان، ٢٠٠١م، ص ٣٠٨

<https://iifa-aifi.org/ar/3996.html> •

<https://iifa-aifi.org/ar/3996.html> •

كظم الغيظ في ضوء السنة النبوية المطهرة

-دراسة تحليلية تربوية لثمرات كظم الغيظ-

الباحثة روضة ريعاوي

المعهد العالي لأصول الدين / جامعة الزيتونة- تونس

E-mail: rabaourawdha11@gmail.com

الملخص :

لقد خلق الله البشرية وجعل لها الطريق الذي تسير عليه، ووجهها الوجهة الشرعية السليمة، ومن هذا المنطلق وضع الإسلام عبر تعاليمه نظاماً محكماً من القيم والمبادئ، فجاء يدعوا الناس إلى مكارم الأخلاق، والالتزام بها اعتقاداً وقولاً وعملاً وسلوكاً، ويظهر ذلك جلياً في التوجيهات النبوية الصريحة في الأحاديث النبوية الشريفة، والمواقف التربوية، التي جاءت تحت المسلمين على الأخلاق وترغبهم فيها، خاصة في ما يتعلق بخلق "كظم الغيظ" الذي يؤدي لثمرة عظيمة في حياة الناس ويفضي إلى التحامهم وتآلفهم، وبناء ما هُدم من الروابط الاجتماعية، لذلك عُنيت به السنة النبوية عنايةً فائقةً تداركاً للتشابكات والخلافات، وللحد من اثر الغضب وحماية المجتمع المسلم من ويلاته وشروبه، لما له من عواقب وخيمة تؤول بالمجتمع إلى الدمار والهلاك، ففي ساعة الغضب تتلاشى الكثير من الآداب القولية والسلوكية، وهذه من اعظم المشكلات المعاصرة التي تعصف بمجتمعنا الإسلامي اليوم الذي تحيط به الكروب والشدائد من كل جانب. ولما كان الموضوع بهذه الأهمية أظهر هذا البحث الموسوم بـ " كظم الغيظ في ضوء السنة النبوية المطهرة -دراسة تحليلية تربوية لثمرات كظم الغيظ-" عناية السنة النبوية المطهرة بمكارم الأخلاق من خلال ما حوته من النصوص التي تؤكد فضل كظم الغيظ وثمراته، لتذكير النفس البشرية بمدى أهمية التحلي هذا الخلق العظيم في ممارستنا السلوكية.

الكلمات المفتاحية: كظم الغيظ، السنة النبوية ، دراسة تحليلية.

Abstract:

God created humanity and provided it with the path on which it follows, guiding it towards the correct moral destination. travel, and directed it to the sound legal direction. Based on this, Islam, through its teachings established, a strong system of values and principles. It called upon people to embrace noble ethics and adhere to them in belief, speech, action, and behavior. This is clearly manifested in the explicit prophetic guidance found in the noble hadiths, and the educational situations. these aim to encourage Muslims to adopt these ethical values, especially when it comes to the virtue of “controlling anger”, which leads to significant positive outcomes in people’s lives, fostering unity and reconciliation , and rebuilding what has been broken in social bonds. Thus the sunnah demonstrated exceptional care for this virtue to manage conflicts and disputes, reduce the adverse effects of anger, many verbal and behavioral etiquettes tend to vanish, and this is one of the most critical contemporary issues affecting Islamic society today, surrounded by various challenges and difficulties.

given the importance of this subject, this research titled “ controlling anger in light of the pure prophetic tradition –an analytical educational study of the benefits of anger management”, sheds light on the special attention given by the pure prophetic tradition to moral values, emphasizing the advantages of anger control and its positive outcomes. It serves as a reminder to the human soul of the significance of this important virtue in our daily behavior.

Keywords: suppressing anger, the Sunnah of the Prophet, an analytical study .

المقدمة:

لقد أنعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان بأن خلقه في أحسن تقويم، وجعله خليفة في الأرض مكلفاً بمهمة مميّزة بها عن سائر خلقه، ليسير على المنهج القويم ويتبع سنة رسوله (صلى الله عليه وسلم)، فأنزل عليه الكتاب المبين منهجاً للبشرية كافة ودستوراً خالداً إلى يوم الدين، ينظم حياة المسلم ويهديه إلى الطريق المستقيم، وبعث إليه الرسل مبشرين ومنذرين.

فكان ظهور الإسلام أعظم حدث في تاريخ العرب، وتاريخ البشرية قاطبة مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، الذي بعثه الله رحمةً للعالمين كما ورد في محكم التنزيل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء،

الآية ٧٠)، هادفاً إلى تكريم الإنسان وإرشاده إلى الطريق السوي لتحسين علاقته بربه، وعلاقته مع الآخرين من المسلمين وغير المسلمين، والارتقاء به لتحصيل حياة أفضل، فكان ذلك بإرساء القواعد الأخلاقية عن طريق الرسالة المحمدية التي كانت تقوم في جوهرها أساساً على إتمام مكارم الأخلاق، خصوصاً وأنها من المسائل المركزية التي دعا إليها رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم.

ونظراً لأهمية موضوع الأخلاق ودوره المحوري في نهضة الأمم، اعتنى به الإسلام عنايةً فائقةً، واهتم به النبي صلى الله عليه وسلم اهتماماً بالغاً، ويندرج هذا البحث في إطار إبراز عناية السنة النبوية بمكارم الأخلاق من خلال دراسة الأحاديث الشريفة الواردة في خلق "كظم الغيظ"، وذلك بجمعها وتخرجها وشرحها الإشكالية:

تتمثل إشكالية هذه الدراسة في النظر إلى مدى عناية السنة النبوية بخلق كظم الغيظ وتأثيره في حياة الفرد والمجتمع، لذلك فالإشكالية التي يعالجها هذا البحث ويهدف إلى الإجابة عليها تتلخص فيما يلي:

- ما هو مفهوم كظم الغيظ؟

- إلى أي مدى اعتنت السنة النبوية الشريفة بهذا الخلق القويم؟

- ماهي اهم ثمرات كظم الغيظ من خلال الاحاديث القولية والمواقف الزكية من السنة النبوية ؟

أسباب اختيار الموضوع:

ومن أهم الأسباب التي أثارت رغبتني في تناول هذا الموضوع:

- ارتباط هذه المسألة ارتباطاً وثيقاً بالمجتمع والواقع اليوم.
- الحاجة لإثارة مثل هذه المواضيع لإبراز قيمتها وأثرها في المجتمع ودورها في تحقيق التوازن والخير والصلاح، وتقادي المشاكل والنزاعات التي من شأنها أن تهدد استقرار المجتمع.
- إعادة التذكير بالسنة النبوية وإحيائها في نفوس المسلمين.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في النقاط التالية وهي:

- معالجة قضية مهمّة من قضايا المجتمع وهي "قضية الأخلاق" عموماً من خلال دراسة أحاديث نبويّة لها علاقة مباشرة بخلق كظم الغيظ وتحليلها، وهو ما يعطي للبحث أبعاداً علميّة وأخلاقيّة وتربويّة يحتاجها مجتمعنا أشدّ الحاجة.
- قضية الأخلاق ليست قضية حينية إنّما هي قضية لها أبعاد استشرافيّة ومستمرّة استمرار الزمن لذلك وجب دراستها من حين إلى آخر.

أهداف البحث:

- أُسعى من خلال هذا البحث إلى تحقيق أهداف نظريّة، وأخرى سلوكيّة:
- أهداف نظريّة تتمثل في: جمع الأحاديث المتعلّقة بكظم الغيظ وتخريجها وشرحها ومعالجة قضايا اجتماعيّة مهمّة من خلالها.
- أهداف سلوكيّة تتمثّل في: تحفيز المسلمين على الالتزام في معاملاتهم بالرفق ببعضهم البعض بالعرفو والإحسان والخلق الحسن الذي دعا إليه الإسلام، والابتعاد عن مساوئ الأخلاق التي من شأنها أن تفرّق المجتمع وتشتّت شمله وتصرفه عن القضايا الرئيسيّة،
- وبيان مدى أهميّة خلق كظم الغيظ والدعوة إلى التحلّي به وتطبيقه وممارسته في المجتمع باعتباره خلقاً إسلاميّاً أصيلاً، والالتزام به في معاملتنا الإنسانيّة العملية لتدعيم الرّوابط الاجتماعيّة وبناء مجتمع متماسك.

منهج البحث:

- أما منهج البحث فقد اعتمدت فيه على منهجين أساسيين:
- * أولهما هو المنهج التحليلي: حيث قمت بشرح وتحليل الأحاديث الواردة في كظم الغيظ بالاعتماد على المصادر والمراجع التي لها علاقة مباشرة بالموضوع.
- * ثانيهما هو المنهج التاريخي: من خلال استرداد النصوص النبويّة والوقائع التاريخيّة من السيرة النبويّة الشريفة بالنظر والتحقّق .

خطة البحث:

أما خطة الدراسة فتتمثّل في مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

أما المبحث الأول فقد حمل عنوان "مفهوم كظم الغيظ" وقد اشتمل على ثلاثة مطالب، المطلب الأول بعنوان ماهية كظم الغيظ لغة، ثم المطلب الثاني عنوانه عنونته بالمدلول الاصطلاحي لكظم الغيظ، أما المطلب الثالث فقد تحدثت فيه عن الفرق بين الغيظ والغضب .

ثم المبحث الثاني جاء تحت عنوان "أمّهات الأحاديث القوليّة في كظم الغيظ توثيقاً ودلالةً" وقد اشتمل على أربعة مطالب، المطلب الأول بعنوان أيّ الناس أحب إلى الله؟، المطلب الثاني بعنوان الترغيب برضا الله وحب الله، ثم المطلب الثالث بعنوان الترغيب بالجنة، أما المطلب الرابع فقد حمل عنوان الأمر المباشر بلا تغضب،

وأخيرا المبحث الثالث فقد تحدثت فيه عن " نماذج تربوية من السنة النبوية" واشتمل بدوره على ثلاثة مطالب، المطلب الأول بعنوان تصرّف النبي صلى الله عليه وسلّم مع مَنْ أغاظه وأذاه، والمطلب الثاني تحدثت فيه عن تصرّف النبي صلى الله عليه وسلّم مع مَنْ اتهمه بالإجحاف!، أما المطلب الثالث فقد أبرزت فيه تعامل النبي صلى الله عليه وسلّم مع الأعرابيّ السائل .
ثمّ الخاتمة التي حوصلت فيها أهم ما توصّلت إليه من نتائج وتوصيات.

المبحث الأول: مفهوم كظم الغيظ:

إنّ من مستلزمات الفهم السليم، والإدراك الرشيد للقضية المطروحة على بساط هذه الدراسة، التحديد الدقيق للمصطلحات والمفاهيم، انبثاقاً من أساسها اللغوي، وما يرتبط بها من دلالات ومعاني، مروراً بالمدلول الاصطلاحي، إذ أنّ الناظر والمتفحّص للمعاجم العربية واللغوية يجد أنّ مصطلح كظم الغيظ من المصطلحات المتداولة في تأليف الكثير من المؤلفين والدارسين، ومن هنا كان لا بد من البحث في ماهيته من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية، ولكي يكون معناه واضحاً وجليّاً لا بدّ من تعريف مفردتيه وهما كلمة "كظم" وكلمة "غيظ" وبيان ذلك في ما يأتي:

المطلب الأول: ماهية كظم الغيظ لغة

*أولا معنى كلمة كظم:

عند البحث في المفهوم اللغوي نجد الكَظْمُ مشتق من مادة (ك. ظ. م) وهو مصدر قولهم كَظَمَ يَكْظِمُ، التّي تدلّ كما يقول ابن فارس على "معنى واحد وهو الإمساك والجمع للشيء"، من ذلك الكظم الذي يعني: اجتراح الغيظ والإمساك عن إبدائه، وكأنّه يجمعه الكاظم في جوفه". (ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ١٨٤/٥). وقال الأزهري في كتابه تهذيب اللغة بأنّه: "ويقال: كظمتُ الغيظَ أَكْظَمُهُ كَظْماً، إِذَا أَمْسَكَتَ عَلَى مَا فِي نَفْسِكَ مِنْهُ". (الأزهري، تهذيب اللغة، ٩٣/١٠).

وجاء في الصحاح أيضاً: "كَظَمَ غِيْظَهُ كَظْماً: اجْتَرَعَهُ، فَهُوَ رَجُلٌ كَظِيمٌ. وَالْغَيْظُ مَكْظُومٌ. وَالْكَظِيمُ: غَلَقُ الْبَابِ. وَالْكَظُومُ: السَّكُوتُ. وَكَظَمَ الْبَعِيرَ يَكْظِمُ كُظُوماً، إِذَا أَمْسَكَ عَنْ الْجَرَّةِ، فَهُوَ كَاطِمٌ. وَإِبْلٌ كَظُومٌ. تَقُولُ: أَرَى الْإِبِلَ كَظُوماً لَا تَجْتَرُّ. وَقَوْمٌ كُظَمٌ، أَي سَاكِتُونَ". (الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ٢٠٢٢/٥).

وجاء في لسان العرب لابن منظور: "كظم: اللَّيْثُ: كَظَمَ الرَّجُلُ غِيْظَهُ إِذَا اجْتَرَعَهُ. كَظَمَهُ يَكْظِمُهُ كَظْماً: رَدَّهُ وَحَبَسَهُ، فَهُوَ رَجُلٌ كَظِيمٌ، وَالْغَيْظُ مَكْظُومٌ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ :

﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ﴾". (آل عمران، الآية ١٣٤)، (ابن منظور، لسان العرب، ٥١٩/١٢).

وقال المناوي: "الكظم: الإمساك على ما في النفس على صفح أو غيظ". (المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ٢٨٢/١).

وفي تاج العروس: "كظم غيظه يكظمه كظما: اجتريعه كما في الصحاح، وقيل: رده وحبسه، واحتمل سببه، وصبر عليه، وهو مجاز، مأخوذ من كظم البعير الجرة، وكظم الباب يكظمه كظما: قام عليه وأغلقه بنفسه أو بغير نفسه. ومن المجاز: رجل كظيم ومكظوم أي: (مكروب) قد أخذ الغم بكظمه، أي: نفسه. (والكظم، محرّكة: الحلق أو الفم أو مخرج النفس). يقال: أخذ بكظمه أي: بحلقه، عن ابن الأعرابي، أو بمخرج نفسه". (الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ٣٦٢/٣٣).

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة: "كَظَمَ الرَّجُلُ غِيْظَهُ: كَتَمَهُ؛ حَبَسَهُ وَأَمْسَكَ عَلَى مَا فِي نَفْسِهِ مِنْهُ عَلَى صَفْحٍ أَوْ غِيْظٍ، وَكَاطَمَ غِيْظَهُ شَدِيدَ الْإِخْفَاءِ لِمَا يَشْعُرُ بِهِ مِنْ حُزْنٍ ﴿نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ (لقلم، الآية ٤٨).

، و"الكاظم" مَنْ يملك نفسه عند الغضب، أو يكتُم غضبه، "كظَمَ نَفْسَهُ": أي حَبَسَهُ "فَإِذَا تَنَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَكْظُمْ مَا اسْتَطَاعَ". (عبد الحميد: معجم اللغة العربية المعاصرة، ١٩٤٠/٣). وبذلك يكون معنى الكظم من خلال الاطلاع على كل هذه التعريفات بأنه إمساك الشيء وجمعه في الجوف عكس إخراجه والبوح به.

*ثانياً معنى كلمة الغيظ:

قال المناوي: "الغيظ: أشد الغضب، وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من ثوران دم قلبه" (عبد الحميد: معجم اللغة العربية المعاصرة، ٢٥٥/١)

وعرفه الكفوي بقوله: "الغيظ تغيّر يلحق المغتاط، وذلك لا يصحّ إلا على الأجسام، كالضحك والبكاء ونحوهما". (الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفرق اللغوية، ٦٧١/١)

وقال ابن منظور: "الغَيْظُ: الغَضَبُ، وَقِيلَ: الغَيْظُ غَضَبٌ كَامِنٌ لِلْعَاجِزِ، وَقِيلَ: هُوَ أَشَدُّ مِنَ الغَضَبِ، وَقِيلَ: هُوَ سَوْرَتُهُ وَأَوَّلُهُ. وَغِظْتُ فَلَانًا أَغِيظُهُ غَيْظًا وَقَدْ غَازَهُ فَاغْتَازَ وَغِيظَهُ فَتَغَيَّظَ وَهُوَ مَغِيظٌ؛ وَالتَغَيُّظُ: الاغْتِيَاظُ، وَفِي حَدِيثِ أُمِّ زَرْعٍ: وَغِيظُ جَارَتِهَا، لِأَنَّهَا تَرَى مِنْ حُسْنِهَا مَا يَغِيظُهَا". (ابن منظور، لسان العرب، ٤٥٠/٧). وقال ابن الأثير: "إِنَّ الغَيْظَ صِفَةٌ تَغَيَّرُ المَخْلُوقَ عِنْدَ اخْتِدَادِهِ يَتَحَرَّكُ لَهَا". (ابن منظور، لسان العرب، ٤٥٠/٧)

وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: "غَايَظَهُ: بَارَاهُ فَصَنَعَ مَا يَصْنَعُ. وَتَغَيَّظَتِ الْهَاجِرَةُ إِذَا اشْتَدَّ حَمِيْئُهَا". (ابن منظور، لسان العرب، ٤٥١/٧).

ويقول الفيومي في المصباح المنير: "الغَيْظُ الغَضَبُ المُحِيطُ بِالْكَدِّ، وَهُوَ أَشَدُّ الحَنَقِ، وَفِي التَّنْزِيلِ ﴿قُلْ مُؤْتُوا بِغِيظِكُمْ﴾ (آل عمران، الآية ١١٩). وَهُوَ مَصْدَرٌ مِنْ غَاظَهُ الْأَمْرُ مِنْ بَابِ سَارَ". (الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ٤٥٩/٢)

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة، الغيظ بمعنى الغضب: «غَاظَهُ مَقَالُكَ الْآخِرُ: أَحْنَقَهُ، أَغْضَبَهُ أَشَدَّ الغَضَبِ»، أَغَاظَهُ مَا فَعَلْتَ: غَاظَهُ، أَغْضَبَهُ أَشَدَّ الغَضَبِ "اغْتَازَ فَلَانٌ: سَخِطَ، غَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا، تَغَيَّظَ الرَّجُلُ: أَظْهَرَ الغَيْظَ، أَيِ الغَضَبِ وَالسُّخْطَ". (عبد الحميد أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ١٦٥٧/٢).

وبناءً على كل هذه التعريفات المختلفة يتبين لنا أنّ الغيظ يدور في فلك الغضب والسخط، وبذلك يكون كظم الغيظ بمعنى حبس الغضب وكنمه والصبر عليه.

المطلب الثاني: المدلول الاصطلاحي لكظم الغيظ

قد ذهب بعض المفسرين إلى أنّ "كظم الغيظ" يعني عدم إمضائه والسيطرة عليه بعدما تجرّعه القلب وامتألت النفس منه؛ قال الطبري: "الكاظمين الغيظ: يعني الجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه، يقال: "كظم فلان غيظه: إذا تجرّعه فحفظ نفسه من أن تمضي ما هي قادرة على إمضائه باستمكانها ممّن غاظها وانتصارها ممّن ظلمها". (الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٥٧/٦)

وقال النيسابوري: "ويقال: كظم غيظه إذا سكت عليه ولم يظهره لا بقول ولا بفعل، كأنه كتمه على امتلائه، وردّ غيظه في جوفه، وكفّ غضبه عن الإمضاء، وهو من أقسام الصبر والحلم". (النيسابوري، غرائب القرآن ورجائب الفرقان، ٢/٢٥٩).

وقال ابن حجر: "قوله والكاظمين الغيظ أي الكاتمين، يُقال كظم الغيظ أي احتمله وصبر عليه أي حبسه". ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ١/١٧٩).

وقال القرطبي: "كظم الغيظ: ردّه في الجوف، والسكوت عليه وعدم إظهاره مع قدرة الكاظم على الإيقاع بعدوّه". (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٤/٢٠٦).

وذهب ابن عطية إلى نفس ما ذهب إليه القرطبي بأنّ: "كظم الغيظ: ردّه في الجوف إذا كاد أن يخرج من كثرته، فضبطه ومنعه". (ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ١/٥٠٩).

المطلب الثالث: الفرق بين الغيظ والغضب:

وقد اختلفت آراء العلماء في هذه المسألة فمنهم من قال بأنّهما مترادفان حيث يقول أبو الهلال العسكري: "قد فرق بينهما بأن الغضب ضد الرضا، وهو إرادة العقاب المستحق بالمعاصي، والغيظ: الطبع بكثرة ما يكون من المعاصي، ولذلك يقال: (غضب الله على الكفار)، ولا يقال: اغتاظ منهم. وعرف الغزالي وغيره الغضب بأنّه: غليان دم القلب لطلب الانتقام. وعلى هذا فالغيظ والغضب مترادفان، ويكون إطلاق الغضب عليه - تعالى - باعتبار غاية الغاية كأكثر الصفات، فإنها باعتبار الغايات لا المبادي". (أبو هلال العسكري، معجم الفروق اللغوية، ١/٣٩١-٣٩٢).

كما يقول أيضا: "الفرق بين الغيظ والغضب: أن الإنسان يجوز أن يغتاظ من نفسه ولا يجوز أن يغضب عليها، وذلك أن الغضب إرادة الضرر للمغضوب عليه ولا يجوز أن يريد الإنسان الضرر لنفسه، والغيظ يقرب من باب الغم" (أبو هلال العسكري، معجم الفروق اللغوية، ٣٩١/١-٣٩٢). ويقول ابن فارس أن الغيظ: يدل على كرب يلحق الإنسان من غيره، يقال: غَاطَنِي يَغِيطُنِي، وقد غِطَّتَنِي يا هذا، ورجل غَائِظٌ وَغَيَاطٌ، (ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٤/٤٠٥). أما بخصوص الغضب ذهب إلى أنه: "يَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ وَقُوَّةٍ. يُقَالُ: إِنَّ الْغَضَبَةَ: الصَّخْرَةُ الصُّلْبَةُ، قَالُوا: وَمِنْهُ اشْتَقَّ الْغَضَبُ، لِأَنَّهُ اشْتَدَّ السُّخْطُ" (ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٤/٤٠٥). في حين ذهب البعض إلى أن الغيظ غضب كامن للعاجز، ومن أدلة ذلك: ما جاء في تاج العروس: "الغيظ الغضب مطلقا، وقيل: غضب كامن للعاجز كما في الصحاح، أو أشده، أو سورته وأوله. قال ابن دريد وقد فصل قوم من أهل اللغة بين الغيظ والغضب، فقالوا: الغيظ أشد من الغضب. وقال قوم الغيظ سورة الغضب وأوله، قلت وقال آخرون الغيظ هو الكمين والغضب هو الظاهر، أو الغضب للقادر والغيظ للعاجز". (الزبيدي، تاج العروس، ٢٠/٢٤٨).

وهذا ما أشار إليه ابن منظور بأن: "الغَيْظُ: الغَضَبُ، وَقِيلَ: الْغَيْظُ غَضَبٌ كَامِنٌ لِلْعَاجِزِ، وَقِيلَ: هُوَ أَشَدُّ مِنَ الْغَضَبِ، وَقِيلَ: هُوَ سَوْرَتُهُ وَأَوَّلُهُ. وَغِظْتُ فَلَانًا أَغِظُهُ غَيْظًا وَقَدْ غَاظَهُ فَاغْتَاظَ وَغِظَّهُ فَتَغَيَّظَ وَهُوَ مَغِيطٌ". (ابن منظور، لسان العرب، ٧/٤٥٠)

وفي الصحاح كذلك: "الغَيْظُ غضب كامن للعاجز، تقول: (غَاظَهُ) مِنْ بَابِ بَاعَ فَهُوَ (مَغِيطٌ)، وَلَا يُقَالُ: أَغَاظَهُ. وَ(غَايِظُهُ فَاغْتَاظَ) وَ(تَغَيَّظَ) بِمَعْنَى". (زين الدين الرازي، مختار الصحاح، ١/٢٣٢).

ومنهم من ذهب إلى أن الغيظ هو الغضب كما جاء معجم اللغة العربية المعاصرة: "غَيْظٌ: مصدر غَاظَ: غضب شديد وسُخْطٌ من إساءة يلحقها به أحدٌ، حَقَّ -كُظِمَ غِظُهُ- ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَثَامَ مِنَ الْغَيْظِ﴾" (آل عمران، الآية ١١٩)، (أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، ٢/١٦٥٧).

وقال ابن عطية بالتلازم بين الغيظ والغضب: "وَالْغَيْظُ: أَصْلُ الْغَضَبِ، وَكَثِيرًا مَا يَتَلَازِمَانِ، وَلِذَلِكَ فَسَّرَ بَعْضُ النَّاسِ الْغَيْظَ بِالْغَضَبِ وَلَيْسَ تَحْرِيرُ الْأَمْرِ كَذَلِكَ، بَلِ الْغَيْظُ فَعْلُ النَّفْسِ لَا يَظْهَرُ عَلَى الْجَوَارِحِ، وَالْغَضَبُ حَالٌ لَهَا مَعَهُ ظَهْوَرٌ فِي الْجَوَارِحِ وَفَعْلٌ مَا وَلَا بَدَّ، وَلِهَذَا جَازَ إِسْنَادُ الْغَضَبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، إِذْ هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ أَفْعَالِهِ فِي الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ، وَلَا يَسْنَدُ إِلَيْهِ تَعَالَى غِظٌ". (ابن عطية، المحرر الوجيز، ١/٥٠٩)

وهذا ما أشار إليه القرطبي أيضا في قوله: "وَالْغَيْظُ أَصْلُ الْغَضَبِ، وَكَثِيرًا مَا يَتَلَاَزَمَانِ لَكِنَّ فُرْقَانًا مَا بَيْنَهُمَا، أَنَّ الْغَيْظَ لَا يَظْهَرُ عَلَى الْجَوَارِحِ، بِخِلَافِ الْغَضَبِ فَإِنَّهُ يَظْهَرُ فِي الْجَوَارِحِ مَعَ فِعْلٍ مَا لَا بَدَ" (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٠٧/٤)

ومن خلال ذلك يمكن أن نلاحظ الفرق بين الغيظ الذي هو شعور داخلي يشعر به المغتاض دون ظهوره في الخارج، عكس الغضب الذي يظهر على الجوارح، ويشتركان في الشدة، كما قال محمد دولة: "إن العلاقة بين الغضب والغيظ علاقة عموم وخصوص مطلق، إما لأن الغيظ أصل الغضب، فكثيرا ما يتلازمان، لكن يفرقان ما بينهما أن الغيظ لا يظهر على الجوارح، بخلاف الغضب فإنه يظهر في الجوارح مع فعل ما ولا بد، وإما لأن الغضب والغيظ يشتركان في الشدة، ويختص الغيظ بوجود إرادة الانتقام" (محمد دولة، قراءة تربوية لثمرات كظم الغيظ في السنة النبوية، ص ٧)

المبحث الثاني: أمهات الأحاديث القولية في كظم الغيظ توثيقاً ودلالةً

إن الطبيعة الإنسانية قد تختلف من شخص إلى آخر، ولكل سجيته وطبعه الخاص به والذي يميزه عن غيره، فقد خلق الله الناس وهم مختلفو الطبائع والرغبات والميولات، كما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود، وبين ذلك، والسهل والحزن، والخبيث والطيب» (أحمد، المسند، ح ر (١٩٥٨٢)، ٣٢/٣٥٣)، ومن المعلوم أن هذا الاختلاف من شأنه أن يحدث قطيعةً بينهم للتباعد في وجهات النظر وطريقة التعايش الاجتماعي خاصة في لحظات التشاحن والجدال، لأنه استقر في نفوس الناس حب القوة والانتصار للنفس، وهي غريزة لا تكاد تتفك عنهم وذات جذور عميقة في النفس البشرية، لذلك دعانا (صلوات الله عليه) إلى مكارم الأخلاق للتخلص من هذه النزعة العدوانية، فالإنسان بحاجة إلى نظام خلقي يحقق له حاجته الاجتماعية ويقف أمام ميولاته ونزعاته الشريرة، ويحثه على تحقيق الخيرات، إذ لا بد من وجود مبادئ وقيم تقوم سلوكه، وترشده إلى الحق والفضيلة كخلق كظم الغيظ، وهو من المقومات السلوكية المهمة في حياة المسلم التي تُخلصه من هذه النزعة العدوانية في حالات الغضب، وفي المواقف التي تثير انفعاله، ومن هنا حثنا (صلوات الله عليه) للالتزام به في حياتنا لاستقامة السلوك وتربية النفس البشرية،

وأرشدنا إليه في أحاديثه النبوية التي تُؤسس لمبادئ وقواعد أخلاقية ينبغي أن نلتزم بها في معاملتنا، فوردت أحاديث كثيرة عن المصطفى صلى الله عليه وسلم فيها بيان فضل كظم الغيظ نذكر منها:

المطلب الأول: أي الناس أحب إلى الله؟

عن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمُ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَنْظِرُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَئِنْ أَمْشَيْتَ مَعَ أَخِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ شَهْرًا - وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَرُولِ الْأَفْدَامِ».

(الطبراني، المعجم الكبير، رقم (١٣٦٤٦)، ١٢/٤٥٣).

هذا حديث عام شامل لعدة قضايا تتعلق بالأخلاق والمبادئ العامة، وتتعلق كذلك بالعلاقات والممارسات اليومية السلوكية للمسلم. والملاحظ في هذا الحديث أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان في كل مرة يجيب صحابيًا على سؤال أي الأعمال أحب؟ أو أي الناس أحب... خصوصاً وأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا لحرصهم على الطاعات وما يقربهم من رضا الله عز وجل كثيرًا ما يسألون النبي (صلى الله عليه وسلم) عن أفضل الأعمال، وأكثرها قرباً إلى الله تعالى. ولهذا سنقوم بتتبع جل العناصر الواردة في الحديث، وذلك لمعرفة الحكمة من استرساله عليه السلام في ذكر هذه الأعمال، وصولاً إلى تحذيره من شدة الغضب وحثه على كظم الغيظ، وقبل ذكره لهذه المسائل أجاب النبي (صلوات الله عليه) عن السؤال بجواب كافٍ شافٍ يُعدّ قاعدة عامة في حياة المسلم، حيث قال: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمُ لِلنَّاسِ» (الطبراني، المعجم الكبير، رقم (١٣٦٤٦)، ١٢/٤٥٣). فمن أراد أن يكون أحب الناس إلى الله وأقربهم إليه عليه باتّباع هذا المسلك في حياته، وهو نفع الناس وخدمتهم بإخلاص وصدق، وفي هذا الكلام حث منه للناس جميعاً على نفع بعضهم بعضاً، وأن المسلم وجب عليه التقرب إلى الله بعملٍ يحبه الله ورسوله وينفع الناس ويخدمهم قدر المستطاع، فيرفعه الله درجات عنده .

فَنَفَعُ النَّاسَ إِذْنُ سُنَّةٍ كَوْنِيَّةٍ وَضُرُورَةٌ حَتْمِيَّةٌ حَتَّى يَتَحَقَّقَ الْإِسْتِخْلَافُ فِي الْأَرْضِ وَيُؤَدِّي كُلُّ مَنْ الْأَمَانَةَ وَالرَّسَالَةَ الَّتِي أَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى بِهَا عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِهِ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بِالتَّعَاوُنِ وَالتَّكَافُلِ وَالتَّضَامُنِ كَمَا فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى». (مسلم بن حجاج، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ح ر (٢٥٨٦)، ٤/١٩٩٩).

ولهذا وضع النبي (صلى الله عليه وسلم) في هذا الحديث قاعدة عامة تكمن في قوله: «أحب الأعمال إلى الله سرورٌ تُدخله على مسلم» وهذا من أجل الأعمال التي تقرب المسلم إلى الله عز وجل، لذلك وجب على المسلم أن يكون حريصاً على إدخال السرور والاطمئنان في قلوب الناس، ولو بابتسامة بنية الصدقة، ولهذا قال (صلى الله عليه وسلم): «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئاً، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ» (مسلم، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب طلاق الوجه عند اللقاء، ح ر (٢٦٢٦)، ٤/٢٠٢٦)، أو بكلمة طيبة فالكلمة الطيبة تفرح قلوب الناس، وتمحو الحقد والجفاء، وتحافظ على العلاقات وديمومتها، وتزرع السكينة في القلوب، وتعطي الثقة بين الأفراد، وتترك أثراً طيباً في نفوس المؤمنين، كما جاء في محكم التنزيل ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة، الآية ٨٣). لأنك تستطيع بتلك الكلمة أن تتقذ حياة إنسان، وتخرجه من غمار حزنه، وتزرع فيه الأمل من جديد بعد أن فقدته، فتكون له بمثابة جرعة دواء أسكنت جراحه، وأنت بكلمة واحدة فقط يمكن أن تصلح بين متخاصمين وتعيد لهم الثقة والمودة والألفة بعد الجفاء، لتتال بذلك أجراً كبيراً، وقد قال تعالى في سورة إبراهيم ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ (إبراهيم، الآية ٢٤-٢٥-٢٦).

ثم إن إدخال السرور على قلب المسلم يكون بالإحسان إليه، ولنا في قصة سيدنا يوسف عليه السلام خير دليل على ذلك، فبعدما فعل به إخوته ما فعلوا؛ واتهموه بالسرقعة، ورموه في غيابات الجُبِّ، وشروه بثمن بخسٍ دراهم معدودة، وحرموه من أبيه عشرات السنين، وقد أبْثَلِي أَشَدَّ الْإِبْتِلَاءِ، وامتحنَ بقضية المراودة في النهاية، ثم أدخل السجن، ورغم أن كل هذه الأفعال تسبب فيها إخوته الذين غلب عليهم الحسد، فبعد كل ذلك قال لهم لما عرفوه: ﴿قَالُوا أَنْتَكَ لَاأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ

اللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَتَرَكْنَا اللَّهَ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ * قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٠-٩١-٩٢﴾ (يوسف، الآية ٩٠-٩١-٩٢).

فبعد اعتذارهم طوى يوسف عليه السلام صفحة الماضي، رغم ما تحمله من مرارة وبلاء ولم يمنعه ذلك من أن يعفو عنهم ويدخل السرور عليهم! ولا غرابة فتلك هي أخلاق الأنبياء وشيم الكرماء وعادات الفضلاء، فلما قال لهم: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (يوسف، الآية ٩٢-٩٣). فتأمل قوله ﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ومعنى ذلك أن يوسف عليه السلام وبعدما عفا عن إخوته وكان خير العافين قام بإدخال السرور عليهم من خلال طلبه لهم بأن يأتوه بأهلهم أجمعين .

وهنا تبرز لنا قيمة العفو والغفران حين تمتزج بخلق كظم الغيظ لتثمر عملاً جليلاً يُحبّه الله تعالى ويجازي فاعله جزاءً عظيماً ألا وهو إدخال السرور على الناس، والملاحظ أن يوسف عليه السلام قد بلغ تلك الدرجة الرفيعة حينما كظم غيظه وكبح غضبه، فكان إماماً في العفو والإحسان وخير نموذج يمكن الاقتداء به في حياتنا، فمهما بلغ الإنسان من تنكيل وابتلاء ومحن لا يعامل من أساء إليه بالمثل، بل يدفع بالتي هي أحسن ويصبر عليه والله يوفى الصابرين أجرهم بغير حساب، ولا ينسى أن كل ذرة غيظ أو غضب حبسها الإنسان في نفسه ابتغاء مرضاة الله لا يزيده الله بها إلا عزاً ورفعةً، كما في قوله (صلى الله عليه وسلم) حيث قال: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ». (مسلم، الصحيح، كتاب البرّ والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، ح ر (٢٥٨٨)، ٤/٢٠٠١).

وقد رأينا في هذه القصة الجميلة قصة يوسف عليه السلام كيف رفعه الله تعالى حينما كبح غضبه وكظم غيظه ولم ينتقم من إخوته، بل غلب جانب العفو والغفران وعفا عنهم جميعاً، وأدخل السرور عليهم، وهذا خير مثال في القرآن الكريم يحث على إدخال السرور على الناس، وعلى كظم الغيظ، فالإنسان عندما يجد نفسه في خصومة حادة تورث له شعوراً بنوع من الغيظ والحرقة في قلبه لاسيما إذا تلقى إساءة أو تسببت له في أذية نتج عنها آلام وآهات، وهو ما يساهم في تعاضد الغيظ في قلبه، ولهذا وجب عليه أن يكظم هذا الغيظ ويُمسكه، ويحبسه في قلبه ولا يُبده للطرف الآخر، تماماً كما فعل سيدنا يوسف: ﴿فَأَسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف، الآية ٧٧)، فهذا هو المسلم الذي

يحببه الله تعالى وهو الذي يكظم غيظه ابتغاء مرضاة الله تبارك وتعالى، ويسعى لنفع الناس وخدمتهم ونيل الأجر والثواب، ولهذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث بعض الأعمال التي يحبها الله حتى يحرص المسلم على أدائها، ونيل ثوابها، فقال: «وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا...» (تقدم تخريجه .)، وهذه الأعمال الجليلة دليل على كمال إيمان المرء ونبالة أخلاقه، كما أنها تساهم في توطيد العلاقات بين الناس، والمحافظة على الألفة والمودة بينهم، ومن أجل ذلك جاءت الشريعة الإسلامية حائثة على التعاون والمساعدة وقضاء حوائج الناس والسعي إلى تفريج كربهم، وقد قال (صلى الله عليه وسلم): «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسِّرْ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ...» (مسلم، الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ح ر (٢٦٩٩)، ٤/ ٢٠٧٤) فكلما كان المسلم في عون أخيه المسلم ويسنده وقت الشدائد فإن الله سيكون في عونه، ويسر له جميع أموره.

ثم قال النبي (صلى الله عليه وسلم): «وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ شَهْرًا»، وهذا من أهم المسائل والقضايا التي أكد عليها النبي (صلى الله عليه وسلم) وهي ضرورة إيلاء المسلم المعاملات اليومية حقها، فكثير من المسلمين يهتمون بجانب العبادات أكثر من المعاملات وفي أذهانهم أن الإسلام يقتصر فقط على الزكاة والصلاة والصوم، وأهملوا جانباً مهماً هو الجانب الأخلاقي السلوكي الذي يقوم صلاح المجتمع عليه، وبه تستقيم جميع العلاقات.

ثم بعد ذلك قال النبي (صلى الله عليه وسلم): «وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَرْوُلِ الْأَقْدَامِ» (تقدم تخريجه). فنلاحظ هنا هذا التمشي البديع في الحديث الذي قادنا إلى صلب الموضوع وهو كظم الغيظ، وأن هذه العبادة العظيمة من أسباب النّبات في ذلك اليوم العصيب، وأن من أسباب ستر الله للعبد كظمه لغيظه. ثم إن مسألة حبس الغضب ليست مسألة سهلة عند الكثير من الناس، لذلك كان ثوابها عظيماً وثقيلاً في الميزان، فلا بد من حبس الغضب في شتى الأوقات والأماكن، لأنه منبع

الآثام والذنوب ومصدر لتأجيج النزاعات وجميع المشاكل المستعصية كالطلاق وغيره... ويزرع الخلافات بين المسلمين خصوصاً وأن كثيراً منا قد يصل إلى مرحلة من الغضب تمنعه من التحكّم في نفسه، فيخرج عن الصواب ويتخطى الحدود، فيقول كلاماً بذيئاً أو يبدأ بالصراخ ويُفحش القول، ويسبب الجلالة، فيندم بعد ذلك أشدّ الندم، لذلك كان أجر من كفّ غضبه ستر الله لعورته.

وأما من كظم غيظه مع قدرته على إنفاذ ذلك الغيظ ملأ الله قلبه رجاءً وإيماناً يوم القيامة، كما قال حبيبنا الذي لا ينطق عن الهوى، بمعنى أن الله سوف يجازيه ويثيبه أجراً حسناً طيباً جراء هذا الغيظ الذي كظمه وتحمل مشقته، خصوصاً وأن كظم الغيظ مسألة شاقّة لا يقدر عليها إلا من حباه الله تبارك وتعالى بإيمان قوي راسخ، وصبر وقدر على التحمل.

ومن هنا يمكن القول أنّ النبي عليه أفضل الصلوة والسلام أراد من خلال هذا الحديث أن يحثّ المسلم على الأعمال النافعة التي تقرّبه من الله، وأن يكون من أنفع الناس، حريصاً على خدمتهم، حتى يكون ذكره عطراً بين الناس، ويرزقه الله تعالى القبول بينهم، فالله تعالى يحب المسلم الحريص على القيام بأعمال تسعد المسلمين، والفقير والغني سيان في ضرورة إسعادهم خاصة بالكلمة الطيبة، والسعي فيما يرمون إليه ويحبونه، وغاية هذا الفعل النبيل هي نيل رضوان الله من خلال القيام بما يُحبّه ويأمر به. كما أنّ في هذا الحديث فائدة أخرى وهي حثّ المسلم على أن يكون عنصراً فاعلاً في مجتمعه، حريصاً على خدمة وطنه وأُمَّته وإرضاء المولى عز وجل سواء أ كان ذلك مادياً أم روحياً.

المطلب الثاني: الترغيب برضا الله وحب الله

عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من جرعة أعظم أجراً عند الله من جرعة غيظ كظمها عبدٌ ابتغاء وجه الله». (ابن ماجه، السنن، كتاب الزهد، باب الحلم، ح ر (٤١٨٩)، ١٤٠١/٢) قال علي ملا القاري: «من جرعة غيظ يكظم»: بكسر الظاء، أي: يبلعها ويمنعها من إظهارها مع كثرتها، وملء باطنه منها، من كظم القرية ملأها وشدّ فيها على ما في أساس البلاغة، وفي رواية الجامع: «كظمها» بصيغة الماضي «ابتغاء وجه الله تعالى» أي: طلباً لمرضاته لا لغرض آخر ولا لعجز عن إمضاها. (علي الملا القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، كتاب الآداب، باب الغضب والكبر، ٣١٩٦/٨).

والمستفاد من هذا الحديث أنّ جرعة الغيظ هي بمثابة شربة الماء التي يكظمها صاحبها أو يتجرّعها ابتغاء وجه الله عز وجل، فبدل أن نقابل السيئة بالسيئة فإننا نتحمّل تلك الإساءات، وندفع بالتّي هي أحسن، ونسامح ونعفو، ولا يعدّ ذلك ضعفاً أو خوفاً إنّما هو ابتغاء مرضاته عز وجل، وهو القائل: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (الشورى، الآية ٤٠). ، فقد نواجه في حياتنا الكثير من المشاكل والاستفزازات التي نقودنا إلى الخصام والجدال، وقد يواجه المرء في بعض المواقف (في العمل أو الدراسة أو السوق أو الشارع المنزل) ما يثير غضبه، فتحدث القطيعة والشحناء التي قد تصل إلى حدّ الجفاء والهجر، ولقد رأينا انتشار هذه الظاهرة في مجتمعاتنا ورأينا من هجر أقاربه وأرحامه أو جيرانه فقطعوا بذلك صلة الأرحام، مع أنه لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه أكثر من ثلاثة أيام، لكن المرء إذا نجح الشيطان في زرع الحسد والحقد والبغضاء في قلبه فإنّ مآله الخيبة والفشل في الحياة، وذلك لبُعده عن أخلاق الإسلام وأحكامه، وعدم التزامه بقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران، الآية ١٣٣-١٣٤)، فالله عز وجل يدعونا إلى العفو والمغفرة، وتوعّدنا بجنة عرضها السموات والأرض، وهذا الأجر العظيم لا يناله إلا صاحب الخلق العظيم، كاظم الغيظ ومن ملأ الله قلبه إيماناً لأنّ كظم الغيظ يحتاج منا إلى مجاهدة وصبر وتحمل، فيجب على المسلم أن يراجع نفسه دائماً ويُعوّدها على الصّفح الجميل والعفو ويتجاوز عن زلات الآخرين، ويلتمس الأعداء لإخوانه المسلمين حتى يحافظ على سلامة قلبه، وصفاء صدره، ونقاوة سريره من كل أنواع الحقد والكراهية، مليئاً بحب الله وحبّ الناس.

فقد لاقى الأنبياء والرسل من الشتم والأذى ما لا تتصوره الأذهان، ثم بعد ذلك عفوا وصفحوا عمّن ظلمهم وشتّمهم ابتغاء أجر الله. وهم قدوتنا ولنا في سيد الخلق والمرسلين وإمام المتسامحين والعافين خير نموذج عليه أفضل الصلاة والسلام، فقد آذته قريش بأشدّ أنواع الأذى حتى إنهم أرادوا قتله والقضاء على الإسلام، لكنه صبر وتحمل وجاهد في سبيل الدعوة إلى أن ظهر الإسلام، ولم يسعى بعدها للانتقام منهم، بل كان يدعو لهم بالمغفرة -وهو يمسح الدم على وجهه بعد أن ضربه- بدل الانتقام منهم: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» (البخاري، الجامع الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، ح ر (٣٤٧٧)، (١٧٥/٤). ، كذلك رغم كل ما تلقاه منهم من ضرب وشتّم فإنّه قابلهم بدعوته: «أرجو أن يخرج الله من

أصلاهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا»، كما جاء في الحديث: عن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يومٍ أُحدٍ، قال: «لقد لقيتُ من قومك ما لقيتُ، وكان أشدَّ ما لقيتُ منهم يومَ العقبة، إذ عرضتُ نفسي على ابنِ عبدِ ياليلَ بنِ عبدِ كلالٍ، فلم يُجِبني إلى ما أردتُ، فانطلقتُ وأنا مهمومٌ على وجهي، فلم أستَقِ إلا وأنا بقرنِ الثعالبِ فرفعتُ رأسي، فإذا أنا بسحابةٍ قد أظللتني، فنظرتُ فإذا فيها جبريلُ، فناداني فقال: إنَّ اللهَ قد سَمِعَ قولَ قومك لك، وما ردُّوا عليك، وقد بعثَ إليك ملكَ الجبالِ لتأمرهُ بما شئتَ فيهم، فناداني ملكُ الجبالِ فسلمَ عليَّ، ثم قال: يا مُحَمَّدُ، فقال، ذلكَ فيما شئتَ، إن شئتَ أنْ أطبقَ عليهم الأخشبين؟ فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرجَ اللهُ من أصلابهم من يعبدُ اللهَ وحده، لا يشركُ به شيئا». (البخاري، الجامع الصحيح، كتاب بدئ الخلق، باب إذا قال أحدكم آمينَ والملائكةُ في السماء آمينَ فوافقتُ إحداهما الأخرى، غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبه، ح ر (٣٢٣١)، ١١٥/٤)

ولقد أخذ الصحابة الكرام خلق كظم الغيظ عن النبي (صلى الله عليه وسلم) وتعلّموه منه بعدما رأوا تطبيق النبي (صلى الله عليه وسلم) في عدّة مواقف، فتعلّموا منه وسعوا إلى تطبيقه في حياتهم العامة والخاصة، ومن أمثلة ذلك أبو ذر الغفاري رضي الله عنه حين قال لغلّامه: لما لم أرسلت الشاة على علف الفرس؟ قال له: أردتُ أن أغيطك، فقال أبو ذر: لأجمعنّ مع الغيظ أجرا؛ أنت حرّ لوجه الله تعالى" (الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، ٢/٢٢٧)، فقد أدّى كظم الغيظ إلى تحرير هذا الغلام ونال أبو ذر بذلك أجرا عظيما جزاء كظمه للغيظ، وهذا ما ندعو إليه ونرجوه في مجتمعاتنا.

المطلب الثالث: الترغيب بالجنة

عن معاذ بن أنس عن أبيه -رضي الله عنهما- أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُءُوسِ الْخَلْقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ». (أبو داود، السنن، ح ر (٤٧٧٧)، ٢٤٨/٤)

يؤكد هذا الحديث على أهمية خلق كظم الغيظ وعظمة ثوابه في الآخرة لمن صبر وتحمل وكبح غضبه، ذلك أن تجرّع الغيظ ليس بالأمر السهل ولا بالهين ولا يقدر عليه إلا من احتمل سببه وصبر عليه وتحمل تبعاته؛ قال ابن علان: "إنَّ النبي قال: «من كظم غيظاً» أي تجرّعه واحتمل سببه وصبر عليه، والغيظ: تغير

الإنسان عند احتداده، وظاهر عموم تنكير غيظاً حصول الثواب على كظم الغيظ مع القدرة على إنفاذه وإن قلّ" (ابن علان، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، باب الصبر، ١/١٩٧). وقال الملا علي القاري: "من كظم غيظاً" أي: اجترع غضباً كامناً فيه". (الملا علي القاري، مرقاة المفاتيح، كتاب الآداب، باب الرفق والحياء وحسن الخلق، ٨/٣١٨١).

قال الخادمي في شرح هذا الحديث: "قال «من كظم غيظاً» أي أمسك وكف عن إمضائه، «وهو يستطيع أن ينفذه» أي يعمل بمقتضاه، «دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الخلائق»؛ لأنه قهر النفس الأمارة بالسوء، والنفس مجبولة في مثله على الانتقام والمجازاة بالإساءة، ولذا كان ذلك من آداب الأنبياء والمرسلين، ومن ثمة خدم أنس المصطفى عشر سنين فلم يقل له في شيء فعله لم فعلته ولا في شيء تركه لم تركته، «حتى يخيره في أي الحور شاء» فيختار ما شاء منهن، تدبر" (الخادمي، بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمديّة، ٢/٢٧٣).

وهنا تبرز قيمة خلق كظم الغيظ في مدى قدرة المرء على إنفاذه فإذا كان قادراً على ذلك كان مقامه أعلى ممّن كظم غيظه وهو لا يقدر على إنفاذه، وقد ورد شرح ذلك في مرقاة المفاتيح: "وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ": بِتَشْدِيدِ الْفَاءِ أَي: يُمَضِّيه" (الخادمي، بريقة محمودية، ٨/٣١٨١).. وفي دليل الفالحين: "وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ": أي يقضي ويعمل بما يدعوه إليه: من ضرب المغتاز منه، أو قتله أو نحوه لسطوته على المغتاز منه بملك أو نحوه، وهو قيد في حصول ثواب كظم الغيظ المذكور". (ابن علان، دليل الفالحين، باب الصبر، ١/١٩٧).

وأما عظمة ثواب كظم الغيظ فهي أنّ الله تعالى يدعوه "عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيَّرَهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ"، وهي منّة عظيمة من المولى سبحانه حريّاً بالمسلمين التسابق للظفر بها ونيلها يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون.

وقد تطرّق ابن علان إلى شرحها بقوله: "«دعاه الله سبحانه» تنزيهاً له عما لا يليق بشأنه «وتعالى» عن ذلك فهو كالإطناّب كما سبق، «على رؤوس الخلائق» تنويهاً بشأنه وإعلاماً بعلوّ مكانه «يوم القيامة»، ظرف لدعاه، «حتى يخيره» بضم التحتية الأولى وتشديد الثانية، «من الحور» بضم المهملة وسكون الواو آخره راء:

أي شديداً سواد العيون وبياضها، «العين» ضخام العيون كسرت عينه بدل ضمها لمجانسة الياء، مفرده عيناء كحمراء، «ما شاء» مفعول ثانٍ ليُخَيَّرَ". (ابن علان، دليل الفالحين، ١/١٩٧). وفي مرقاة المفاتيح: "«دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة» أي: شهره بين الناس وأثنى عليه وتباهى به، ويقال في حقه: هذا الذي صدرت منه هذه الخصلة العظيمة، «حتى يخيره» أي: يجعله مخيراً، «في أي الحور شاء» أي: في أخذ أيهن شاء، وهو كناية عن إدخاله الجنة المنيرة وإيصاله الدرجة الرفيعة". (الملا علي القاري، مرقاة المفاتيح، كتاب الآداب، باب الرفق والحياء وحسن الخلق، ٨/٣١٨١) وبالتالي لقد بين لنا هذا الحديث قيمة كظم الغيظ باعتباره خلقاً إسلامياً أصيلاً، وفيه دلالة عظيمة على فضل من يكظم غيظه ذلك أن الله يدعوه يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من الحور العين ما شاء، فينبغي على المسلم أن يكظم غيظه استجابة لهذا الثواب العظيم وطمعا فيه، الذي وجب عليه استحضاره كلما مرّ عليه ما يثير غضبه ويُنمي غيظه فيتحمّل ذلك ويصبر ويضبط نفسه طمعاً في ثواب الله سبحانه وتعالى.

المطلب الرابع: الأمر المباشر بـ "لا تغضب"

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أوصني. قال: «لا تغضب»، فردّد مراراً قال: لا تغضب». (البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، ح ر (٦١١٦)، ٨/٢٨).

يندرج هذا الحديث المختصر الوجيز في إطار المنهج النبوي العام في التربية وترسيخ مبادئ الإسلام السمحة وأخلاقه الفاضلة، وهو حديث مهم في باب إصلاح أخلاق الناس وتزكية نفوسهم حيث يحمل توجيهات نبوية تدعو إلى عدم الغضب من خلال وصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) حين أتى إليه أحد الصحابة يطلب منه النصيحة والمعونة على تحديد ما يجب عليه اتّباعه وما يجب تركه وكما هو معلوم أنّ الوصية هو ما يعهد في شيء مهم يتعلّق بصلاح حال الإنسان في معاشه ومعاده، فكان جوابه (صلى الله عليه وسلم) مختصراً جامعاً لكلّ معاني خلق كظم الغيظ؛ حيث قال له «لا تغضب» وقد كرّرها الرجل مراراً يقول أوصني فيعيد النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول "لا تغضب" وتكرار الوصية بترك الغضب يدلّ على أهميّة هذا

الأمر وأنه أمر عظيم ينبغي لكل عاقل أن يدركه ويطبّقه في حياته و تأكيداً منه (صلى الله عليه وسلم) على ضرورة التخلّق بخلق كظم الغيظ، والإمساك عن الغضب، وما يتبع ذلك من صفات الحلم والعفو والغفران والتأني والتّجاوز لأجل بقاء الودّ، والمحافظة على العلاقات التي تساهم في تماسك المجتمع وتقدّمه، وكذلك دليل على عظيم أثر هذه الوصيّة في صلاح الإنسان التي نطق بها أنصح الخلق للخلق وأعلم النّاس بالحقّ وأفصح المتكلّمين بياناً (عليه أفضل الصلاة والسلام) وهو نهى عن الغضب الذي هو فوران دم القلب لمكروه يستفزّ الإنسان بأن لا يمضي قولاً أو فعلاً أو انفعالاً في حال الغضب الذي يمنعه من التفكير السليم السديد ولأنّ العقل لا يكون حاضراً و لا في حالة سويّة تهدي إلى التصرف السليم.

وفي هذا السياق قال ابن بطلال في شرح صحيح البخاري: "مدح الله تعالى الذين يغفرون عند الغضب وأثنى عليهم، وأخبر أن ما عنده خير وأبقى لهم من متاع الحياة الدنيا وزينتها، وأثنى على الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، وأخبر أنه يحبهم بإحسانهم في ذلك" (ابن بطلال، شرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، ٢٩٦/٩). ، ومن معاني قوله «لا تغضب» لا تتبع الأسباب المؤدية إلى الغضب، قال الخطابي: "أي اجتنب أسباب الغضب ولا تتعرض لما يجلبه؛ لأن نفس الغضب مطبوع في الإنسان لا يمكن إخراجها من جبلته". (محمد بن عبد الباقي، شرح الزرقاني على الموطأ، كتاب الجامع، باب ما جاء في الغضب، ٤٠٨/٤).

وقال أبو الوليد الباجي: " وإنما أراد النبي صلى الله عليه وسلم امتناعه من الغضب في معاني دنياه ومعاملته". (أبو الوليد الباجي، المنتقى شرح الموطأ، كتاب الجامع، باب ما جاء في الغضب، ٢١٤/٧). ولأنّ للشيطان مداخل خطيرة على المرء ينفذ عليه في أحوال الضعف وفقد السيطرة على النفس، فاذا انفعّل المرء وأسرف على نفسه ولم يملكها حال الغضب تمكّن منه الشيطان فتصدر منه أقوال وأفعال يمكن أن تؤدّي به إلى الهلاك، فلا بدّ للإنسان إن داهمه الغضب أن يمسك نفسه عن الكلام وعن الخصام في تلك اللحظة ولا يمضي شيئاً في لحظة غضبه ويمنع نفسه بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم لتخفيف أثر الغضب حيث بيّن بعض العلماء أنّ الاستعاذة بالله تعالى من أقوى الأسلحة لدفع الغضب وإبعاده عن النفس؛ وقد قال ابن بطلال: "وكل ما لا تحمده عاقبته ليرديه ويغويه ويبعده من رضا الله تعالى فالاستعاذة بالله تعالى منه من أقوى السلاح على دفع كيده" (ابن بطلال، شرح صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحياء،

٢٩٧/٩). وأما الزرقاني فقد ذكر أنّ استحضار عظمة التوحيد يُعدّ من أهمّ أسباب دفع الغضب، فقال: "وأقوى الأشياء في دفعه استحضار التوحيد الحقيقي التام، وأتّاه لا فاعل في الوجود إلاّ الله، وكل فاعل غيره فهو آله، فمن توجه إليه مكروه من جهة غيره فاستحضر أنه تعالى لو شاء لم يمكن ذلك الغير منه اندفع غضبه لأنه لو غضب والحالة هذه كان غضبه إما على الخالق وهو جرأة تنافي العبودية أو على المخلوق وهو إشراك ينافي التوحيد". (الزرقاني، شرح الزرقاني على الموطأ، كتاب الجامع، باب ما جاء في الغضب، ٤/٤٠٩).

وبناءً على ما سبق يمكن القول بأنّ هذا الحديث يتعلق بالرجل الذي جاء يطلب نصيحةً من الرسول صلى الله عليه وسلم تنفعه في دينه ودنياه، فأكد الرسول (صلى الله عليه وسلم) على ضرورة التخلّق بخُلُق الامتناع عن الغضب وكظم الغيظ، وكرّر ذلك ثلاث مرّات لأهمية هذه النصيحة الجليلة والوصيّة العالية، وفي هذا الحديث النهي عن الغضب الذي يعتبر من مساوئ الأخلاق، ومثله كمثل النار التي توقد في قلب المسلم فتتسبّب في كثير من المشاكل وربما في خراب الأسر وتدهور العلاقات وتمزّقها في المجتمع، لذلك حذّر منه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لأنه يمثل خطراً يهدد حياة المسلم، فكم زهقت أرواح ووقعت جرائم وتفرّقت الأسر وتباعد الأصحاب والأحباب وقُطعت الأرحام بسبب الغضب... وكم من ظاهرة سلبية انتشرت في المجتمع بسبب الغضب مثل ظاهرة سبّ الله تعالى... فبسبب هذا الخلق السيئ تنتشر الظواهر السلبية التي تُضعف تماسك المجتمع وتساهم في تمزّقه، وهو ما نهى عنه الشرع الكريم. فلا بد للمسلم أن يكظم غيظه ويملك نفسه قدر المستطاع، وأن يقهر شهوة الغضب التي تؤدي إلى غضب الله عليه -والعياذ بالله- وما يتبع ذلك من عواقب.

فهذا قدوتنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يغضب ولكّنه ما غضب لنفسه قط وكان حليماً عفواً متسامحاً معرضاً عن الجاهلين، لكّنه كان يغضب حين تنتهك محارم الله سبحانه، وقد قالت عائشة رضي الله عنها: "مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئاً قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِماً، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ، فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ". (مسلم، الصحيح، كتاب الفضائل، باب مباحثته صلى الله عليه وسلم للآثام واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرّمات الله، ح ر (٢٣٢٨)، ٤/١٨١٤).

ومن نماذج غضبه (صلى الله عليه وسلم) موقفه من مسألة الإطالة في الصلاة، فمن المعلوم أنه ينبغي على الإمام أن يراعي أحوال الناس لأنّ فيهم الكبير والمسن والمريض وإطالة القراءة بهم قد تنفرهم، وقد روى البخاري في صحيحه (البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله، ح ر (٦١١٠)، ٢٧/٨). عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مِنْ أَجْلِ فُلَانٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا، قَالَ فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطُّ أَشَدَّ غَضَبًا فِي مَوْعِظَةٍ مِنْهُ يَوْمَئِذٍ، قَالَ فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مِنْكُمْ مُنْفَرِّينَ، فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيَنْجُزْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ).

والخلاصة أنّ النبي (صلى الله عليه وسلم) قد نهى عن الغضب وأمرنا بالإمساك عنه وكظم الغيظ لأنه قد يؤدي إلى قطع الصلة بين الناس وهدم روابط الأخوة الإيمانية، فلا بد أن نتحلّى بخلق كظم الغيظ والعفو عن الناس والتجاوز لأجل بقاء الود وترسيخ الألفة والمحبة بين المسلمين، وأن لا نجعل لحظة غضب تساهم في إفساد عشرة سنين وتهدم صداقة عمر كما ورد في قول عطاء بن أبي رباح: "ما أبكى العلماء بكاء آخر العمر من غضبة يغضبها أحدهم فتهدم عمر خمسين سنة، أو ستين سنة، أو سبعين سنة، ورُبَّ غضبة قد أفضحت صاحبها مقحماً ما استقاله". (ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ٣٧٤/١)

ومن خلال هذه الأحاديث يتبين لنا عظيم هذا الخلق القويم وحاجة المسلمين إليه في ضبط السلوك الإنساني، فترسيخ القيم ضرورة دينية وحاجة ملحة لا مفرّ منها ولا بديل عنها ولا يمكن ذلك إلا عبر الممارسات اليومية الدائمة، وفي عصرنا هذا نحن مطالبون أكثر بهذا الخلق معتمدين على المنهج النبوي الشريف في معاملتنا.

المبحث الثالث: نماذج تربوية من السنة النبوية:

لقد بعث الله إلى الإنسانية جمعاء خاتم الأنبياء والمرسلين بشيراً ونذيراً لتكون لهم فيه الأسوة الحسنة، ويكون لهم في حياته الشريفة قدوة، فقد وهب الله لنبيه ما لم يهبه لغيره من الخلق الكريم، وهباًه ليكون الهادي والمحي للضلال والشرك، فكان المثل الأعلى في الخلق وسعة الصدر وكرم النفس والعفو والصّفح حتى مع مخالفيه وأعدائه كان عليه أفضل الصلاة والسلام يدعو بالخير والهداية لمن آذاه وحاربه، وكان وهو في أوج قوّته بعد الفتح يعفوا عمّن آذاه من قبل وحاربه، ولا يؤاخذ به بما فعل حتّى من كان يُعرف بدوره البارز في

مقاومة الإسلام وتعبئة الجيوش عليه كان قد شمله هذا العفو الشامل والصّفح الجليل، كذلك شمل هذا العفو من كاد المكائد في المدينة ومن تأمر عليه ومن شتمه ورماه بالحجارة وأذاقه أشد أنواع الأذى، ومن كذب برسالته وافترى عليه.. وكل هؤلاء عاد إليهم فاتحا عزيزا مؤزرا بجنود ولم يؤاخذهم بما فعلوا بل فتح لهم أبواب رحمته التي لا تغلق، فحياة نبيّنا (صلوات الله عليه) أجلّ مثال عملي لقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (لأعراف، الآية ١٩٩). فكانت من بين المواقف التي تشهد بذلك نذكر :

المطلب الأول: تصرف النبي صلى الله عليه وسلم مع من أغاظه وآذاه

عن ابن شهاب، قال: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أُحُدٍ، قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَأَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَقِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظْلَمَتْنِي، فَتَطَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكُ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أَطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا». (البخاري، الجامع الصحيح، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء، آمين فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه، ح ر (٣٢٣١)، ١١٥/٤. ومسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين، ح ر (١٧٩٥)، ١٤٢٠/٣).

هذا حديث عظيم يظهر لنا عظيم الصبر وجليل الحلم الذي تجلّى به نبيّنا (صلى الله عليه وسلم) فقد لقي في سبيل تبليغ رسالته أشد أنواع الأذى والتّكيد من المشركين والمعارضين للإسلام ومن أشد ما تعرّض له كان يوم العقبة حين عرض نفسه (صلى الله عليه وسلم) على عبد ياليل بن كلال وأخويه مسعود وحبيب ابن عمير حيث ذهب إلى الطّائف راجيا منهم أن يؤووه وينصروه وعرض عليهم الإسلام، فطردوه وردّوا عليه أقبح الرّد، وأدوه أشد الإذاية، ورماه سفهاؤهم بالحجارة حتى دُميت قدماه، وزيد مولاة يقيه بنفسه، كما جاء في

الرحيق المختوم: "فقالوا: أخرج من بلادنا، وأغروا به سفهائهم، فلما أراد الخروج تبعه سفهائهم وعبيدهم، يسبونهم ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، فوقفوا له سماطين (أي صفيين) وجعلوا يرمونه بالحجارة وبكلمات من السّفه، ورجموا عراقبيته، حتى اختضب نعلاه بالدماء، وكان زيد بن حارثة يقيه بنفسه، حتى أصابه شجاج في رأسه" (المباركفوري، الرحيق المختوم، ١/١١٣)، وهذا من أشدّ المواقف المؤلمة التي مرّ بها صلوات الله عليه في مراحل تبليغ دعوته، لذلك قال لعائشة "كان أشدّ ما لقيت منهم يوم العقبة" كما جاء في هذا الحديث، وقد وقفت على كلام نفيس للملا علي القاري شارحا هذا الحديث قائلا: "وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله! هل أتى عليك يوم، أي: هل مر عليك وقت وزمان (كان) أي: صعوبته (أشد من يوم أحد؟ فقال: «لقد لقيت من قومك»)، أي: ما هو أشد من يوم أحد... وكان ما لقيته منهم يوم العقبة أشد مما لقيته منهم في سائر الأيام، فالمعنى كان ما لقيت من قومك يوم العقبة أشد ما لقيت منهم، وأراد بالعقبة التي بمنى، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقف عند العقبة في الموسم، ويعرض نفسه على قبائل العرب يدعوهم إلى الله تعالى وإلى الإسلام، والمعنى أنهم ما أجابوا ذلك، فاشتد عليه حينئذ وهو معنى قوله: («إذ عرضت نفسي») والمعنى حين عرضت نفسي بالأمان والإجارة من التعرض على جري العادة، («على ابن عبد ياليل») قال العسقلاني: اسمه كنيته، والذي في المغازي أن الذي كلمه هو عبد ياليل نفسه، وكان من أكابر أهل الطائف من ثقيف، («فلم يجبني إلى ما أردت») أي: ما قصدت وطلبت منه حينئذ من العهد والأمان، («فانطلقت وأنا مهموم») وهو قوله: («على وجهي») فذهبت مهموما على جهتي. قال الطيبي أي: فانطلقت حيرانا هائما لا أدري أين أتوجه من شدة ذلك الغم وصعوبة ذلك الهم. («فلم أستفق إلا بقرن الثعالب») بمعنى أي: فلم أفق مما كنت فيه من الغم وشدة الهم، حتى بلغت قرن الثعالب، والقرن: جبل، وقرن الثعالب: جبل بعينه بين مكة والطائف، («فرفعت رأسي») أي: إلى السماء لأنها قبله الدعاء ومهبط الرجاء، («فإذا أنا بسحابة قد أظلتني») أي: بالزيادة على العادة، («فنظرت فإذا فيها») أي: في السحابة («جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك») أي: قولك إياهم («وما ردوا عليك») («وقد بعث») أي: أرسل الله («إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم»)، («قال») أي: النبي عليه السلام («فناداني ملك الجبال»)، أي بنحو: يا أيها النبي، أو يا محمد («فسلم علي») أي: تسليم تعظيم وتكريم، («ثم قال: يا محمد! إن الله قد سمع قول قومك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ريك إليك لتأمرني بأمرك») أي:

بشأنك أو بما تريده، («إن شئت أن أطبق»): من أطبق إذا جعل الشيء فوق الشيء محيطا بجميع جوانبه كما ينطبق الطبق على موضع من الأرض، والمعنى إذا أردت أن أقلب («عليهم الأخشبين») وهما جبلان يضافان إلى مكة مرة وإلى منى أخرى، وهما واحد، وفي الفائق: الأخشبان الجبلان المطبقان بمكة، وهو أبو قبيس والأحمر وهو جبل مشرف وجهه على قعيقعان، والأخشب كل جبل غليظ، وفي القاموس: قعيقعان جبل بمكة وجهه إلى أبي قبيس.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): («بل») أي: لا أريد ذلك وإن استحقوا لكفرهم بل («أرجو أن يخرج الله من أصلابهم») أي: من أنساب بعضهم («من يعبد الله وحده») أي: من يوحده منفردا أو ليطيعه مخلصا («لا يشرك به شيئا») أي: من شرك جلي أو خفي". (الملا علي القاري، مرقاة المفاتيح، كتاب الفضائل، باب المبعث وبدئ الوحي، ٣٧٤٠/٩)

وهنا يتجسد لنا كظم الغيظ في أسمى صورته فرغم كل هذا الأذى والهم والحزن إلا أنه عفا عمن آذاه من المشركين، فصلوات الله عليه لم يتمنى لهم الأذى حتى وهو مهموم يشكو بثه وحزنه إلى الله، فعند ذلك أرسل إليه ربه ملك الجبال فسأله أن يطبق على قومه الأخشبين فكان ردّه رجاء من المولى أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله ويوحده، وكان رؤوفا رحيمًا بهم ولم يمسك الغلّ والحقد في قلبه بل كظم غيظه وعفا عنهم رغم ما كان فيه من شدة وكرب وغم، ورجى أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا، وهذا ما يوحى بشافته عليهم وصبره على الأذى والعدوان، كما قال ابن حجر: "وفي هذا الحديث بيان شفقة النبي (صلى الله عليه وسلم) على قومه ومزيد صبره وحلمه، وهو موافق لقوله تعالى ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ (آل عمران، الآية ١٥٩)، وقوله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (لأنبياء، الآية ١٠٦). (ابن حجر، فتح الباري، ٣١٢/٦)، وقال أيضا القسطلاني: "وهذا من مزيد شفقة على أمته، وكثرة حلمه وصبره، جزاه الله عنا ما هو أهله وصلّى عليه وسلم". (القسطلاني، إرشاد الساري، ٢٧٦/٥)

فالنبي يؤذى هذا الأذى العظيم ولكنه مع ذلك يتحمل في سبيل الدعوة التي حارب المشركين والمعارضين من أجلها كما جاء في محكم التنزيل: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف، الآية ١٠٨)، وفي ذلك دليل على جهاده حتى بلغ الرسالة رغم كيد الكائدين والمعارضين للإسلام وأراد أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولم يرد لهم الشر ولم يدعوا عليهم، فهو

الرحمة المهداة للإسلامية جمعاء، وصدق القول الحق: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾. (التوبة، الآية ١٢٩).

ومن هنا فإن سيرته العطرة تعلمنا دروسا في الصبر في الشدائد والأزمات وكظم الغيظ وضبط النفس والعفو، فيجب على المسلم أن يكون صابرا محتسبا لوجه الله حتى في أوقات شدته وأوقات الكرب والحزن، ويتصرف بكل تريث وحكمة، ولا ينتقم ممن ظلمه لحظة غضبه بل يصبر ويعفو كما كان رسولنا الكريم يفعل، فما يحدث اليوم في مجتمعاتنا من قتل وضرب وجرائم وطلاق جزاء هذا التسرع الذي لا تُحمد عقباة، فلا يجب على المسلم الانسياق وراء انفعالاته لحظة الغضب أو ينتقم لنفسه عند تعرضه للأذى الجسدي أو اللفظي بل يصبر على ذلك.

ومن أهم ما يستفاد من هذا الحديث الجليل أن يعلم المسلمون كم عانى الرسول (صلى الله عليه وسلم) وتحمل في سبيل تبليغ الدعوة وتحقيق الإسلام، وكم صبر عن أذى المشركين في أصعب مراحل دعوته، فلنقتدي به في صبره وعفوه مهما بلغ بنا من الأذى، فهو القدوة الأعظم للأمة الإسلامية جمعاء في مكارم أخلاقه.

المطلب الثاني: تصرف النبي صلى الله عليه وسلم مع من اتهمه بالإجحاف!

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ حُنَيْنٍ، أَثَرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْاسًا فِي الْقِسْمَةِ، فَأَعْطَى الْأَفْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أَنْاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ فَأَثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ الْقِسْمَةَ مَا عُدِلَ فِيهَا وَمَا أُريدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأُخْبِرَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُودِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ» (البخاري، الجامع الصحيح، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي المؤلفه قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، ح ر (٣١٥٠)، ٩٥/٤)

تناول هذا الحديث واقعة جليّة أبرزت حلم النبي (صلى الله عليه وسلم) وصبره وعفوه ورحابة صدره، لاسيما مع هذا الذي تجرأ عليه أمام الناس سبًا وشتمًا وقال ما قد يوجب قتله، غير أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كظم غيظه كعادته وفهم المسألة بعمق وسُرعان ما تعامل مع الوضعية بحكمة، ولهذا قال المازري: "مَنْ سَبَّ النبي (صلى الله عليه وسلم) قُتِلَ؛ ولم يذكر في هذا الحديث أن رسول الله انتقم من هذا القائل. ويحتمل أن

يكون لم يفهم عنه الطعن في النبوة وإنما نسبته إلى أنه لم يعدل في القسمة، والمعاصي على قسمين: فأما الكبائر فهو عليه السلام معصومٌ منها إجماعاً، وأما الصغائر فإن المجيزين لوقوعها من الرسل يمنعون أن تضاف إليه صلى الله عليه وسلم على جهة الانتقاص. ولعله -عليه السلام- لم يعاقب هذا القائل لأنه لم يثبت ذلك عليه وإنما ينقله عنه واحد وشهادة الواحد لا يراق بها الدم على هذا الوجه" (المازري ، المعلم بفوائد مسلم، ٣٤/٢)

وقال القسطلاني: "ولم يُنقل أنه عليه الصلاة والسلام عاقبه، فيحتمل كما قاله المازري أنه لم يفهم منه الطعن في النبوة وإنما نسبته لترك العدل في القسمة، فلعله لم يعاقبه لأنه لم يثبت عليه ذلك وإنما نقل عنه واحد، وبشهادة واحد لا يراق الدم." (القسطلاني، إرشاد الساري، ٢٢٧/٥).

وقد اعترض القاضي عياض على هذا التأويل فقال: "مما يدفع هذا التأويل قوله: اعدل يا محمد، واتق الله يا محمد وأنه خاطبه خطاب المواجهة بمحضر الملاء، حتى استأذن عمر وخالد النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في قتله، فقال: «معاذ الله أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»، فهذه هي العلة، وسلك فيها مسلكه مع غيره من المنافقين الذين آذوه وسمع منهم في غير موطن ما كرهه، لكنه صبر وحلم استبقاءً وتأليفاً لغيرهم، ولئلا يتحدث أنه يقتل أصحابه، وقد رأى الناس هذا الصنف في جماعاتهم وعدّوه من جملتهم". (القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق الدكتور يحيى إسماعيل، ٦٠٧/٣).

هذا وإن المتأمل في هذه الواقعة يلاحظ آثار الخلق الحسن في معالجة بعض الظواهر السلبية المنتشرة في المجتمع، وأولها سوء الأخلاق كالشتم كما رأينا في أخلاق هذا الرجل، وإن المتأمل في قوله (صلى الله عليه وسلم) الذي ختم به كلامه «رحم الله موسى فقد أودى بأكثر من هذا فصبر» يتجلى له أنها قاعدة عامة وجب على المسلم اتباعها والعمل بها في حياته، وخلاصتها حسن التعامل مع المواقف التي قد تثير الغضب الشديد وتغيب المرء، من خلال كظم الغيظ والتماس العذر وتحمل الأذى والصبر عليه، لأن ذلك مدعاة لرضوان الله تعالى. قال المناوي: "«رحم الله موسى» بن عمران كليم الرحمن «قد أودى» أي آذاه قومة «بأكثر من هذا» الذي أوديت به من قومي «فصبر»" (للمناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير، ٣٢/٢).

وقد تحدث المناوي بدقة عن هذه الواقعة في كتابه فيض القدير وذكر بعض الفوائد المهمة المتعلقة بها، منها أن قوله هذا كان نصحاً من رجلٍ شفيقٍ رحيم وليس تهديداً، فقال: "وهذا قاله النبي صلى الله عليه وسلم حين

قال رجلٌ يوم حنين: والله إنَّ هذه لقسمةٌ ما عدل فيها ولا أريد بها وجه الله فتغيّر وجهه ثم ذكره.. وكان كلامه هذا شفقةً عليهم ونُصْحًا في الدّين لا تهديدا وتثريبا إيثارا لحق الله على نفسه في ذلك المقام الذي هو عقب الفتح وتمكّن السلطان الذي يتنفس فيه المكروب، وينفث المصدور، ويتشقى المغيظ المحنق، ويدرك ثأره المؤثر، فله أخلاق الأنبياء ما أوطدها وأسمحها، والله عقولهم ما أرزنها وأرجحها". (المناوي، فيض القدير، ٢٧/٤).

والمستفاد من هذا الحديث أنّه (صلوات الله عليه) رغم اتّهامه بالإجحاف وعدم العدل في عطاياه إلّا أنّه يعفو ويصفح ويقتدي بموسى عليه السّلام في الصبر حين آذاه قومه، وهكذا ينبغي لنا أن نقتدي بهم، ونعتبر من قصصهم ومواقفهم التي تدرّ بالأخلاق الحسنة وتثمر العفو والصّفح الجميل، كما قال جلّ علاه ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِ الْأَلْبَابِ﴾ (يوسف، الآية ١١١)، وهم أهل الأخلاق النبيلة والصفات الشريفة عليهم أفضل الصّلاة والسلام.

المطلب الثالث: تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع الأعرابيّ السائل

عن أبي هريرة؛ أن أعرابيا جاء إلى النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستعينه في شيء قال عكرمة أراه قال: في دم فأعطاه رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئا، ثمّ قال: أحسنت إليك؟ قال الأعرابي: لا، ولا أجملت فغضب بعض المسلمين وهموا أن يقوموا إليه فأشار النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن كفّوا، فلما قام النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبلغ إلى منزله دعا الأعرابي إلى البيت فقال له: «إنك جئتنا فسألنا فأعطيناك فقلت ما قلت فزاده رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئا فقال: أحسنت إليك؟ فقال الأعرابي: نعم فجزاك الله من أهل وعشير خيرا». (البزار، البحر الزخار، ح ر (٨٧٩٩)، ٢٩٤/١٥)

يتناول هذا الحديث موضوع الأعرابيّ السائل الذي جاء يطلب العطاء من النبي (صلى الله عليه وسلم)، ولكّنه كان سيئ الأدب معه بل اتهمه بعدم الإنصاف والعدل معه!

قال الملا علي القاري في شرح الشفاء: "روى أبو الشيخ والبزار (أنّ أعرابيا) وهو غير معروف (جاءه) أي أتى النبي عليه الصّلاة والسّلام (يطلب منه شيئا) أي من مطالب الدنيا، (فأعطاه ثمّ قال) أي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم («أحسنت إليك») بهمزة ممدودة وسكون هاء لاجتماع همزة الاستفهام وهمزة الأفعال للتقرير وهو حمل المخاطب على الإقرار بأنه أحسن إليه وأنعم عليه، (قال الأعرابي: لا) أي لا

أعطيتني كثيرا ولا قليلا (ولا أجملت) أي ولا أتيت يا جميل أو ولا أوصلتني جميلا حيث لا أحسنت جزيلا، وقيل معناهما واحد كرر للتأكيد وقيل ما أجملت ما أكثرت وهو أولى كما لا يخفى ولا يبعد من غلظته وجلفته لديه إن أراد بقوله ولا أجملت دعاء عليه، ويؤيده قوله (فغضب المسلمون وقاموا إليه) ليوافوه بما استحقه زجرا عليه، (فأشار) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (إليهم أن كفوا) أي كفوا أو بأن كفوا بضم فتشديد أي امتنعوا عنه وكفوا أنفسكم منه شفقة عليه وإحسانا إليه، (ثم قام) أي النبي عليه الصلاة والسلام (ودخل منزله) أي للاهتمام (وأرسل) وفي نسخة فأرسل (إليه وزاده شيئا) أي على ما قدمه عليه (ثم قال: «أحسنت إليك») كما سبق، (قال: نعم فجزاك الله به) أي بسبب ما أحسنت به إليّ (من أهل وعشيرة خيرا) بالنصب على أنه مفعول ثان لجزى، ومن تبعية، والجملة اعتراض بين الفعل ومفعوله نصب على الاختصاص أو على الحال أي أخصك من بينهما أو حال كونك منهما، (فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: «إنك قلت ما قلت») أي شيئا عظيما مستهجنا قبيحا («وفي نفس أصحابي») أي وفي نفوسهم وفي أصل التلمساني وفي نفس أصحابي بصيغة المفرد («من ذلك») أي قولك («شيء») أي أمر عظيم وخطب جسيم، («فإن أحببت») أي أردت إزالة ذلك («فقل بين أيديهم») أي عندهم («ما») وفي نسخة مثل ما («قلت بين يدي») أي من المديح ليكون كفارة لذلك القبيح («حتى يذهب») أي بقولك لهم ذلك («ما في صدورهم عليك») أي من الغضب لما صدر عنك فإن المعالجة بالأضداد، (قال نعم) أي أقول لهم ذلك، (فلما كان الغد) أصله غدو فحذفوا الواو بلا عوض (أو العشي) بفتح فكسر فتشديد وأو لشك الراوي (جاء) أي الأعرابي (فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: «إِنَّ هَذَا الْأَعْرَابِيَّ قَالَ مَا قَالَ») أي ما سمعتموه في أول الحال («فزدناه») أي بعض المال («فرغم أنه رضي») أي به عنا («أكدلك») استفهام تقرير أي أحق ما نقلته عنك (قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا) فكان المراد بالأهل هو الأخص أو الأعم والله أعلم. (فقال) أي النبي كما في نسخة صحيحة (صلى الله تعالى عليه وسلم: «متلي ومثل هذا») المثل بفتحنتين في الأصل هو النظير ثم استعمل في القول السائر الممثل مضربه بمورده، أي موضع ضربه بموضع وروده، فالمورد هو الحالة الأصلية التي ورد فيها كحالة المنافقين والمضرب هو الحالة المشبهة كحالة المستوقد نارا، ولا يضرب إلا بما فيه غرابة زيادة في التوضيح والتقرير فإنه أوقع للنفس، وأقمع للخصم، ويريك المخیل محققا، والمعقول محسوسا، ثم استعير لما له شأن عجيب وفيه أمر غريب من صفة أو حال أو قصة نحو مثلهم كمثل الذي استوقد نارا والله

المثل الأعلى ومثل الجنة التي وعد المتقون وأمثالها، والمعنى هنا شبيهي وشبه العجيب الشأن والغريب البيان («مثل رجل له ناقة شردت عليه») أي نفرت وذهبت في الأرض عنه أو غلبت عليه («فأتبعها الناس») من الاتباع أو الاتباع أي فتبعوها ليلحقوها («فلم يزيدها إلا نفورا») أي تنفرا منهم وتبعدا عنهم («فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي») أي اتركوني معها، («فإني أرفق بها») أي أشفق عليها («منكم وأعلم») أي بحالها وطبعها وطريق أخذها، («فَتَوَجَّهَ لَهَا بَيْنَ يَدَيْهَا فَأَخَذَ لَهَا مِنْ قِمَامِ الْأَرْضِ») بضم القاف وتخفيف الميم جمع قمامة، وهي في الأصل الكناسة أريد بها ههنا ما تلقمه من الأرض فتأكله، شبه بالكناسة لخسته فاستعير له اسمها لمشاركة صفته («فردّها») أي طمعها إليه («حتّى جاءت واستأخدت») أي طلبت البروك، وهو بنون قبل الألف وخاء معجمة بعدها يقال أناخ الجمل فاستأخ أي بركه فبرك، («وشدّ عليها رحلها») أي ربط عليها قتبها، («واستوى عليها») أي استقر عليها جالسا، («وإني لو تركتكم حيث قال الرجل») أي حين قوله («ما قال») أي شيئا قاله أو لا («فقتلتموه دخل النار») أي عقوبة له بما ظهر من الكفر في إساءة أدبه معه صلى الله تعالى عليه وسلم". (الملا علي القاري، شرح الشفاء، ١/٢٨٢-٢٨٣-٢٨٤).

وفي هذا الحديث بيّن لنا (صلوات الله وسلامه عليه) أنّ المعاملة بالرفق واللّين هي أساس معاملتنا الإنسانية، وهو الأسلوب والمنهج الذي اتّبعه في كامل مراحل دعوته مع المشركين والمنافقين والجاهلين حتى كان هذا الأسلوب اللّين سببا في اعتناق كثير منهم الإسلام، وتمكّن من قلوبهم كما هو الحال مع هذا الأعرابي، قال الملا علي القاري: "فكان حسن ملاطفته وزيادة عطيته سببا لإرضائه وباعثا لتوبته، فهو أرفق بأمرته وأعلم بحالهم منهم فإنه بهم رحيم وبدوائهم حكيم ومما يناسب المقام ويلئم المرام" (الملا علي القاري، شرح الشفاء، ١/٢٨٢-٢٨٣-٢٨٤)، فلطافته معه وحسن معاملته جعلته يقول: "جزاك الله من أهل وعشيرته" وهذا دليل على أنّه تمكّن من قلبه، فرغم جفائه وغلظته إلا أنّه لم يغضب منه ورفض أن يقتله أصحابه فيموت على كفر ويدخل النار، وهذا من شدة رحمته بأمرته وخوفه عليهم من ملاقة ربهم وهم على كفر بل يريد لهم الهداية والتوبة على يديه صلوات الله عليه، لذلك قال لأصحابه: «خلّوا بيني وبين النّاقة إنّي أرفق النّاس بها»، فقد شبّه هذا الأعرابي بالنّاقة، بمعنى أتركوه حتى لا ينفر بمعاملتهم السيئة له، فقد سلك معه مسلك الرّحمة واللّين، وجذبه إليه برفقه ولطافته، وهذا هو المنهج النبوي الذي سار عليه في دعوته وربّى عليه أصحابه صلوات الله عليه بقوله لهم: «يَسْرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا» (البخاري، الجامع

الصحيح، كتاب العلم، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، ح ر (٦٩)، ٢٥/١)، حتى رَسَخَ في نفوسهم هذا المبدأ وأَنَّهُ ليس في منهج الإسلام.. فقد كان يدعو إلى اليسر في جميع الأمور من الآداب التي دعانا إليها الإسلام في جميع أمور حياتنا فالرَّفَقَ مع النَّاسِ ييسِّرُ التعامل معهم ويقلِّلُ الخصومات والمشاكل عكس الغلظة والمعاملة بجفاء التي تورث الحقد والعداوة بين الناس، كما قال (صلوات الله عليه): «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ». (مسلم، صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، ح ر (٢٥٩٤)، ٢٠٠٤/٤)

ما يمكن أن نستفاد به من هذا الحديث أَنَّ فيه دعوة إلى الالتزام بالأخلاق الفاضلة في معاملتنا الإنسانية واعتماد أسلوب اليسر والرفق في حياتنا لنعالج الاختلافات والمشاكل بالمزيد من الحبِّ والحلم والصبر والعطاء، ودفع السيئة بالحسنة لتزيد المحبة والألفة بين أفراد المجتمع .

لقد ارتأيت إلى دراسة هذا الموضوع المهم لبيان مدى أهمية خلق "كظم الغيظ وبيان عناية السنة النبوية بمثل هذه الأخلاق العظيمة من خلال دراسة عدد من الأحاديث الواردة فيه، ولأسيما تلك التي يحتاجها المسلم في حياته اليومية ومعاملاته الإنسانية، وقد حاولت الاستشهاد ببعض المواقف من السيرة النبوية العطرة لبيان ثمرات كظم الغيظ على الفرد والمجتمع. فتوصَّلت إلى الاستنتاجات التالية:

- أظهر البحث بجلاء أهمية خلق كظم الغيظ وهو ما نحتاج إليه اليوم ومحور معاملتنا اليومية التي تحتاج منا الكثير من التَّحَمُّل والصبر حتى نستطيع التعايش مع بعضنا البعض، فلا بدَّ أن يكظم كلُّ منَّا غيظه ويضبط نفسه ويجاهدها ويدربها على الحلم والصبر والعفو ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى، وحبًّا في الله عزَّ وجلَّ، واعتقاداً أنَّ كَفَّ الغضب وكظم الغيظ هو من أحبِّ الأعمال إلى الله تعالى، فإن اعتقد الناس هذا الفكر والتزموا به صَلَّحَ حالهم وحال مجتمعاتهم.
- أوقف البحث القارئ على عناية الإسلام بالأخلاق لا سيما خلق كظم الغيظ لما له من فوائد عظيمة جداً تعود بالنفع على المجتمع وأفراده كأن تقلَّ الخصومات والمعارك بين الناس وتتألف القلوب، ولتقادي خراب العلاقات الاجتماعية لا بدَّ أن يتنازل كلُّ واحدٍ للآخر حتى تدوم العشرة وتستمرَّ الحياة من دون غيظ ولا غضب ومن دون أن يمسك كلُّ منَّا أخطاء على الآخر ويتَّبَع زلَّاتَه فالمسلم هو

الذي يكفُّ غضبه تجاه إخوانه المسلمين حتى تكون شخصيته متوازنة أكثر ويعفو عنهم ولا يدع في قلبه ذرة حقد أو كره.

• خلق كظم الغيظ من مكارم الأخلاق التي تعود ثمرتها على الفرد والمجتمع وتؤثر بشكل إيجابي وتنشأ علاقات قوامها الحبّ والرّحمة والإخاء خصوصاً وأنّ الإنسان مدنيّ بطبعه ولا يستطيع العيش بمفرده فالعيش الجماعي يفرض عليه احترام القواعد والمبادئ التي حثّ عليه الإسلام والالتزام بالخلق الحسن مع سائر فئات المجتمع وتحسن عشرتهم وكظم الغيظ هو الخيط الذي يقودنا إلى العشرة الطيّبة الحسنة.

• فالمطلوب من المسلم أن يتجاوز عن زلات إخوانه وهفواتهم لتجنّب الخلاف والتصادم الذي نهى عنه ديننا الحنيف الذي كان يقوم في جوهره على المعاملة الحسنة وجعل بعضهم لبعض رحمةً وعوناً.

• المعاملة بالتي هي أحسن قاعدة شرعيةً عمليةً تضبط سلوكيات الفرد والمجتمع وكما دعانا الإسلام إلى جانب العبادات من صلاة وصوم وزكاة فقد دعانا أيضاً إلى المعاملات الحسنة والعشرة الطيّبة مع الناس وهذا الجانب مهم جداً في حياتنا اليومية حتى يكون ديننا الإسلامي ديناً متكاملًا ظاهرًا أو باطنًا ولا بدّ أن نرى الدين أيضاً في معاملتنا.

المصادر والمراجع:

- الأصبهاني (إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (ت: ٥٣٥هـ) ، الترغيب والترهيب، تحقيق أيمن بن صالح بن شعبان، دار الحديث - القاهرة، ط ١ سنة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
- الألباني (أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني: (ت: ١٤٢٠هـ) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١ (لمكتبة المعارف) سنة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، ج ٦: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، ج ٧: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م./ صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي، د.ط، د.ت.

- الازهري: (محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ) تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، دار احياء التراث العربي-بيروت، ط ١ سنة ٢٠٠١م.
- البخاري: (محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي): الأدب المفرد، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط ٣ سنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م. / -الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١، سنة ١٤٢٢هـ.
- البزار: (أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خالد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (ت: ٢٩٢هـ)، مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط ١، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).
- ابن بطلال: (أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت ٤٤٩هـ)، شرح صحيح البخاري، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط ٢ سنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- الترمذي: (محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط ٢ سنة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
- ابن حنبل أحمد: (أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ت: ٢٤١هـ): مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط ١ سنة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- الخادمي: (محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان، أبو سعيد الخادمي الحنفي ت: ١١٥٦هـ): بريقة محمودية في شرح طريقة محمديّة وشريعة نبوية في سيرة أحمديّة، مطبعة الحلبي، د.ط، سنة ١٣٤٨هـ.

- أبو داود (سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني ت ٢٧٥هـ:)
- سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، د.ط، د.ت.
- ابن رجب الحنبلي: (زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلمي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي ت: ٧٩٥هـ): جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تحقيق شعيب الارناؤوط إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٧ سنة ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- الزرقاني: (محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري): شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ط ١ سنة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٠.
- الزبيدي: (محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي ت: ١٢٠٥هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ط، د.ت.
- الزمخشري: (جار الله الزمخشري ت ٥٨٣ هـ): ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١ سنة ١٤١٢ هـ.
- زين الدين: (زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، ت: ٦٦٦هـ:)
- مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط ٥، سنة ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- الطبراني: (سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي ت: ٣٦٠هـ): مسند الشاميين، تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١ سنة ١٤٠٥ - ١٩٨٤ م.
- المعجم الكبير، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط ٢، د.ت. / المعجم الأوسط، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة، د.ط، د.ت.

- المعجم الصغير تحقيق محمد شكور محمود الحاج أمير، المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان، ط ١ سنة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- عبد الحميد (أحمد مختار عبد الحميد عمر ت: ١٤٢٤ هـ): معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط ١، سنة ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- العسقلاني ابن حجر (أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ت: ٨٥٢ هـ):
فتح الباري، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، د. ط، د. ت.
- العسكري: (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، ت: نحو ٣٩٥ هـ): -معجم الفروق اللغوية، تحقيق الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ب «قم»، ط ١ سنة ١٤١٢ هـ.
- ابن عطية: (أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي ت: ٥٤٢ هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١ سنة ١٤٢٢ هـ.
- ابن علان: (محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي ت: ١٠٥٧ هـ): دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ٤ سنة ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- الفارابي: (أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ت: ٣٩٣ هـ): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط ٤ سنة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ابن فارس: (أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين ت: ٣٩٥ هـ): معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د. ط، سنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- الفيروزآبادي: (مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ت: ٨١٧ هـ): القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ٨ سنة ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

- الفيومي: (أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس ت: نحو ٧٧٠هـ): المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية - بيروت، د.ط، د.ت.
- القاضي عياض: (عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن يحيى السبتي، أبو الفضل ت: ٥٤٤هـ)
- إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق الدكتور يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع مصر، ط ١ سنة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .
- القرطبي: (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ت: ٦٧١هـ): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط ٢ سنة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- القسطلاني: (أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين ت: ٩٢٣هـ): إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط ٧ سنة ١٣٢٣ هـ.
- -الكفوي: (أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي ت: ١٠٩٤هـ): الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، د.ط، د.ت.
- ابن ماجه: (ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد ت: ٢٧٣هـ، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، د.ط، د.ت .
- المازري: (أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري المالكي ت ٥٣٦هـ
- المعلم بفوائد مسلم، تحقيق فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر، ط ٢ سنة ١٩٩١ م

- مسلم: (مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ت: ٢٦١هـ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د.ط، د.ت
- المقدسي: (ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي ت: ٦٤٣هـ): الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرج به البخاري ومسلم في صحيحيهما، تحقيق معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهب، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ٣ سنة ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- الملا علي القاري: (علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري ت: ١٠١٤هـ): مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط ١ سنة ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- المناوي: (زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري ت: ١٠٣١هـ): الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرج به البخاري ومسلم في صحيحيهما، تحقيق معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهب، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ٣ سنة ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م
- ابن منظور: (محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي ت: ٧١١هـ): لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط ٣ سنة ١٤١٤ هـ.
- النيسابوري: (نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري ت: ٨٥٠هـ): غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١ سنة ١٤١٦ هـ.
- أبو الوليد الباجي: (أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي ت: ٤٧٤هـ): المنتقى شرح الموطأ، مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، ط ١ سنة ١٣٣٢ هـ.

تعليمات سلطة النقد الفلسطينية النّاطمة لعمل المصارف الإسلامية العاملة

في فلسطين -دراسة تحليلية تقويمية

الأستاذ الدكتور إسماعيل محمد شندي (عمايره)

جامعة القدس المفتوحة/فلسطين

E-mail: ishindi@qou.edu

الملخص:

هدف البحث الحالي دراسة تعليمات سلطة النقد الفلسطينية النّاطمة لعمل المصارف الإسلامية العاملة في فلسطين، من خلال حصرها من مظاهرها واستعراضها وتحليلها وتقويمها، لمعرفة مدى كفايتها في مجالها، وحاجتها إلى التطوير، واقتراح الآليات الكفيلة بتطويرها؛ خدمة للصيرفة الإسلامية، التي أصبحت جزءاً مهماً من النهضة الحديثة الشاملة للأمة الإسلامية، حيث يشهد العالم المعاصر انتشاراً واسعاً للمصارف الإسلامية، التي ما تزال تنمو وتتطور سريعاً، وتشق طريقها بقوة واقتدار في معظم دول العالم، على الرغم من قصر عمرها، وحداثة تجربتها، والمنافسة التي تواجهها من المصارف التقليدية، وإثارة الشبهات حولها، باعتبارها البديل الشرعي للمعاملات الربوية المحظورة التي تمارسها المصارف التقليدية.

وقد انبنى هذا البحث من ثلاثة مباحث وخاتمة، كان المبحث الأول في التعريف بسلطة النقد الفلسطينية وتطورها، والثاني في التعريف بالمصارف الإسلامية العاملة في فلسطين وتطورها، والثالث في تحليل وتقويم تعليمات سلطة النقد الفلسطينية النّاطمة لعمل المصارف الإسلامية العاملة في فلسطين. وفي سبيل معالجة مفردات هذا الموضوع والوصول إلى النتائج المرجوة منه، استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، من خلال حشد الأدبيات التي تخدم موضوع البحث، واستعراض تعليمات سلطة النقد الفلسطينية ذات الصلة، وتحليلها، وتقويمها، ومراجعة المختصين في الصيرفة وعمل المصارف الإسلامية، وأعضاء من هيئات الرقابة الشرعية في المصارف الإسلامية الفلسطينية السابقين والحاليين، والإفادة من ذلك كله في الوصول إلى الآليات الكفيلة بتطويرها، سعياً للحفاظ على هوية هذه المصارف وخصوصيتها واستقلالها.

الكلمات المفتاحية: تعليمات، سلطة النقد الفلسطينية، المصارف الإسلامية.

Abstract:

The current research has aimed to study the instructions of the Palestinian Monetary Authority regulating the works of the Islamic banks active in Palestine, limiting them to their sources, by demonstrating, analyzing and evaluating them, in order to measure the extent of sufficiency for the purpose thereof and whether they are in need of further development or not. The research, therefore, also seeks to suggest efficient mechanisms for their development –in service to Islamic Banking, which has become an essential part of the overall development and upheaval of the Muslim Ummah, as currently the world is witnessing a wide spread of Islamic banks which are still growing and evolving fast, striking their path in many countries – regardless of their fairly recent experience and young age, taking into consideration the competition they face from other traditional banks, and the stirring of misconceptions concerning them, as the legal, from a jurisprudential perspective, alternative to interest-based transactions carried out by traditional banks.

As such, this research has come to be comprised of three sections followed by a conclusion at the very end. The first section has sought to shed light on the Palestinian Monetary Authority and its evolution; the second has come to introduce the Islamic banks that are active in Palestine and the evolution thereof; and the third has sought to examine the instructions of the Palestinian Monetary Authority that are responsible for regulating the works of the Islamic banks that are active in Palestine. However, to deal with the topic at hand and arrive at the desired results, the author has sought to employ the descriptive and analytical method in examining relevant literature and reviewing the instructions of the Palestinian Monetary Authority, analyzing and evaluating them while borrowing from banking experts and those of expertise in the works of Islamic banks and members of oversight committees, both former and current, in Palestinian Islamic banks with the aim of benefiting from that for the sake of obtaining efficient mechanisms for their development in order to preserve the identity, singularity and independence of these banks.

Key words: instructions, Palestinian Monetary Authority, Islamic banks.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد: فهذا بحثٌ علميٌّ يعرض فيه الباحثُ موضوعًا مُلحًا بعنوان:

"تعليماتُ سلطةِ النقدِ الفلسطينيةِ النّاطمةُ لِعملِ المصارفِ الإسلاميةِ العاملةِ
في فلسطين -دراسةٌ تحليليةٌ تقويميةٌ"

انتشرت الصيرفة الإسلامية في كثير من البلاد العربية والإسلامية، بل والعالم أيضًا، وصارت جزءًا مهمًا من النهضة الحديثة الشاملة للأمة الإسلامية، وهي البديل الشرعي للمعاملات الربوية المحظورة، التي تمارسها المصارف التقليدية، وقد دخلت الصيرفة الإسلامية إلى الأراضي الفلسطينية منذ ما يقرب من ستة وعشرين عامًا، وصار لها حضورٌ قوي لدى الجمهور الفلسطيني. ولما كانت المصارف الإسلامية لها خصوصيتها الشرعية، صارت الحاجة ماسة إلى وضع الأسس والضوابط التي تنظم عملها وتضبطه، وتحافظ على وضعها الإسلامي، وقد قامت سلطة النقد الفلسطينية بإصدار جملة من التعليمات في هذا الصدد.

يسعى الباحث من خلال هذا البحث إلى جمع هذه التعليمات وحصرها من مظائنها، ودراستها وتحليلها وتقويمها؛ في ضوء متابعتها للصيرفة الإسلامية، واهتمامه الخاص بالمصارف الإسلامية الفلسطينية في واقعها الراهن، مع الاستفادة من خبراء الصيرفة والمصارف الإسلامية الفلسطينية، والرقابة الشرعية عليها، ممن يعايشون واقعها عن قرب؛ للتعرف على مدى كفايتها لتنظيم عمل المصارف الإسلامية الفلسطينية، ومدى حاجتها للتطوير، حرصًا على خصوصيتها واستقلالها في ظلّ الواقع الذي تحياه الأراضي الفلسطينية.

مشكلة البحث:

تتجلى مشكلة البحث الحالي في الحاجة الملحة لحشد تعليمات سلطة النقد الفلسطينية الحالية الناطمة لعمل المصارف الإسلامية العاملة في فلسطين، وتحليلها وتقويمها، بغية الوقوف على مدى كفايتها، واقتراح الآليات الكفيلة بتطويرها، وتبصير ذوي الشأن بها؛ خدمة للصيرفة الإسلامية، والحفاظ على هوية المصارف الإسلامية الفلسطينية، وخصوصية أعمالها واستقلالها، وفي الجملة فإن البحث يجيب على الأسئلة المهمة الآتية:

١. متى نشأت سلطة النقد الفلسطينية وتطوّرت؟
٢. متى نشأت المصارف الإسلامية الفلسطينية وتطوّرت؟
٣. ما مدى كفاية تعليمات سلطة النقد الفلسطينية النّاطمة لعمل المصارف الإسلامية الفلسطينية وحاجتها للتّطوير؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى التعرّف بتعليمات سلطة النقد الفلسطينية النّاطمة لعمل المصارف الإسلامية العاملة في فلسطين؛ قصد تحليلها وتقويمها؛ للتعرّف إلى مدى كفايتها لتنظيم عمل المصارف الإسلامية الفلسطينية، وسعيًا لاقتراح الآليات الكفيلة بتطويرها، وذلك من خلال عرض المفاهيم والموضوعات التالية:

١. نشأة سلطة النقد الفلسطينية وتطوّرها.
٢. نشأة المصارف الإسلامية الفلسطينية وتطوّرها.
٣. مدى كفاية تعليمات سلطة النقد الفلسطينية النّاطمة لعمل المصارف الإسلامية الفلسطينية وحاجتها للتّطوير.

أهمية البحث:

لعلّ الأهمية الماثلة لهذا البحث تنبع من أهمية الموضوع المطروح فيه للبحث والدّرس، في الحاجة الملحة إلى التعرّف إلى تعليمات سلطة النقد الفلسطينية النّاطمة لعمل المصارف الإسلامية العاملة في الأراضي الفلسطينية، ودراستها وتحليل واقعها وتقويمها، بغية إدراك مدى كفايتها، وحاجتها للتّطوير، واقتراح الآليات الكفيلة بذلك، ووضع ذلك كلّ بين أيدي ذوي الشأن، خدمة للصّيرفة الإسلامية، وإسهامًا في الحفاظ على هويّة المصارف الإسلامية الفلسطينية، وتعزيز استقلالها.

الدراسات السابقة:

لم يعثر الباحث بعد البحث والتنقيب على دراسة علمية تناولت تعليمات سلطة النقد الفلسطينية الخاصة بالمصارف الإسلامية بالدّرس والتحليل على نحو منفرد، مما يعني أن الحاجة قائمة إلى دراستها، وتحليلها، وتقويمها، والوقوف على مدى كفايتها للمصارف الإسلامية الفلسطينية، في ظلّ الواقع الذي هي فيه، وإدراك مدى حاجتها إلى التّطوير، واقتراح الآليات اللازمة للنّهوض بها وتطويرها.

منهج البحث:

لأجل معالجة مفردات هذا البحث، والوصول إلى النتائج المرجوة منه، استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، القائم على حشد الأدبيات ذات الصلة بموضوع البحث، ورصد تعليمات سلطة النقد الفلسطينية للمصارف الإسلامية ودراساتها وتحليلها وتقييمها، وإجراء المقابلات مع خبراء المالية الإسلامية، والمعنيين بالعمل المصرفي الإسلامي والرقابة الشرعية في فلسطين، للوقوف على وضعها الحالي، ومدى كفايتها، واقتراح الآليات الكفيلة بتطويرها، لتبقى السياج الحامي من انزلاق العمل المصرفي الإسلامي في فلسطين إلى المحذور.

حدود البحث:

الحد الموضوعي لهذا البحث اقتصره على جمع تعليمات سلطة النقد الفلسطينية الناطمة لعمل المصارف الإسلامية العاملة في الأراضي الفلسطينية، ودراساتها وتحليلها وتقييمها؛ بغرض التعرف على مدى كفايتها، سعياً لاقتراح الآليات الكفيلة بتطويرها، وحشد الأدبيات العلمية الأخرى ذات الصلة، وإجراء المقابلات مع المعنيين بالصيرفة والمصارف الإسلامية والرقابة الشرعية في فلسطين، ممن يعيشون الواقع المصرفي، والإفادة من ذلك كله في تكوين المحتوى العلمي الذي يقوم عليه البحث؛ خدمة للصيرفة الإسلامية عموماً، والمصارف الإسلامية الفلسطينية على وجه الخصوص، وإسهاماً في المحافظة على خصوصيتها واستقلالها. أما الحد الزمني، فهو من تاريخ صدور تعليمات سلطة النقد المتعلقة بالمصارف الإسلامية الفلسطينية، وحتى منتصف العام الحالي ٢٠٢٣م.

خطة البحث:

يقوم هذا البحث على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، على النحو التالي:

المقدمة، وتضمنت مشكلة البحث، وأهدافه، وأهميته، ومنهج البحث، وحدوده، وخطته، وقد جعلها الباحث في ثلاثة مباحث وخاتمة، على النحو التالي:

المبحث الأول: التعريف بسلطة النقد الفلسطينية وتطورها.

المبحث الثاني: التعريف بالمصارف الإسلامية الفلسطينية وتطورها.

المبحث الثالث: تحليل وتقييم تعليمات سلطة النقد الفلسطينية النّاطمة لعمل المصارف الإسلامية العاملة في فلسطين.

الخاتمة: وتضمنت النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

التعريف بسلطة النقد الفلسطينية وتطورها

المطلب الأول: تعريف سلطة النقد الفلسطينية ونشأتها وأهدافها

تعرف سلطة النقد الفلسطينية نفسها بأنها مؤسسة عامة مستقلة، مسؤولة عن رسم وتنفيذ السياسات النقدية والمصرفية في فلسطين؛ لضمان سلامة القطاع المصرفي، ونمو الاقتصاد المحلي بشكل متوازن، في ظلّ عدم وجود بنك مركزي في فلسطين، وقد تأسست سلطة النقد الفلسطينية في العام ١٩٩٤م، بعد إنشاء السلطة الوطنية ودخولها إلى الأراضي الفلسطينية (سلطة النقد، ٢٠٢٣)، وذلك بموجب مرسوم رئاسي رقم (١٨٤) (سلطة النقد، ٢٠٢٣؛ المقتفي، ٢٠٢٣)، وفي العام ١٩٩٧م أصدر المجلس التشريعي الفلسطيني القانون رقم (٢) الذي يدعم وجود سلطة النقد الفلسطينية (المجلس التشريعي الفلسطيني، ٢٠٢٣)، ويحدّد استقلاليتها، ويساعد على ضمان سلامة العمل المصرفي، ويسعى للحفاظ على الاستقرار النقدي وتشجيع النمو الاقتصادي في فلسطين، إضافة إلى قانون المصارف رقم (٩) لعام ٢٠١٠م (سلطة النقد، ٢٠٢٣؛ وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية وفا، ٢٠٢٣).

وهي تهدف بشكل أساسي المحافظة على الاستقرار النقدي والمالي في الأراضي الفلسطينية، وتعزيز النمو الاقتصادي المستدام، من خلال التنظيم الفعال والشفاف، والإشراف على المصارف، ومؤسسات الإقراض المتخصصة، والصّرافين، وشركات وخدمات الدّفع العاملة في فلسطين، والإشراف على تنفيذ وتشغيل نظم المدفوعات الحديثة بكفاءة عالية، ورسم وتنفيذ السياسة النقدية؛ بهدف تحقيق الاستقرار النقدي في فلسطين (سلطة النقد، ٢٠٢٣).

المطلب الثاني: تطوّر سلطة النقد الفلسطينية

على الرّغم من البيئة الصّعبة وغير الصّحيّة التي نشأت فيها سلطة النقد الفلسطينية؛ نتيجة الاحتلال الإسرائيلي وممارساته الضّاغطة على الوضع الفلسطيني برّمته، فقد استطاعت أن تنمو وتتطور بشكل سريع،

وهي تمارس المهام الموكلة إليها بخطى مدروسة، حرصاً منها على ضبط الوضع المالي والاقتصادي في فلسطين، وقامت بتوقيع عديد مذكرات التفاهم مع بنوك عربية ودولية في المجالات المختلفة المشتركة؛ كالبنك المركزي التونسي، والبنك المركزي العراقي، وبنك المغرب، وبنك الجزائر، ومصرف البحرين المركزي، والبنك المركزي المصري، والبنك المركزي الأردني، والبنك المركزي السعودي، ووزارة التطوير والتخطيط البوليفي، والبنك المركزي البوليفي (سلطة النقد، ٢٠٢٣).

وقد عملت سلطة النقد الفلسطينية -في مراحل تطورها- على تحقيق كثير من الإنجازات التي تخدم الوضع الاقتصادي الفلسطيني، فقامت بإصدار عديد القوانين والتعليمات الناطمة للعمل المصرفي والمالي في فلسطين، ففي العام ٢٠٠٧م تم إصدار قانون مكافحة غسل الأموال، وما بين الأعوام ٢٠٠٨-٢٠١٠م، تم إطلاق نظام المعلومات الائتماني، وتم الحصول على مرسوم رئاسي (بقانون) بشأن ترخيص ومراقبة مهنة الصرافة في فلسطين، كما تم إنشاء نظام المدفوعات الوطني، وصدر قانون المصارف، وإطلاق نظام الشيكات المعادة (نشام)، وفي العام ٢٠١١م تم إنشاء دائرة انضباط السوق، وقاعة استقبال الجمهور، وإطلاق نظام التسوية الإجمالي (براق)، وصدر مرسوم رئاسي (بقانون) بترخيص ومراقبة مؤسسات الإقراض المتخصصة، وما بين الأعوام ٢٠١٢م-٢٠١٤م تم إطلاق برنامج حساب أساسي لكل مواطن، وصدر قانون تسوية المدفوعات الوطني، وإطلاق رقم الحساب المصرفي الدولي (الايان)، وإنشاء المؤسسة الفلسطينية لضمان الودائع، وإطلاق نظام المقاصة الآلي، وإطلاق المفتاح العام للبنية التحتية، وفي العام ٢٠١٥م تم إطلاق نظام المفتاح الوطني (١٩٤)، وإطلاق نظام إدارة المعلومات الخاصة بسلطة النقد (MIS)، وإطلاق نظام إدارة المعلومات الجغرافية الخاصة بسلطة النقد (GIS)، وإصدار القانون رقم (٢٠) بشأن مكافحة غسل الأموال وتمويل الإرهاب، وإصدار مرسوم رئاسي رقم (١٤) بشأن تنفيذ قرارات مجلس الأمن، وفي العام ٢٠١٦م تم إصدار قرار رقم (١٤) بنظام بشأن ترخيص ورقابة مهنة الصرافة، وفي العام ٢٠١٧م تم إطلاق النسخة الثانية (Version 11) من نظام الشيكات المعادة، ونظم التقارير الائتمانية والتسويات الرضائية والشيكات الموقوفة والمفقودة، وتم التوقيع على عديد مذكرات التفاهم مع شركات القطاع الخاص لتزويدها بخدمة نظام الاستعلام الائتماني الموحد، كما تم توقيع عديد مذكرات التفاهم مع الجامعات الفلسطينية للتعاون المشترك في مجال النوعية المالية والمصرفية، وفي العام ٢٠١٨م أحرزت سلطة النقد

الفلسطينية تقدّمًا كبيرًا في الترتيب العالمي لنظام المعلومات الائتماني للسلطة في بند سهولة الوصول للائتمان، وفقًا لتقرير مناخ العمال السنوي ٢٠١٨م، الصّادر عن البنك الدولي، لتصبح في المرتبة ٢٠ بعد أن كانت في المرتبة ١١٨ في العام ٢٠١٧م، وتمّ إطلاق الاستراتيجية الوطنية للشّمول المالي في فلسطين، وفي شهر تمّوز من العام ٢٠١٩م انضمت سلطة النقد الفلسطينية لعضوية مجموعة العمل الدولية للمخاطر التشغيلية للبنوك المركزية، وبدأت بترخيص شركات لخدمات المدفوعات الإلكترونية، وفي العام ٢٠٢٠م تمّ ترخيص شركات دفع إلكتروني، وإطلاق المحفظة الإلكترونية، وإطلاق برنامج استدامة، وفي العام ٢٠٢١م تمّ تشغيل المقاصة الإلكترونية، وإطلاق منصّة (منشآت)، وفي العام ٢٠٢٢م تمّ إطلاق خدمة حركات نقاط البيع، من خلال نظام المفتاح الوطني (١٩٤)، وإطلاق المختبر التنظيمي لاختبار الحلول المبتكرة في مجال التكنولوجيا المالية، وإطلاق برنامج تعزيز دور المرأة في قطاع الإقراض المتخصّص بالتعاون مع (شراكة) ومجموعة البنك الدولي (سلطة النقد، ٢٠٢٣). وهي تقوم بعمل إصدارات كثيرة ومتنوعة؛ كالتقارير السنوية، وتقارير الاستقرار المالي، وتقارير التنبؤات الاقتصادية، والتقارير الربعيّة؛ كتقارير التّطورات الاقتصادية، وتقارير التنبؤات الاقتصادية، وتقارير استدامة الحساب الجاري، وتقارير التّضخّم، وتقارير التّطورات النقدية والمصرفية، وتقارير التّطورات المالية العامّة والدّين الحكومي، والمراقب الاقتصادي، والنشرات الإحصائية الربعيّة، ومؤشرات أسعار العقارات، إضافة إلى التقارير الشهرية؛ كمؤشرات سلطة النقد لدورة الأعمال، والبيانات الشهرية، والفعاليات السنوية؛ كالأُسبوع المصرفي للأطفال والشباب، واليوم العربي للشّمول المالي (سلطة النقد، ٢٠٢٣).

وقد حصلت سلطة النقد الفلسطينية إثر ما سبق على عديد الجوائز، من ذلك: حصولها في العام ٢٠١٤م على جائزة دولية عن أفضل فعالية للتوعية المالية في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وحصولها في العام ٢٠١٦م على الجائزة العالمية "SAG AWARD" في مجال نظم المعلومات، وشهادة الامتثال (DSS-PCI) للمعايير الخاصة بأمن معلومات بطاقات الدّفع، وإشادة من البنك الدولي بدور سلطة النقد الفلسطينية في إدارة وتنظيم القطاع المصرفي، وبخاصّة في ظلّ الأزمات، كما حصلت في العام ٢٠١٨م على جائزة دولية عن أفضل فعالية للتوعية المالية في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وتمّ تكريم معالي محافظ سلطة النقد بجائزة وسام الاتحاد الذهبي للإنجاز من اتحاد المصارف العربية (سلطة النقد، ٢٠٢٣).

المبحث الثاني

التعريف بالمصارف الإسلامية الفلسطينية وتطورها

تأخر دخول المصارف الإسلامية إلى الأراضي الفلسطينية ما يقرب العقدين من الزمان، بسبب سياسات الاحتلال الإسرائيلي البغيض وظلمه، فقد اغتصب الأرض، وهجر الأهل، وظلّ يتحكم في جميع مفاصل الحياة الفلسطينية، ومن ضمنها الاقتصاد، فقد وقع القسم الأكبر من الأرض الفلسطينية تحت الهيمنة الصهيونية الكاملة في نكبة عام ١٩٤٨م، ولم يبق منها إلا الجزء القليل الذي يُطلق عليه الضفة الغربية وقطاع غزة، حيث لم تتجاوز مساحته ٢٢% من مساحة فلسطين التاريخية البالغة ٢٧٠٠٠ كم، حيث بقيت الضفة الغربية تحت الحكم الأردني، وقطاع غزة تحت الحكم المصري، حتى وقعت النكبة الثانية في العام ١٩٦٧م، فأصبحت فلسطين كلها تحت حكم الاحتلال الإسرائيلي وجبروته، وسيطرت بنوك الاحتلال على جميع مجالات الاقتصاد الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة، من خلال البنك المركزي الإسرائيلي، وبعض البنوك الكبرى الأخرى، كبنك (هيوغليم)، وبنك (ليئومي)، وبنك (ديسكونت)، كما عملت حكومة الاحتلال على فصل الشعب الفلسطيني عن محيطه العربي والإسلامي، وربطت مصالحه بشكل مباشر مع نظامها الاقتصادي، وبقي الأمر كذلك إلى أن جاء اتفاق (أوسلو) في العام ١٩٩٣م، حيث فتحت بعض البنوك التقليدية في المدن الفلسطينية الكبرى؛ كبنك القاهرة عمان، والبنك الأهلي المصري، والبنك العربي (المسالمة، ٢٠٠٩). ومع قدوم السلطة الوطنية الفلسطينية، توالى البنوك التقليدية الأخرى في الضفة الغربية وقطاع غزة بالانتشار؛ كبنك فلسطين، وبنك القدس، وبنك الأردن، وبنك الاستثمار الفلسطيني، والبنك الوطني، والبنك الأهلي الأردني، وغيرها. ومنذ العام ١٩٩٥م بدأت بعض المصارف الإسلامية بالانتشار؛ كبنك القاهرة عمان للمعاملات الإسلامية، ثم البنك الإسلامي العربي في العام ١٩٩٦م، ثم البنك الإسلامي الفلسطيني في العام ١٩٩٧م، ثم بنك الأقصى الإسلامي في العام ١٩٩٩م، ثم بنك الصفا في العام ٢٠١٦م (المسالمة، ٢٠٠٩؛ سلطة النقد، ٢٠٢٣)، وقد قام البنك الإسلامي الفلسطيني بشراء أصول بنك القاهرة عمان للمعاملات الإسلامية في ١٣/٥/٢٠٠٥م، وأصول بنك الأقصى في أواخر شهر آذار من العام ٢٠١٠م، لتبقى ثلاثة مصارف إسلامية تعمل في الأراضي الفلسطينية في الوقت الحالي، وهي: البنك الإسلامي العربي، والبنك الإسلامي الفلسطيني، وبنك الصفا.

وقد لاقى افتتاح المصارف الإسلامية في الأراضي الفلسطينية القبول لدى الشعب الفلسطيني عمومًا (المسألة، ٢٠٠٩)، كونها تعمل وفق أحكام الشريعة الإسلامية الغراء، التي يدين بها السواد الأعظم من أبناء الشعب الفلسطيني، بل إن بعضًا من المواطنين النصارى قد اتجه أيضًا للتعامل مع تلك المصارف (المسألة، ٢٠٠٩؛ شندي، ٢٠٢١).

وقد نمت هذه المصارف وتطوّرت لتصل حصّتها من السوق المصرفي الفلسطيني حتى نهاية العام ٢٠٢٢م، إلى ما يقرب 17% (البنك الإسلامي العربي، ٢٠٢٢)، وتشير الدراسات إلى أن المصارف الإسلامية الفلسطينية من الممكن أن تستحوذ في فترة زمنية قصيرة على ٢٥% من إجمالي القطاع المصرفي الفلسطيني (البنك الإسلامي العربي، ٢٠٢٢). وفيما يلي تعريف موجز بالمصارف الإسلامية الثلاثة العاملة في فلسطين:

أولاً: البنك الإسلامي العربي: تأسس البنك الإسلامي العربي كشركة مساهمة عامة محدودة، تحت رقم (٥٦٣٢٠١٠١١)، وذلك بتاريخ: ١٩٩٥/١/٨م، بموجب قانون الشركات لسنة ١٩٢٩م وتعديلاته، وقد باشر نشاطه المصرفي في مطلع العام ١٩٩٦م، بعد حصوله على ترخيص من سلطة النقد الفلسطينية بمزاولة أعماله المصرفية وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية، وهو يقوم بممارسة الأعمال المصرفية والمالية والتجارية والاستثمار، وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية الغراء، برأس مال مصرّح به ومقداره خمسة وسبعون مليون دولار (٧٥٠٠٠٠٠٠)، وبطاقم مكوّن من ٦٨٥ موظفًا، ومن خلال المركز الرئيسي بمدينة البيرة، وفروعه الأخرى المنتشرة في الأراضي الفلسطينية، بالإضافة إلى المكتب التمثيلي في الإمارات العربية المتحدة (إمارة دبي)، والفرع المتنقل "بنكي ع الطريق"، ليصل عدد فروعه إلى واحد وثلاثين فرعاً ومكتباً، بالإضافة إلى ٦٣ من الصّرافات الآلية المنتشرة في كافّة المحافظات الفلسطينية (البنك الإسلامي العربي، ٢٠٢٢).

يسعى البنك الإسلامي العربي -وفق ما ورد في التقارير الصادرة عنه وكذا من موقعه الإلكتروني- إلى العمل على تلبية الاحتياجات المصرفية المتنوعة للجمهور، وفق أحكام الشريعة الإسلامية الغراء، والتي تضاهي متطلّباتهم وتوقعاتهم أو تفوقها، بما يضمن تحقيق أفضل العوائد الممكنة للمساهمين والمودعين، على أساس يتسم بالثبات والاستقرار، بالإضافة إلى تقديم خدمات مصرفية إسلامية باستخدام وسائل التكنولوجيا والاتصالات الحديثة، استجابة لمتطلّبات التطوّر والإبداع والمنافسة، وتنوّع رغبات العملاء،

واستخدام أحدث التقنيات المتاحة وتطبيق المعايير المهنية (البنك الإسلامي العربي، ٢٠٢٢، ٢٠٢٣). كما يسعى البنك إلى ترسيخ وتعميق العمل بالنظام المصرفي الإسلامي كخيار أول، أضف إلى ذلك القيام بدور فعال في النهوض بالاقتصاد الفلسطيني، وتحقيق مبدأ التكافل، ومراعاة الأهداف الاجتماعية الإسلامية، وتقديم حلول وخدمات مصرفية إسلامية عصرية، وذات جودة عالية ومنافسة (البنك الإسلامي العربي، ٢٠٢١، ٢٠٢٢)، والسعي إلى الحفاظ على الهوية المصرفية الإسلامية والتأكيد عليها، وتعزيز الشمول المالي، والحرص على تمويل الأفراد والمشاريع الصغيرة والمتناهية الصغر، وتعزيز دوره في المسؤولية المجتمعية (البنك الإسلامي العربي، ٢٠٢١، ٢٠٢٢)، وتبلغ حصة البنك السوقية من القطاع المصرفي الفلسطيني ٨% في جانب الأصول من إجمالي القطاع المصرفي (البنك الإسلامي العربي، ٢٠٢٢).

ثانياً: البنك الإسلامي الفلسطيني: تأسس البنك الإسلامي الفلسطيني كشركة مساهمة عمومية محدودة، تحت رقم (٥٦٣٢٠٠٩٢٢) بتاريخ: ١٦/١٢/١٩٩٥م وذلك بموجب قانون الشركات لسنة ١٩٢٩م وتعديلاته، وبدأ نشاطه المصرفي في مطلع العام ١٩٩٧م، بعد حصوله على ترخيص من سلطة النقد الفلسطينية بمزاولة جميع الأعمال المصرفية وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية الغراء، وذلك بتاريخ: ١٥/٥/١٩٩٧م (البنك الإسلامي الفلسطيني، ٢٠٢٣).

يُعتبر البنك الإسلامي الفلسطيني من أكبر المؤسسات المصرفية العاملة في فلسطين، وأكبر مؤسسة مصرفية إسلامية تعمل وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية، إذ بلغ رأس ماله المصرّح به إلى نهاية العام ٢٠٢٢م، مئة مليون دولار، وعدد موظفيه (٦٩٢) موظفاً، وهو يقدم جميع الأعمال المصرفية والمالية والتجارية وأعمال الاستثمار من خلال مقره الرئيس في مدينة رام الله، وفروعه الأخرى المنتشرة في كافة محافظات الوطن، وعددها ٤٣ فرعاً ومكتباً، إضافة إلى شبكة من أجهزة الصرافات الآلية الواسعة، التي وصل عددها إلى تسعة وتسعين (البنك الإسلامي الفلسطيني، ٢٠٢٢، ٢٠٢٣)، وقد نما هذا البنك وتطور بشكل سريع، فهو يمتلك شبكة واسعة من الفروع والمكاتب التي غطت جميع محافظات الضفة الغربية وقطاع غزة، حيث بلغت أربعة وأربعين فرعاً ومكتباً حتى نهاية العام ٢٠٢١م، ومن أهم أهدافه: تقديم ونشر الخدمات المصرفية الإسلامية المتميزة، وتنمية وتطوير وجذب كوادر بشرية متميزة، والإسهام في التنمية

الاجتماعية والاقتصادية المستدامة، وتعظيم العائد وتحقيق أرباح مُجزئة (البنك الإسلامي الفلسطيني، ٢٠٢٢، ٢٠٢٣).

ثالثاً: بنك الصفا:

تأسس مصرف الصفا كشركة مساهمة عامة، تحت رقم (٥٦٢٦٠١٤٢٧)، بتاريخ: ٢٤/١/٢٠١٦م، بموجب قانون الشركات لسنة ١٩٢٩م وتعديلاته، وقد قام على تأسيسه مجموعة من الشركات والمؤسسات الكبيرة والشخصيات الاعتبارية المرموقة، وبدأ بمباشرة أعماله المصرفية بتاريخ: ٢٢/٩/٢٠١٦م، كمؤسسة مصرفية تعمل وفق أحكام الشريعة الإسلامية الغراء، وبرأس مال مقداره خمسة وسبعون مليون دولار (٧٥٠٠٠٠٠٠)، وقد بلغ عدد الموظفين في هذا المصرف حوالي (١٧٦) موظفاً حتى لحظة إعداد هذا البحث، ويقوم هذا المصرف -وفق ما ورد في موقعه الإلكتروني- بالعمل على تلبية احتياجات السوق الفلسطيني من الخدمات والمنتجات المصرفية الإسلامية، بعيداً عن الفائدة في جميع صورها وأشكالها، كما يقوم بممارسة أعمال التمويل والاستثمار وتطوير وسائل اجتذاب الأموال والمذخرات نحو المشاركة في الاستثمار المنتج، بأساليب ووسائل مصرفية لا تتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية الغراء، وهو ينتشر في عدد من المدن الفلسطينية عبر فروع ومكاتب وصلت إلى تسعة، وعدد من الصّرافات الآلية (بنك الصفا، ٢٠٢١، ٢٠٢٣).

المبحث الثالث

تحليل وتقويم تعليمات سلطة النقد الفلسطينية النّاطمة لعمل

المصارف الإسلامية العاملة في فلسطين

تسعى سلطة النقد الفلسطينية -منذ نشأتها- إلى تنظيم العمل المالي والمصرفي في فلسطين، وهي لا تتأخر جهداً في أن تقدّم كلّ ما يمكنها فعله في هذا المجال، وهناك عديدُ التّعليمات التي أصدرتها وما زالت تصدرها فيما يتعلّق بالمصارف العاملة في فلسطين، بما في ذلك المصارف الإسلامية، وبخاصّة في القضايا الإدارية والتنظيمية، مما تشترك فيه المصارف الإسلامية مع المصارف التقليدية (الرّبوية)، وسوف يخصّص هذا المبحثُ للتعليمات المتعلّقة بالمصارف الإسلامية على وجه الخصوص، بغية دراستها وتحليلها وتقويمها؛ وفق متابعة وخبرة الباحث في هذا الشأن، والاستعانة بخبراء ومتابعي المالية الإسلامية والعمل المصرفي الإسلامي والرقابة الشرعية في فلسطين؛ للوقوف على مدى كفايتها لخصوصية واقع عمل

المصارف الإسلامية الفلسطينية، وحاجتها إلى التطوير. وبالرجوع إلى أرشيف سلطة النقد الفلسطينية وموقعها الإلكتروني وجد الباحث أن هناك عددًا من التعليمات التي صدرت في شأن المصارف الإسلامية الفلسطينية، ارتأى تقسيمها إلى ثلاثة مطالب، وعرض ما يلزم من مادتها -نصًا- لإعطاء الصورة الواضحة عنها، ثم بيان الرأي فيها، كما يلي:

المطلب الأول: التعليمات المتعلقة بعمل المصارف الإسلامية

جاءت تحت رقم (٢٠١٣/٥)، بتاريخ ٢٠/٣/٢٠١٣م، وتشمل الموضوعات الآتية (سلطة النقد الفلسطينية، ٢٠٢٣):

أولاً: أنشطة وأعمال المصارف الإسلامية: افتتحت بالجملة الآتية: "تمارس المصارف الإسلامية جميع أعمالها وأنشطتها وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية ومبادئها، ولما تعتمده هيئة الرقابة الشرعية في المصرف" (سلطة النقد الفلسطينية، ٢٠٢٣، ٢٠١٣/٥: ٢)، وفي سياق تنظيم أنشطة المصارف الإسلامية وأعمالها، وجد الباحث أن تعليمات سلطة النقد الفلسطينية قد نصت على عديد الأعمال والأنشطة التي يمكن للمصارف الإسلامية الفلسطينية ممارستها؛ كقبول الودائع بجميع أنواعها، سواء كانت بعوائد أو بدونها، وتقديم التمويل الإسلامي بكافة أنواعه وأشكاله، والإجارة، والإجارة المنتهية بالتملك، وبيع وشراء أدوات السوق النقدية لحسابها الخاص أو لحساب العملاء، وتقديم خدمات المقاصة والتسوية والتحصيل، وتحويل الأموال وأدوات الدفع، وبيع وشراء العملات الأجنبية، وإصدار وإدارة وسائل الدفع والشيكات بجميع أنواعها، وتقديم خدمات الحفظ الأمين، وإدارة المقتنيات الثمينة، بما في ذلك الأوراق المالية، شريطة الحصول على إذن الجهات الرقابية المختصة، وتقديم الخدمات باعتبارها مديراً لمحفظة استثمارية أو مرشداً ووكيلاً مالياً أو مستشاراً، وتقديم خدمات الاستشارات المصرفية الإسلامية للعملاء، وتقديم خدمات التكافل الإسلامي (التأمين المصرفي الإسلامي)، كوكيل بموافقة سلطة النقد، وتقديم خدمات المعلومات المالية، وخدمات الصيرفة الإلكترونية، وإدارة عمليات الاكتتاب لمصالح الغير بموافقة سلطة النقد، والقيام بدور الوكيل الأمين في مجال الخدمات الاجتماعية، وتقديم القروض الحسنة، وإدارة الصناديق المخصصة للغايات الاجتماعية، والقيام بدور الوصي لإدارة التركات وتنفيذ الوصايا وفقاً للأحكام الشرعية، وتأسيس الشركات في مختلف المجالات، وبخاصة ما يلزم منها للأنشطة المصرفية الإسلامية، شريطة الحصول على موافقة خطية مسبقة من سلطة

النقد، وتملك العقارات والملكيّات وبيعها واستثمارها وتأجيرها، بما في ذلك استصلاح الأراضي المملوكة أو المستأجرة بعد موافقة سلطة النقد، وإنشاء صناديق خاصة للحماية من المخاطر لصالح المصرف الإسلامي أو عملائه، بموافقة سلطة النقد، وإصدار وتداول الصّكوك أو أية أدوات مالية إسلامية أخرى بشرط الموافقة من قبل سلطة النقد والجهات الرقابية المختصة، وفتحت المجال للمصارف الإسلامية لممارسة أية أعمال أخرى تتوافق مع أحكام الشريعة الإسلامية ومبادئها بعد موافقة خطية من سلطة النقد.

الرأي: تعليمات سلطة النقد الفلسطينية فيما سبق كافية ومناسبة في مجالها (السرطاوي، ٢٠٢٣؛ رزية، ٢٠٢٣)، أضاف إلى ذلك أنها واضحة وصريحة في الحرص على تفعيل المصارف الإسلامية الفلسطينية للقيام بأنشطتها وأعمالها؛ مع فتح المجال للبعد الاستثماري والإنتاجي والتنمية المستدامة؛ سعيًا لتعزيز دورها الريادي خدمة للجمهور الفلسطيني، وتنظيم ذلك كله بما يتفق وأحكام الشريعة الإسلامية الغراء، وهي تعطي مساحات واسعة للمصارف في العمل والاستثمار، بما يعود بالنفع والعوائد المجزية على جميع الأطراف، مع حرص واضح على مراعاة خصوصية هذه المصارف واستقلالها وانضباطها بالأحكام الشرعية، ولئلا يقع الطغيان أو التعسف على جمهور المتعاملين، كانت الحاجة ملحة لوضع آليات تعمل على إحداث التوازن بين المصارف والجمهور فيما يتعلّق بالمنتجات والعقود المختلفة، وقد قامت سلطة النقد -حديثًا- بإنشاء دائرة حماية المستهلك؛ تسعى من خلالها على إحداث التوازن المطلوب (السرطاوي، ٢٠٢٣).

ثانيًا: ضوابط التمويل: نصّت تعليمات سلطة النقد الفلسطينية على أنه يتوجّب على كلّ مصرف أن يضع سياسة واضحة للتمويل، بحيث تتضمن إجراءات وصلاحيّات وضوابط ومهامّ منح وتجديد التمويل، ومتابعته وتقييم وإدارة مخاطره، واعتمادها من مجلس إدارة المصرف، على أن تتضمن سياسة التمويل الترويج لمختلف صيغ التمويل الإسلامية، بما يتوافق مع طبيعة وأهداف المصرف الإسلامي، ومساهمة في التنمية الاقتصادية، وطالبت المصارف الإسلامية كذلك بعدم كشف حسابات عملائها الجارية إلّا بصفة مؤقتة، ووفق ضوابط ومعايير محدّدة معتمدة من هيئة الرقابة الشرعية، ومنعت من استيفاء أية أرباح على عمليات كشف الحساب، وضبطت استثمارات المصرف في صيغ التمويل الدوليّة من مرابحات واستصناع وإجارة وسلّم بما لا يزيد عن ٢٠% من قاعدة رأس مال المصرف، وطالبت بضرورة الحصول على موافقة هيئة الرقابة الشرعية على أية استثمارات يمكن أن تقوم بها المصارف خارج فلسطين في صيغ التمويل الدوليّة.

الرأي: تعليمات سلطة النقد الفلسطينية في موضوع ضوابط التمويل كافية ومناسبة (السرطاوي، ٢٠٢٣؛ رزية، ٢٠٢٣)، وهناك حرص واضح من خلالها على عدم انزلاق المصارف الإسلامية الفلسطينية في التمويلات التي من شأنها الإضرار برأس مالها، مما يعود بالأثر السيء على أصحاب حقوق الملكية والمستثمرين، مع المحافظة على خصوصية العمل المصرفي الإسلامي؛ بمنع كشف حسابات العملاء الجارية إلا في حدود ضيقة ومؤقتة، ووفق ضوابط معتمدة من هيئات الرقابة الشرعية، ودون استيفاء أية رسوم على ذلك، كما تفعل البنوك التقليدية (الربوية).

ثالثاً: الاستثمار في حقوق الملكية والاستثمار في الأراضي والعقارات والاستثمار المخصص (المقيّد): بخصوص الاستثمار في حقوق الملكية طالبت التعليمات المصارف الإسلامية الفلسطينية بوضع سياسة استثمار واضحة تشمل على إجراءات وضوابط توظيف أموال المصارف في الاستثمارات المالية، بحسب أنواعها والغرض منها، وإدارة المخاطر الخاصة بها، واعتمادها من مجلس الإدارة، ومنعت أي مصرف من أن يحوز على حصص ملكية في شركة أو مشروع أو صندوق استثماري في الحالات التالية دون الحصول على موافقة خطية مسبقة من سلطة النقد، وذلك في: (حال زادت قيمة الأسهم أو إجمالي التعرض في الشركة أو المشروع أو الصندوق الاستثماري عن ١٠% من قاعدة رأس مال المصرف، أو زادت نسب الملكية في الشركة أو المشروع أو الصندوق الاستثماري عن ١٠% من إجمالي الحصص المكتتب بها، ولا يجوز تملك أو حيازة أية حصص في أسهم شركة تحت التأسيس أو غير مدرجة في سوق فلسطين للأوراق المالية، ولا يجوز حيازة أية حصص في أسهم شركات أو مشروع أو صندوق استثماري خارج فلسطين)، كما منعت تعليمات سلطة النقد أن يزيد مجموع استثمارات المصرف في الصناديق الاستثمارية عن ٢٥% من قاعدة رأس مال المصرف، ولا يجوز أن يزيد مجموع استثمارات المصرف في حقوق الملكية عن ٥٠% من قاعدة رأس مال المصرف، وليس لأي مصرف أو لأي من شركاته التابعة له أو الشركات التي يملك فيها المصرف سيطرة على إدارتها حيازة أية حصص في أسهم مصرف إسلامي آخر يعمل في فلسطين دون موافقة مسبقة من سلطة النقد، وليس لأي شركة يمتلك فيها المصرف نسبة تزيد عن ٢٠% من رأس مالها أو من حقوق التصويت في مجلس إدارتها و/ أو يسيطر عليها شراء أسهم المصرف قبل الحصول على موافقة مسبقة من سلطة النقد. وبخصوص الاستثمار في الأراضي والعقارات، سمحت تعليمات سلطة النقد

السلطانية للمصارف الإسلامية أن تمتلك عقارات أو أراضٍ لغايات استثمارية على ألا تتجاوز قيمتها ٢٠% من قاعدة رأس مال المصرف، ولا تحسب الأصول الثابتة المستخدمة لأغراض إدارة أعمال المصرف والأصول المستملكة مقابل تمويلات متعثرة ضمن النسبة المذكورة، ومنعت أن تتجاوز قيمة العقارات والموجودات لإدارة أعمال المصرف عن ٢٠% من قاعدة رأس مال المصرف، وطالبت بأن يتطلب الاستثمار في الأراضي والعقار بنسب تفوق النسب المحددة في البنود الواردة أعلاه على موافقة خطية مسبقة من سلطة النقد. وفيما يتعلق بالاستثمار المخصص، أوجبت على المصارف الإسلامية بأن توظف الأموال المتعلقة بالاستثمار المخصص في نفس المجال الذي خصصت لأجله، وأن لا تتجاوز محفظة الاستثمار المخصص عن ٤٠% من قاعدة رأس مال المصرف، وأعفت الأرصدة الاستثمارية المقيدة (الاستثمار المخصص) من متطلبات الاحتياطي الإلزامي، وأوجبت على المصرف بالإفصاح لأصحاب حسابات الاستثمار المخصص عن مخاطر هذا الاستثمار وعدم مسؤولية المصرف عن تحمل الخسائر ونتائج هذا الاستثمار إلا في حدود ما يثبت عليه من تعدد أو تقصير أو مخالفة لشروط التعاقد، وألزمت بأن ينص في العقد بشكل واضح على علم المستثمر بجميع مخاطر الاستثمار وتحمله المسؤولية الكاملة عن نتائج هذا الاستثمار، وأوجبت بأن يوضح العقد حصّة المصرف من العائد وأية أجور تستوفى من قبل المصرف، وكذلك أن يوضح في العقد العائد المتوقع، وأن يتم إدارة حسابات الاستثمار المخصص في حسابات مستقلة عن باقي حسابات العملاء الأخرى، بحيث تبيّن الحركات الخاصة بكل حساب بالتاريخ والعمّلات ونتائج الاستثمار.

الرأي: تعليمات سلطة النقد في قضايا الاستثمار السابقة كافية ومضبوطة بشكل سليم، وفيها حرص مسؤول على أموال المصارف الإسلامية الفلسطينية، وخصوصية واقع الحالة الفلسطينية؛ من خلال النص على وجوب وضع سياسة حكيمة في قضايا الاستثمار المختلفة، وذلك لئلا يحصل الانزلاق في مشروعات من شأنها أن تؤثر سلباً على أموال هذه المصارف، مما يعود بالأثر السلبي على الجميع، وحرصت على إبقاء السيولة الكافية التي تمكن المصرف من إدارة أعماله اليومية خدمةً للجمهور الفلسطيني، وهو ما أكّده عدد من المهتمين بالصيرفة الإسلامية والرقابة الشرعية على المصارف الفلسطينية، ولهم حضور قويّ وفاعل فيها (السرطاوي، ٢٠٢٣؛ رزية، ٢٠٢٣).

رابعاً: توزيع الأرباح وتحميل الخسائر: عملت تعليمات سلطة النقد الفلسطينية على وضع الضوابط النّاطمة لهذا الموضوع سعياً لتحقيق العدالة بين أصحاب الملكية وأصحاب الحسابات الاستثمارية، فأُوجبت على المصرف إعداد سياسة لتوزيع الأرباح وتحميل الخسائر بين أصحاب حقوق الملكية وأصحاب الحسابات الاستثمارية؛ بحيث تبيّن الآلية التي اتّبعها المصرف في توزيع الأرباح بين أصحاب حقوق الملكية وأصحاب الحسابات الاستثمارية، والأسس العامة التي اتّبعها المصرف في تحميل المصروفات الإدارية والعمومية ومكافآت الإدارة وهيئة الرّقابة الشرعية والمخصّصات ومن تؤل إليه عند إلغائها، وأُلزمت المصارف بالحصول على موافقة سلطة النقد الخطية المسبقة على سياسة توزيع الأرباح وتحميل الخسائر قبل اعتمادها من قبل هيئة الرّقابة الشرعية للمصرف ومجلس الإدارة، وأُلزمت المصرف عند إعداد هذه السياسة بالالتزام: باعتبار الغرامات المالية المفروضة على المصرف خسائر ناتجة عن القصور والتّعدي يتحمّلها المصرف وحده (أي أصحاب حقوق الملكية)، واستقطاع مكافآت مجلس الإدارة وهيئة الرّقابة الشرعية من أرباح أصحاب حقوق الملكية، وخصم قيمة الأصول الثابتة والاستثمارات (التي يتم تمويلها من حقوق الملكية) من حقوق المساهمين المشاركة في توليد الدّخل، ومعاملة الإيرادات والتّفات والخسائر المرتبطة بأعمال التّمول والاستثمار المشترك بشكل منفصل عن الإيرادات والخسائر المرتبطة بأعمال الخدمات الأخرى التي يقدّمها المصرف، وكذلك الحال بالنسبة لإيرادات ونفقات وخسائر الاستثمار المخصّص؛ حيث يفتح لكل مشروع حساب مستقلّ، وتحمل المصرف الخسائر الناتجة عن حالات التّعدي والتّقصير الناشئة عن تصرفات أعضاء مجلس الإدارة والعاملين في المصرف، وحالات التّلاعب وإساءة الأمانة، وإمكانية زيادة حصّة أرباح أصحاب الحسابات الاستثمارية على حساب حصّة المساهمين على سبيل التبرّع، شريطة الحصول على موافقة الهيئة العامة للمصرف، وذلك في حال تبيّن أن معدّل عائد أصحاب الحسابات الاستثمارية المتحقّق أقلّ من المعدّل السائد في السّوق المحليّ، وأُوجبت على المصرف الإسلامي الإفصاح عن سياسة توزيع الأرباح وتحميل الخسائر بين أصحاب حقوق الملكية وأصحاب الحسابات الاستثمارية، وفقاً لمتطلبات معايير المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية.

الرأي: تعليمات سلطة النقد في هذا الجانب جيدة، وهي تسعى لمراعاة مصلحة الأطراف جميعاً؛ أصحاب حقوق الملكية، وأصحاب الحسابات الاستثمارية، لكن على سلطة النقد الفلسطينية أن تؤكد في تعليماتها

للمصارف الإسلامية بخصوص توزيع الأرباح ما يضمن تحقيق أقصى مقتضيات العدالة بين هذه الأطراف جميعاً، وأن يكون ذلك معلوماً لدى أصحاب العلاقة، وهو ما أكد عليه بعض المختصين في عمل المصارف الإسلامية، وخبروا عمل المصارف الإسلامية الفلسطينية رقابةً ومتابعةً لما يجري فيها (الدباغ، ٢٠٢٣؛ ارشيد، ٢٠٢٣؛ السرطاوي، ٢٠٢٣؛ رزية، ٢٠٢٣).

خامساً: المكاسب غير المشروعة: بينت تعليمات سلطة النقد الفلسطينية بشكل واضح المقصود بهذه المكاسب، فنصت على أنها:

"جميع المكاسب التي تحققت للمصرف من مصادر أو طرق تحرّمها أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية" (سلطة النقد الفلسطينية، ٢٠٢٣، ٥/٢٠١٣: ٦)، وأوجبت على المصرف الإسلامي بذل عناية خاصة سواء فيما يتعلّق بتجنّبها من نتائج أعماله ونشاطاته، والإفصاح عنها، وطرق التصرف فيها، وإعداد سياسة واضحة لمعالجة المكاسب غير الشرعية واعتمادها من هيئة الرقابة الشرعية ومجلس إدارة المصرف، بحيث تقوم على أساس تخفيض حجمها، وتفعيل دور الرقابة الشرعية الداخلية للحدّ منها، على أن تشمل هذه السياسة معالجتها، ووضعت هذه التعليمات عدد من الأسس المهمة؛ كتسجيل هذه المكاسب في حساب خاصّ يظهر في المركز المالي ضمن الأرصدة الدائنة الأخرى، على أن يتمّ الإفصاح عنها ضمن الإيضاحات في بند مستقلّ، وتحديد أوجه صرفها، بحيث يحظر إنفاق أيّة مبالغ منها تعود بالنفع على المصرف أيّاً كان هذا المجال، وأوجبت الإفصاح في التقارير المالية عن المبالغ وطبيعة هذه المكاسب، والإفصاح عن هذه المبالغ وطبيعة أوجه الصرف التي تمتّ منها، وذلك طبقاً لمعيار العرض والإفصاح رقم (١)، ومعايير المحاسبة والمراجعة والضوابط للمؤسسات المالية الإسلامية، وألزمت هذه التعليمات المصارف الإسلامية بالتخلّص من رصيد هذه المكاسب خلال العام في أوجه النفع العام التي تبيحها الشريعة الإسلامية الغزاء، وعدم كشف رصيد المكاسب غير الشرعية أو تدويره لسنوات لاحقة.

الرأي: التعليمات السابقة تؤكد حرص سلطة النقد الفلسطينية على بذل أقصى جهد ممكن لتجنيب المصرف هذه المكاسب غير المشروعة، وتبيّن الأحكام المتعلقة بها في حال حصولها، مع ضرورة أن يكون ذلك بمراقبة وتوجيه من هيئة الرقابة الشرعية، ودون أن يستفيد المصرف منها شيئاً، وهي كافية في اعتقاد الباحث إلى حدّ ما، لكن الحاجة ملحة لتطويرها بحيث تشمل حظر أيّة مبالغ تعود بالنفع على هيئة الرقابة الشرعية

التابعة للمصرف كذلك، وأن يشمل هذا المنع أيضًا الصورة غير المباشرة التي يمكن أن تحصل في التصرف في هذا الصندوق وتعود بالنفع، ويمكن أن تعدل العبارة لتصبح: منع أية مبالغ مالية من هذا الرصيد تعود بالنفع على المصرف وهيئة الرقابة الشرعية فيه، سواء أكان ذلك بطريق مباشرة أو غير مباشرة (حنيي، ٢٠٢٣؛ رزية، ٢٠٢٣).

سادسًا: الاحتياطات: تناولت تعليمات سلطة النقد الاحتياطي القانوني، واحتياطي المخاطر، واحتياطي التقلبات الدورية، واحتياطي معدل الأرباح، واحتياطي مخاطر الاستثمار، ففي الاحتياطي القانوني، نصت هذه التعليمات على التزام المصرف باقتطاع نسبة ١٠% من أرباح المصرف الصافية سنويًا لحساب الاحتياطي القانوني، وأن يستمر الاقتطاع السنوي حتى يصبح الاحتياطي القانوني مساويًا لرأس المال المدفوع. وبخصوص احتياطي المخاطر، فقد بينت التعليمات أنه الاحتياطي الذي يتم تكوينه لمواجهة مخاطر غير محددة، ويحتسب على أساس نسبة من صافي التموليات المباشرة، بالإضافة إلى نسبة من صافي التموليات غير المباشرة، وفقًا للنسب التالية: وهي ٢% من التموليات المباشرة، و ٠.٥% من التموليات غير المباشرة، وعرفت التموليات المباشرة بأنها: "كافة صيغ التمويل مثل المربحة والإجارة والمضاربة والسلم والاستصناع والمشاركة والصكوك والقبولات المصرفية وأي منتجات أخرى تظهر داخل الميزانية وتتوافق مع أحكام الشريعة الإسلامية" (سلطة النقد الفلسطينية، ٢٠٢٣، ٥/٢٠١٣: ٨). وأما التموليات غير المباشرة، فهي: "الالتزامات والتعهدات التي يقدمها المصرف لطرف ثالث نيابة/وكالة عن العميل بموجب اتفاق تعاقدى ما بين المصرف والعميل. وتكون الالتزامات والتعهدات قابلة للتحويل إلى التزامات مباشرة ذات تأثير تمويلي عند تحقق المطالبة بها" (سلطة النقد الفلسطينية، ٢٠٢٣، ٥/٢٠١٣: ٨). وأوجبت بأن يتم تقييم احتياطي المخاطر بشكل نصف سنوي، وأن يتم زيادة الاحتياطي من حساب توزيع الأرباح (الأرباح المدورة (حصّة المساهمين)، ولا يسجل كمصروف ضمن قائمة الأرباح والخسائر، ويؤول هذا الاحتياطي للمساهمين عند التصفية، وأن يتم الاعتراف والإفصاح عن احتياطي المخاطر ضمن حقوق المساهمين، تحت مسمى احتياطي مخاطر، ويدرج ضمن الشريحة الثانية من رأس المال (Tier 2) عند احتساب نسبة كفاية رأس المال، حسب مقررات لجنة بازل، وبسقف ١.٢٥% من إجمالي الأصول المرجحة بالمخاطر، ولا يجوز استخدام أي جزء من احتياطي المخاطر على أي وجه إلا بموافقة خطية مسبقة من

سلطة النقد. وبخصوص احتياطي التقلّبات الدّوريّة، نصّت تعليمات سلطة النقد على أن ينشأ احتياطي لمواجهة الأنواع المختلفة من المخاطر يسمّى احتياطي التقلّبات الدّوريّة، حيث يتمّ اقتطاع ما نسبته ١٥% من أرباح المصرف الصّافية بعد الضّرائب سنوياً لحساب هذا الاحتياط، وأن يستمرّ الاقتطاع السنوي حتى يصبح رصيد الاحتياطي مساوياً لما نسبته ٢٠% من رأس المال المدفوع. ونصّت على أن يدرج احتياطي التقلّبات الدّوريّة ضمن الشّريحة الأولى لرأس المال عند احتساب قاعدة ونسبة كفاية رأس المال، ويفصح عنه ضمن الاحتياطات المعلنة في الـ Call Report. ويحظر استخدام احتياطي التقلّبات الدّوريّة لأيّ هدف كان دون الحصول على الموافقة الخطيّة المسبقة لسلطة النقد، ويجوز لسلطة النقد الطّلب من المصرف زيادة رأس المال المدفوع في حال عدم تحقيقه أرباح تستخدم في تكوين احتياطي التقلّبات الدّوريّة، ونصّت على أنه يؤوّل هذا الاحتياطي للمساهمين عند التّصفية. وأما فيما يتعلّق باحتياطي معدّل الأرباح، فنصّت هذه التّعليمات على أنه يجوز للمصرف تكوين احتياطي اختياري يسمّى احتياطي معدّل الأرباح، كنسبة معيّنة من دخل أموال المضاربة قبل اقتطاع نصيب المضارب، بغرض المحافظة على مستوى معيّن من عائد الاستثمار لأصحاب حسابات الاستثمار وزيادة حقوق الملكية، ويتوجّب على مجلس إدارة المصرف إقرار سياسة تبيّن الأسس والمبررات التي تستلزم تكوين هذا الاحتياطي، كما يتوجّب على المصرف إدراج بند في الشّروط العامّة لفتح حسابات الاستثمار يبيّن لأصحاب هذه الحسابات النّفاصيل المتعلّقة بآليّة اقتطاع هذا الاحتياطي وتوزيعه مستقبلاً، ويتعبّر المبلغ المقطوع لتكوين احتياطي معدّل الأرباح توزيعاً للدّخل، وإذا زاد رصيد الاحتياطي عن المبلغ المحدّد وفق السّياسة المعتمدة من مجلس إدارة المصرف يتمّ خصم المبلغ الفائض من رصيد الاحتياطي المكوّن ويضاف لدخل الجهة ذات العلاقة في الفترة الماليّة قبل اقتطاع نصيب المضارب، ويفصح في قائمة المركز المالي عن نصيب أصحاب حسابات الاستثمار المطلقة بشكل مستقلّ عن احتياطي معدّل الأرباح ضمن حقوق أصحاب حسابات الاستثمار، ويفصح في قائمة المركز المالي عن نصيب المصرف من احتياطي معدّل الأرباح ضمن حقوق المساهمين، ويتمّ الإفصاح عن الأسس التي اتّبعها المصرف في تحديد احتياطي معدّل الأرباح وعن التّغيّرات التي حدثت خلال الفترة الماليّة على هذا الاحتياطي، وعن الجهة التي سيؤوّل إليها نصيب أصحاب حسابات الاستثمار المطلق من هذا الاحتياطي عند التّصفية، ويفصح المصرف في الإيضاحات حول القوائم الماليّة عن ما تمّ استقطاعه من حصّته في

أرباح المضاربة نسبة أو مبلغًا محددًا، أو إذا تحمّل مصروفًا نيابة عن أصحاب حسابات الاستثمار، وذلك على سبيل التبرع لزيادة أرباحهم. وأما في موضوع احتياطي مخاطر الاستثمار، فجاءت تعليمات سلطة النقد لتنظيم هذا الأمر فنصّت على أنه يجوز للمصرف وبعد موافقة أصحاب حسابات الاستثمار تكوين احتياطي مخاطر الاستثمار بنسبة معينة من دخل أموال المضاربة بعد اقتطاع نصيب المضارب للحماية من الخسائر المستقبلية لأصحاب حسابات الاستثمار، ويعتبر المبلغ المقتطع لتكوين احتياطي مخاطر الاستثمار توزيعًا للدخل، وإذا زاد نصيب الاحتياطي عن النسبة المحددة يتم خصم المبلغ الفائض من رصيد الاحتياطي المكوّن، ويضاف لدخل أصحاب حسابات الاستثمار، ويتم الإفصاح عن الأسس التي اتبعتها المصرف في تحديد احتياطي مخاطر الاستثمار، وعن التغيرات التي حدثت خلال الفترة المالية على هذا الاحتياطي، وعن الجهة التي سيؤول إليها هذا الاحتياطي عند التصفية، ويفصح عن رصيد احتياطي مخاطر الاستثمار ضمن حقوق أصحاب الاستثمار في المركز المالي.

الرأي: في اعتقاد الباحث أن التعليمات الصادرة من سلطة النقد بهذا الخصوص تتم عن حرص شديد في المحافظة على أموال جميع الأطراف؛ من خلال النص على وجود مثل هذه الاحتياطات، وهي كافية ومناسبة (السرطاوي، ٢٠٢٣؛ حنيني، ٢٠٢٣؛ رزية، ٢٠٢٣).

سابعًا: الأحكام العامة: نصّت تعليمات سلطة النقد على أن مسؤولية الالتزام بالشريعة الإسلامية تقع على عاتق إدارة المصرف، وأن هيئة الرقابة الشرعية في المصرف مسؤولة عن تكوين وإبداء الرأي حول مدى التزام المصرف بمبادئ وأحكام الشريعة الإسلامية، وأوجبت على المصرف الالتزام بمعايير المحاسبة والمراجعة والضوابط للمؤسسات المالية الإسلامية الصادرة عن هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، مع الالتزام بالمعايير الدولية لإعداد التقارير المالية فيما يخص الجوانب التي لم تنطرق إليها معايير الهيئة، كما أوجبت على المصرف الإفصاح في البيانات المالية النصف سنوية والبيانات الختامية عن الأثر المالي لتطبيق معايير المحاسبة والمراجعة والضوابط للمؤسسات المالية الإسلامية الصادرة عن هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، بدلاً من المعايير الدولية لإعداد التقارير المالية إذا نتج عن ذلك اختلاف في الاعتراف والقياس، ونصّت على أنه يتوجب على مدقق الحسابات الخارجي للمصرف تكوين رأي حول ما إذا كانت عمليات المصرف تتفق مع قرارات وإرشادات هيئة الرقابة الشرعية للمصرف،

والفتاوى الصادرة عن الجهات ذات الاختصاص، وعلى المصارف أن تلتزم بكافة التعليمات الأخرى الصادرة عن سلطة النقد والتي لا تتعارض مع هذه التعليمات.

الرأي: تعليمات سلطة النقد فيما يتعلق بالأحكام العامة جيدة، وفيها حرص على سلامة العمل في المصارف الإسلامية وانضباطه بالأسس والقواعد الشرعية، لكن يعتقد الباحث ويشاركه آخرون من خبراء الصيرفة وعمل المصارف الإسلامية الفلسطينية (صبري، ٢٠٢٣؛ عفانة، ٢٠٢٣؛ الدباغ، ٢٠٢٣؛ السرطاوي، ٢٠٢٣) بأن على سلطة النقد الفلسطينية أن تذكر في تعليماتها نصاً واضحاً وصريحاً بخصوص امتلاك المصارف التقليدية (الربوية) أسهماً من المصارف الإسلامية الفلسطينية، تحدّد فيه النسبة المسموح للبنوك التقليدية امتلاكها، وبما يضمن المحافظة على الشخصية المستقلة للمصارف الإسلامية، ومنعاً من الاستحواذ الحاصل من تلك البنوك على المصارف الإسلامية الفلسطينية، مما يخشى منه أن يؤثر سلباً على أنشطة المصارف الإسلامية وسمعتها لدى الجمهور الذي يتعامل معها، ويدفع باتجاه حدوث إشكاليات بين إدارات المصارف الإسلامية، وهيئات الرقابة الشرعية فيها. كما أنه لا بدّ من الإشارة إلى أمر مهمّ في سياق عمل المصارف الإسلامية الفلسطينية، وهو أن على سلطة النقد الفلسطينية أن تفرد تعليمات خاصة بالمصارف الإسلامية فيما يتعلّق بتأهيل الكادر البشري، الذي يتقدّم للعمل في المصارف الإسلامية شرعياً وفنياً (السرطاوي، ٢٠٢٣؛ عفانة، ٢٠٢٣؛ رزية، ٢٠٢٣)، ولضمان السير الإسلامي الصحيح والمسؤول في العمل على سلطة النقد أيضاً أن تؤكد على أنه لا يجوز بحال لأيّ موظّف أن يكون في وظيفة المدير العام لأيّ من المصارف الإسلامية الفلسطينية إلا بعد التأكد من إلمامه الكافي بالصيرفة الإسلامية والتمويل الإسلامي، وأن لا تقل خبرته المتحصّلة في هذا المجال عن خمس سنوات (عفانة، ٢٠٢٣).

المطلب الثاني: التعليمات المتعلقة بحوكمة المصارف الإسلامية (سلطة النقد الفلسطينية، ٢٠٢٣).

جاءت تحت رقم (١٠) لسنة ٢٠١٧م، وعنوانها: "دليل القواعد والممارسات الفضلى لحوكمة المصارف في فلسطين"، وما يخصّ حوكمة المصارف الإسلامية جاء في الصفحات ٧١-٧٦ من هذا الدليل، حيث أوجبت هذه التعليمات على كلّ مصرف تعيين هيئة رقابة شرعية لا يقلّ عدد أفرادها عن ثلاثة أشخاص مختصين بفقّه المعاملات، ومن ذوي الخبرة بعمل المؤسسات المالية الإسلامية، وسمحت لهذه الهيئة أن تستعين بمختصين في أيّ مجال من مجالات العمل المصرفي الإسلامي، واعتبرت قرارات هذه الهيئة ملزمة

في جميع أعمال المصرف، وهي تتولّى مسؤوليّة التأكد من كون جميع أعمال المصرف ونشاطاته متّقة مع أحكام الشريعة الإسلامية ومبادئها قبل مباشرة المصرف بالقيام بهذه النشاطات والأعمال، وخلال تنفيذها، ولدى الانتهاء منها، وقد حدّدت تعليمات سلطة النقد الضوابط لتشكيل واختيار أعضاء هذه الهيئة؛ بحيث لا يكون من بين أعضائها موظّف في المصرف أو في إحدى شركاته التابعة، وأن لا تضمّ مساهمين يمتلكون حصّة مهمّة في المصرف أو في إحدى شركاته التابعة، وأن لا يرتبط أيّ من أعضائها بصلة قرابة حتّى الدرجة الثانية مع أيّ من أعضاء مجلس إدارة المصرف أو الإدارة التنفيذية العليا، وأن لا يكون عضو هيئة الرقابة الشرعية عضواً في هيئة رقابة شرعية بمصرف آخر، كما يجب أن يتمّ استبدال عضو واحد على الأقلّ من أعضاء هيئة الرقابة الشرعية كلّ خمس سنوات، ولسلطة النقد أن تطلب من المصرف تدوير رئاسة الهيئة كلّ خمس سنوات. وفيما يتعلّق بالتعيين وتحديد المكافآت، أمرت تعليمات سلطة النقد بأن يكون تعيين هيئة الرقابة الشرعية ورئيسها من قبل الجمعية العمومية للمصرف، بناء على توصية من مجلس الإدارة بعد مصادقة سلطة النقد، ونصّت بأنه لا يحقّ فصل أيّ عضو من أعضائها إلا بموافقة خطيّة من سلطة النقد، ولا يجوز عزل هذه الهيئة المعيّنة أو أحد أعضائها إلا إذا صدرت توصية من مجلس إدارة المصرف بأغليّة ثلثي أعضائه، على أن يعتمدها المساهمون في اجتماع الجمعية العمومية، وبعد الحصول على موافقة سلطة النقد، على أن يكون قرار العزل مسبباً، وإذا لم يقر المصرف بتعيين هيئة رقابة شرعية خلال ثلاثة أشهر من اجتماع الجمعية العمومية، فسلطة النقد الحقّ في تعيين هيئة رقابة شرعية على أن يتحمّل المصرف كلفة النفقات المترتبة على ذلك، إضافة إلى أيّة تبعات ناتجة عن التأخير في التعيين، وينطبق ذلك في حالة استقالة أحد أعضاء هيئة الرقابة الشرعية، ويتوجّب استبدال أيّ من أعضاء هيئة الرقابة الشرعية أو تعيين هيئة رقابة أخرى في أيّ من الحالات المنصوص التّالية: -حال فقدان الأهلية أو الإفلاس لعضو من أعضاء هيئة الرقابة الشرعية. - صدور حكم قضائي بحقّ أحد أعضائها بالإدانة بجريمة مخلة بالشرف أو الأمانة. - عدم التزام العضو أو الهيئة بالقيام بالمهامّ والمسؤوليات المحددة في خطاب التعيين أو هذه التعليمات. - قبول عضو الهيئة أيّة مكافآت أو مزايا أو هدايا من قبل المصرف، باستثناء المبالغ المحددة بـ"خطاب التعيين" (سلطة النقد الفلسطينية، ٢٠٢٣). كما نصّت على أنّه يجب أن يتمّ الاتفاق بين المصرف وهيئة الرقابة الشرعية على شروط التعاقد، وتوثّق هذه الشروط في كتاب التعيين الذي يوافق عليه الطّرفان،

ويجب أن تكون المكافآت المالية لأعضاء هيئة الرقابة الشرعية محدّدة ومعلومة في كتاب التّعيين، سواء كانت مبلغاً مقطوعاً أو مكافأة شهرية مرتبطة بعدد الاجتماعات، وألا تتغيّر هذه المكافآت إلا عند التّجديد، ويجب أن لا تكون هذه المكافآت مرتبطة بالأداء المالي للمصرف، وتحدّد الجمعية العمومية مكافآت أعضاء هيئة الرقابة الشرعية، ويحقّ لها أن تفوض مجلس الإدارة بتحديد تلك المكافآت، وعلى أعضاء هيئة الرقابة الشرعية عدم قبول أية مزايا أو هدايا من قبل المصرف، باستثناء المبالغ المحدّدة بكتاب التّعيين، كما يجب أن يشتمل كتاب التّعيين على أن الالتزام بأحكام الشريعة الإسلامية هو مسؤولية المصرف. كما حدّدت تعليمات سلطة النقد الفلسطينية آلية عمل هيئة الرقابة الشرعية، فنصّت على أن تجتمع الهيئة بدعوة من رئيسها، أو بناء على قرار من مجلس إدارة المصرف، أو بناء على طلب من أغلبية أعضائها، وللهيئة حقّ الاطلاع الكامل وبدون قيود على جميع السجّلات والمعاملات والمعلومات، بما في ذلك الرجوع إلى موظفي المصرف والمستشارين، وتعمل الهيئة على إعداد لائحة الرقابة الشرعية، ويتمّ اعتمادها من مجلس إدارة المصرف، وتكون إحدى الوثائق الأساسية في عمل المصرف، بحيث تشتمل على: - نظام عمل الهيئة وآلية عمل الهيئة واختصاصاتها ومسؤولياتها واستقلاليتها، وتنظيم علاقاتها بسائر إدارات وأقسام المصرف وآلية إعداد تقريرها، - منهجيتها في الرقابة الشرعية واختصاصاتها. - نظام جلساتها وتوثيقها ودوريتها. - نظام المراجعة والتدقيق الشرعي الكفيل بالتأكد من أن معاملات المصرف واستثماراته وأنشطته والعقود متوافقة مع مبادئ وأحكام الشريعة الإسلامية والفتاوى والآراء الشرعية التي تصدرها الهيئة العليا للرقابة الشرعية. - كيفية إعداد التقارير الدورية التي تقدّم للإدارة والتقارير التي تقدّم للمساهمين ومكونات هذه التقارير (سلطة النقد الفلسطينية، ٢٠٢٣). وفيما يتعلّق بمهام الهيئة وضّحت تعليمات سلطة النقد هذه المهام؛ بالرقابة على أعمال وأنشطة المصرف؛ للتأكد من توافق أعماله لأحكام الشريعة الإسلامية، ومراجعة العمليات للتحقق من خلوها من أيّ محظور شرعيّ، وتطبيق سياسات وإجراءات كافية للجودة النوعية للتأكد منه أنّه تمّ إجراء الرقابة وفقاً لمعايير الجودة النوعية، وتكوين وإبداء الرأي حول مدى التزام المصرف بالشريعة الإسلامية، وتقديم التقارير الرقابية الدورية لمجلس الإدارة، والتقرير الرقابي الشرعي نصف السنوي والسنوي للهيئة العامة، ونشر تقريرها، بحيث يتضمّن التقرير الأنشطة المخالفة للشريعة إن وجدت، وإعداد دليل لإجراءات العمل الشرعية، بحيث يشمل مختلف عمليات المصرف، كما ويتضمّن القواعد اللازمة لضبط التعامل مع المصارف التقليدية،

والتأكد من وجود نظام رقابي داخلي سليم، يضمن تنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية؛ طبقاً لما تقره هيئة الرقابة الشرعية للمصرف، ووضع برامج الرقابة الشرعية، والتي تتضمن مراقبة كافة أنشطة المصرف وفق خطة محددة، والبت في المنازعات التي يمكن أن تنشأ بين الرقابة الشرعية الداخلية بشأن التفسيرات الشرعية، ويكون قرارها ملزماً للطرفين، وعلى هيئة الرقابة الشرعية بعد استنفاد كافة الإجراءات في حال عدم التجاوب مع القرارات الصادرة عنها أو في حال وجود تجاوزات كبيرة لهذه القرارات من قبل إدارة المصرف يمكن أن تعرض المصرف لمخالفات شرعية أو خسائر مالية تقديم تقرير مفصل لسلطة النقد بالخصوص، واعتماد صيغ العقود اللازمة لأعمال وأنشطة المصرف، والاتفاقيات والسياسات والمنتجات والمعاملات والقوائم المالية، والرد على الأسئلة والاستفسارات المقدمة لها، سواء من العاملين بالمصرف، أو المتعاملين معه، أو المساهمين، واختيار المراقبين الشرعيين المقيمين، والإشراف على أعمالهم وتقييم أدائهم، ودراسة تقارير وملاحظات المراقب الشرعي المقيم على الممارسات التنفيذية في الجوانب الشرعية للأعمال اليومية، والتوجيه بما يلزم بشأنها، وتقديم التوجيه والإرشاد والتدريب لكافة موظفي المصرف فيما يتعلق بالأحكام الشرعية والفتاوى ذات العلاقة، واعتماد سياسة توزيع الأرباح وتحمل الخسائر على حسابات الاستثمار، وتحديد أوجه الصرف، وإجازة عمليات الصرف من صندوق المكاسب غير الشرعية، والمساهمة في وضع الشروط والمواصفات والمؤهلات التي ينبغي توفرها في الموظفين؛ بما يعزز الكادر الوظيفي، ويوافق أسس العمل المصرفي الإسلامي، والإشراف على إدارة حساب صندوق الزكاة، وإجازة عمليات الصرف منه عند الاستحقاق، وعدم تدويره لفترات لاحقة، كما نصت تلك التعليمات على أنه يجوز لسلطة النقد تكليف الهيئة بإبداء الرأي أو دراسة أي موضوع يتعلق بنشاط المصرف، واعتماد البرامج التدريبية والتثقيفية لموظفي المصرف، والمعدة من قبل الرقابة الشرعية الداخلية. وبخصوص تقرير الهيئة أوجبت تعليمات سلطة النقد الفلسطينية الهيئة الشرعية بأن تعدّ تقريراً يرفق مع التقارير المالية النصف سنوية والسنوية المعدة من قبل المدقق الخارجي وفقاً لمعايير المحاسبة والمراجعة والضوابط للمؤسسات المالية الإسلامية على أن يتضمن التقرير: "العنوان، والجهة الموجه إليها التقرير، والفقرة الافتتاحية أو التمهيدية، ومسؤولية الإدارة، وفقرة نطاق عمل هيئة الرقابة الشرعية، بحيث تحتوي على وصف طبيعة العمل الذي تم أدائه خلال فترة التقرير، وفقرة الرأي، بحيث تحتوي على إبداء الرأي بشأن التزام المؤسسة بأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية، وتاريخ

التقرير، وتوقيع جميع أعضاء الهيئة" (سلطة النقد الفلسطينية، ٢٠٢٣). كما أوجبت أن يتضمن التقرير: -
مدى اتفاق معاملات وعمليات وعقود المصرف وملحقاتها ومرفقاتها مع أحكام ومبادئ الشريعة. -مدى توافق
عملية توزيع الأرباح وتحمل الخسارة على حسابات الاستثمار مع السياسة التي اعتمدها الهيئة. -مدى التزام
المصرف بصرف المكاسب المتحققة من مصادر أو طرق تحرمها أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية لأغراض
خيرية، ووفقاً لما تحددها هيئة الرقابة الشرعية. -مدى التزام المصرف باحتساب الزكاة وفقاً لأحكام ومبادئ
الشريعة الإسلامية. -الإفصاح عن أية مخالفات لأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية أو الفتاوى الصادرة عن
الجهات ذات الاختصاص أو القرارات الصادرة عن هيئة الرقابة الشرعية. -تؤرخ هيئة الرقابة تقريرها بعد
اعتماد التقارير المالية من إدارة المصرف. -يقراً تقرير هيئة الرقابة الشرعية في الجمعية العمومية السنوية
للمصرف. -ينشر التقرير ضمن التقارير المالية للمصرف" (سلطة النقد الفلسطينية، ٢٠٢٣). وبخصوص
الرقابة الشرعية الداخلية، أوجبت تعليمات سلطة النقد المصارف الإسلامية بأن تتم من خلال قسم مستقل أو
إدارة مستقلة بحسب حجم المصرف، تكون تبعيتها الهيكلية فنياً لهيئة الرقابة الشرعية، ويجب على المصرف
منح جهاز الرقابة الشرعية الداخلية الصلاحيات اللازمة وغير المقيدة للوصول إلى كامل المعلومات
والمستويات الإدارية اللازمة للقيام بمهامها، مع وجوب الالتزام عند تعيين المراقبين الشرعيين بالحصول على
موافقة سلطة النقد الخطية المسبقة على التعيين، ولا يجوز فصل أي من أعضاء هيئة الرقابة الشرعية
الداخلية إلا إذا كان ذلك مسبباً، وبعد الحصول على موافقة هيئة الرقابة الشرعية، مع وجوب إعلام سلطة
النقد بمسببات العزل، وأن يكون عضو هيئة الرقابة الداخلية حاصلاً على مؤهل علمي بدرجة بكالوريوس
على الأقل في إحدى التخصصات ذات العلاقة، وأن يمتلك شهادة مهنية في مجال الرقابة الشرعية، وأن
تتوفر لديه الخبرة العملية والتدريب المناسب في مجال الرقابة الشرعية. ويمنع تكليف المراقب الشرعي بأي
عمل يتعارض مع واجباته الرقابية، ويتعين عليه الالتزام بميثاق الأخلاقيات الصادر عن هيئة المحاسبة
والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، والمحافظة على الكفاية الفنية من خلال التأهيل المتواصل، أضاف
إلى ذلك أن تعليمات سلطة النقد حددت المهام التي يقع على عاتق المراقب الشرعي القيام بها؛ كفحص
وتقييم كفاية وفعالية نظام الرقابة الشرعية الداخلية لدى المصرف، والتحقق من التزام إدارة المصرف بالناحية
الشرعية، وبتوجيهات هيئة الرقابة الشرعية في كافة الأعمال اليومية ومتابعة تصحيح المخالفات، وتخطيط

كلّ مهمّة من مهام الرقابة الشرعيّة الداخليّة، وحضور اجتماعات هيئة الرقابة الشرعيّة، وتنفيذ البرنامج الرقابي المعدّ من قبل هيئة الرقابة الشرعيّة، والإجابة على الأسئلة والاستفسارات اليومية الموجهة له من موظفي المصرف والمتعلّقة بالجوانب الشرعيّة للأنشطة التي يمارسها المصرف، وتقديم التوجيه والإرشاد والتدريب لكافة موظفي المصرف فيما يتعلّق بالأحكام الشرعيّة والفتاوى ذات العلاقة، وإعداد تقرير ربع سنوي على الأقلّ موجه إلى مجلس الإدارة ونسخة لهيئة الرقابة الشرعيّة مع إرسال نسخة منه للجنة التدقيق الداخلي المنبثقة عن المجلس، على أن يوضّح التقرير غرض ونطاق ونتائج الرقابة الشرعيّة، وينبغي أن يتضمّن التقرير رأي المراقبين الداخليين والتوصيات حول التحسينات المستقبلية، والعمل التصحيحي، ورأي الجهات التي يتمّ مراجعتها بشأن النتائج أو التوصيات، وإعداد دليل خاصّ للرقابة الشرعيّة الداخليّة يوضّح الأغراض والصلاحيات والمسؤوليات على أن يتمّ اعتماده من قبل هيئة الرقابة الشرعيّة.

الرأي: تعليمات سلطة النقد الفلسطينية في هذا المجال كافية إلى حدّ كبير، وهي تدلّ على إدراك سلطة النقد الفلسطينية لأهميّة وجود جسم رقابي شرعي يراقب عمل المصارف الإسلامية الفلسطينية، ويمنعها من الانزلاق نحو خطر المحظورات الشرعيّة، فنصّت على إلزام المصارف بتعيين هيئات رقابة شرعيّة، ومنحتها صلاحيات تمكّنها من القيام بدورها على أكمل وجه، وتمّ كما في دليل حوكمة المصارف الإسلامية تعديل عبارة: "من المتخصّصين بفقّه الشريعة"، كما في تعليمات عمل المصارف (٢٠١٣/٥)، إلى متخصّصين "بفقّه المعاملات"، وهذا التعديل جاء في محلّه اللازم والصحيح، حيث إنّ التخصّصات الفقهيّة كثيرة، وفقّه المعاملات هو الألقب بعمل المصارف الإسلامية، مع الخبرة بعمل المؤسسات الماليّة الإسلامية (سلطة النقد الفلسطينية، ٢٠٢٣)، كما تمّ في هذا الدليل النصّ على إنشاء قسم أو دائرة للتدقيق الداخلي تتناسب مع حجم المصرف، بعد أن كان ذلك عبر مدقّق شرعي داخلي (سلطة النقد الفلسطينية، ٢٠٢٣)، وهو مما يحسب لسلطة النقد في السعي الحثيث لتطوير تعليماتها بهذا الخصوص. ويقترح الباحث وبشاركه آخرون (السرطاوي، ٢٠٢٣؛ جويلس، ٢٠٢٣؛ رزية، ٢٠٢٣) أن تطوّر تعليمات التدقيق الشرعي في المصارف الإسلامية لتشمل التدقيق الشرعي الخارجي؛ للتأكد من التزام المصارف بتوصيات هيئات الرقابة والتدقيق الشرعي الداخلي، أسوة بما هو حاصل في التدقيق المالي الخارجي مع وجود التدقيق المالي الداخلي. وتعزيزاً لاستقلاليّة وهيبة هيئات الرقابة الشرعيّة في القيام بدورها الرقابي على المصارف الإسلامية الفلسطينية، بعيداً

عن أية مؤثرات أو ضغوط قد تحصل (الدباغ، ٢٠٢٣؛ حنيني، ٢٠٢٣)، يقترح الباحث أن يُنصَّ في التّعليمات على أن تتولّى سلطة النّقد بنفسها ووفق أسس بيّنة واضحة تعيين وعزل أعضاء هيئات الرّقابة الشرعيّة وتحديد مكافآتهم ودفعها بعد استيفائها من المصارف الإسلاميّة، كما يقترح أن ينصّ بصورة واضحة وصريحة في هذه التّعليمات على الكيفيّة التي يتمّ فيها استبدال أحد أعضاء هيئة الرّقابة الشرعيّة المشار إليه كلّ خمس سنوات، وهو ما أشار إليه بعض المعنّيين بالصّيرفة المصارف الإسلاميّة (حنيني، ٢٠٢٣؛ السرطاوي، ٢٠٢٣)، وأن لا يتمّ تعيين رئيس لهيئة الرّقابة الشرعيّة لأيّ من المصارف الإسلاميّة إلا بعد أن يكون قد أمضى عضواً فيها مدّة زمنيّة لا تقلّ عن ثلاث سنوات، وأن لا يكون أيّ من أعضاء هيئات الرّقابة الشرعيّة من خارج البلاد لبعدهم عن خصوصيّة الواقع الفلسطيني وما يحتاج إليه (عفانة، ٢٠٢٣).

المطلب الثالث: تعليمات أخرى

وتندرج تحتها التّعليمات الآتية (سلطة النقد الفلسطينية، ٢٠٢٣):

أولاً: تعليمات رقم (٩) لسنة ٢٠١٨م: عنوانها تطبيق متطلبات كفاية رأس المال للمصارف الإسلاميّة، وصدرت في ٢٠١٨/١٢/١١م، وقد جاءت في خمس صفحات، وتكلّمت عن مخاطر الائتمان، أي الخسائر المحتملة التي تؤثر على أرباح المصرف والناجمة عن عدم قدرة الطّرف المقابل على الوفاء بالتزاماته وفقاً للشّروط المتفق عليه، لأسباب ذاتيّة أو لظروف سياسيّة أو اقتصاديّة، وهي التي يعبر عنها مصرفياً بمخاطر التّعثر، والتي تنشأ في المصارف الإسلاميّة عن حسابات الدّعم المدينة في عقود المراقبة، ومخاطر الأطراف المقابلة في عقود السّلم، ومخاطر حسابات الدّعم المدينة، ومخاطر الطّرف المقابل في عقود الاستصناع، ... الخ، كما تناولت الحديث عن مخاطر السّوق الحاليّة والمستقبليّة في داخل وخارج المركز المالي، التي يمكن أن تؤثر على إيرادات المصرف ورأسماله، والناجمة عن الاستثمار في رؤوس الأموال في محفظة المتاجرة وأسعار الصّرف ومراكز المتاجرة في الصّكوك وأسعار السّلع والمخزون السّلي، وكذلك المخاطر التشغيليّة النّاتجة عن عدم نجاعة أو فشل العمليّات الداخليّة، والعنصر البشري، والأنظمة، والأحداث الخارجيّة، والمخاطر القانونيّة، ومخاطر عدم الالتزام بالشّريعة، ويستثني المخاطر الاستراتيجية ومخاطر السمعة، كما تناول عمليّة التّقييم الداخلي لكفاية رأس المال. وقد هدفت هذه التّعليمات إلى تطبيق متطلبات كفاية رأس المال، وفق المعايير الصّادرة عن مجلس الخدمات الماليّة الإسلاميّة (IFSB)، بشأن كفاية رأس المال وبما

يوازي متطلبات بازل وخاصة متطلبات المعيار رقم (١٥)، حيث وضعت هذه التعليمات الضوابط الكفيلة لكفاية رأس المال في المصرف.

الرأي: تعليمات سلطة النقد الفلسطينية في هذا الجانب كافية ومناسبة (السرطاوي، ٢٠٢٣؛ حنيني، ٢٠٢٣؛ رزية، ٢٠٢٣)، وفيها حرص واضح على تقوية المركز المالي للمصارف الإسلامية الفلسطينية، وتعزيز دورها في مواجهة المخاطر المالية المختلفة الناتجة عن طبيعة عمل هذه المصارف ومختلف الاستثمارات وأدوات التمويل، حفاظاً على حقوق المودعين فيها، ولأجل مواجهة المسحوبات غير المتوقعة من قبل العملاء.

ثانياً: تعليمات رقم (١٥) ٢٠١٩م: بشأن هيئة الرقابة الشرعية، صدرت بتاريخ ١٣/١٢/٢٠١٩م، من حيث تفسير هيئة الرقابة الشرعية، والهيئة العليا للرقابة الشرعية، والمراقب الشرعي، حيث أشارت باختصار إلى واجبات هيئة الرقابة الشرعية، ومهام ومسؤوليات المراقب الشرعي وفق ما ورد في التعليمات رقم (١٠) لسنة ٢٠١٧، بخصوص دليل القواعد والممارسات الفضلى لحوكمة المصارف، مضيفاً بأن على المراقب الشرعي الداخلي تولي مهام التحقق من التزام إدارة المصرف بقرارات الهيئة العليا للرقابة الشرعية، كما بينت مسؤولية إدارة المصرف الإسلامي، بضرورة عرض أية منتجات أو خدمات جديدة ترغب في تقديمها على الهيئة العليا للرقابة الشرعية، بعد عرضها على هيئة الرقابة الشرعية، واعتبرت أن قرارات الهيئة العليا للرقابة الشرعية بالخصوص ملزمة لكل من إدارة المصرف وهيئة الرقابة الشرعية، وطالبت إدارة المصرف بالالتزام بكافة القرارات الصادرة عن كل من الهيئة العليا للرقابة الشرعية وهيئة الرقابة الشرعية في المصرف، بالإضافة إلى الالتزام بالمعايير الشرعية، ومعايير المحاسبة والمراجعة والحوكمة والأخلاقيات الصادرة عن هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، والالتزام بالرأي أو الفتوى الصادرة عن الهيئة العليا للرقابة الشرعية، وتزويد سلطة النقد بنسخة عن تقرير المراقب الشرعي الربعي الموجه إلى مجلس إدارة المصرف الإسلامي، كما نصت على آليات مخاطبة الهيئة العليا للرقابة الشرعية والتواصل معها، في حال رغبت المصرف في الحصول على رأي هيئة الرقابة الشرعية العليا، بأن عليه التقدم بطلب خطي للحصول على موافقة الهيئة العليا للرقابة الشرعية على المنتجات والخدمات الجديدة، مرفقاً إياه بمطالعات هيئة الرقابة الشرعية في المصرف، والمواصفات الفنية والتقنية والضوابط الداخلية، وآلية ومنهجية التسعير.

الرأي: يلاحظ الباحث أن تعليمات سلطة النقد في هذا الجانب تنطوي على شيء من الغموض، وهي بحاجة إلى التطوير، ويقترح وضع تعليمات كافية وواضحة لتنظيم العلاقة بين هيئات الرقابة الشرعية الفرعية في المصارف الإسلامية الفلسطينية، والهيئة الشرعية العليا التابعة لسلطة النقد الفلسطينية، وبما يحدد بشكل واضح لا لبس فيه اختصاص كل منهما منعاً للتداخل (شندي، ٢٠٢٢؛ الدباغ، ٢٠٢٣).

ثالثاً: تعليمات رقم (٣٦) ٢٠٢٠م: بشأن السداد المبكر للتمويلات، صدرت بتاريخ ٢٠٢٠/٩/٩م، حيث تمّ تعديل أحكام

المادة (٧)، من التعليمات رقم (٢) لسنة ٢٠١٦ بشأن الإقراض المسؤول، بناء على فتوى الهيئة العليا للرقابة الشرعية (سلطة النقد الفلسطينية، ٢٠٢٣)، باستبدال نصّ الفقرة (٥.٣/٣) من المادة ذاتها الآتي: "يجوز عند التمويل وفق الأسس الإسلامية عدم إعادة الأرباح (العوائد) في حالات التسيّد المبكر للتمويل، ولها النظر بإيجابية في إعادة جزء من الأرباح في هذه الحالة"، وهو ما يتفق مع المعيار الشرعي رقم (٨: ٢١٦) (سلطة النقد الفلسطينية، ٢٠٢٣، ٢٠١٦/٢: ١١)، بالنصّ الآتي: "يجب على المصرف إعادة كافة الأرباح المقيّدة على الرصيد المسدّد إلى العميل، ويجوز له استيفاء عمولة سداد مبكر من الرصيد المسدّد في حال السداد الكلي أو الجزئي للتمويلات، وذلك وفق النسبة المحددة في تعليمات الرسوم والعمولات الصادرة عن سلطة النقد" (سلطة النقد الفلسطينية، ٢٠٢٣، ٢٠٢٠/٣٦: ٢)، وطالبت بإلغاء كلّ ما يتعارض مع أحكام هذه التعليمات.

الرأي: يرى الباحث أن ما ورد في هذه التعليمات تصحيح مناسب من قبل سلطة النقد، وهو ما أكد عليه آخرون من خبراء العمل المصرفي الإسلامي في فلسطين (ارشيد، ٢٠٢٣؛ السرطاوي، ٢٠٢٣؛ حنيني، ٢٠٢٣)، إذ به يعمل على تحقيق مقتضيات العدالة بين عملاء المصارف الإسلامية، وهو يندرج تحت مسألة "ضع وتعجل"، وهي معروفة بين الصحابة والفقهاء، وفيها خلاف فيما بينهم، وهي ممّا يسوغ فيه الاجتهاد؛ لأن الأدلة فيها ليست قاطعة (العنزي، ٢٠١٩)، ولعلّ مبرر الإلزام ترجيح القول القاضي بذلك، أو المساواة بين عملاء المصارف، نتيجة عدم وجود ضابط محدّد لهذا الموضوع، والمحابة التي يمكن أن تحصل لبعض العملاء دون بعض، ويمكن أن يندرج هذا الإلزام إذا لم يؤخذ بترجيح القول القاضي بذلك، ضمن المسائل التي اختلف فيها الفقهاء وحكم فيها الحاكم، فإن حكمه يرفع الخلاف القائم، بشرط أن لا يعارض الحكم نصّاً

من النصوص القطعية، وأن يكون الحاكم من أهل العلم أو أن يصدر بعد مشاورة العلماء، وأن تكون المسألة من مسائل الاجتهاد، وأن يحقق الحكم مصلحة معتبرة (العنزي، ٢٠١٩).

رابعاً: تعميم رقم (٢٠٢٠/٦٠): بخصوص منتج التورق، صدر بتاريخ ٢٦/٢/٢٠٢٠م، حيث بين مفهوم منتج التورق، وحدد الحالات التي يجوز فيها التعامل بمنتج التورق؛ كسداد الديون القائمة على العملاء المقبلين على المصارف الإسلامية من قبل البنوك الأخرى، وسداد التزامات المقاولين لمصروفات العمالة والخدمات الطارئة ودفع الزوائد، وسداد الديون المترتبة على التجار والشركات في حال عجز السيولة وعدم إمكانية تطبيق أدوات السيولة الأخرى، وحاجات المهر النقدي للزواج، وحاجات العلاج والتعليم إذا كانت مؤسسات التعليم خارج فلسطين وتعد استخدام منتج إجارة الخدمات، وسداد ديون طلبة الجامعات الذين تعثروا، وتم احتجاز شهاداتهم الجامعية بسبب الديون. ووضع الضوابط التي تبين مسؤولية المصارف الإسلامية في هذا الشأن، واعتماد المعيار رقم (٣٠) الصادر عن هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، مع عدم تجاوز التمويلات الممنوحة لهذا المنتج ما نسبته ١٠% من إجمالي محفظة التمويلات القائمة، وتوفير البيئة الرقابية اللازمة، وطلب من كافة المصارف التي ترغب في التعامل بمنتج التورق، التقدم بطلب رسمي إلى سلطة النقد، متضمناً السياسات وإجراءات العمل وكافة النماذج والعقود المتعلقة بالمنتج وذلك بعد إجازتها من هيئة الرقابة الشرعية في المصرف.

الرأي: يرى الباحث ويشاركه آخرون من خبراء الصيرفة الإسلامية والمصارف الإسلامية الفلسطينية (عفانة، ٢٠٢٣؛ السرطاوي، ٢٠٢٣؛ حنيني، ٢٠٢٣؛ رزية، ٢٠٢٣)، بأن على سلطة النقد الفلسطينية وضع القيود الصارمة لتطبيق هذا المنتج، على وفق ما ورد في المعيار الشرعي رقم (٣٠) المشار إليه، وتجنبه الشبهات التي تؤثر فيه، وأن لا يتجاوز فيه -بحال- الحالات التي تمت إجازتها، مع ضرورة التأكيد في التعليمات على أن التورق المنظم ليس منتجاً، وإنما هو آلية سمح بها للحاجة متى توفرت شروطها.

خامساً: تعليمات رقم (١٠) لسنة ٢٠٢١م: بشأن تعديل التعليمات رقم (٠٩) لسنة ٢٠٢١م، صدرت بتاريخ ٩/٦/٢٠٢١م، حيث تم تعديل المادة رقم (١) من التعليمات المشار إليها أعلاه، ونصها: "تطبق أحكام هذه التعليمات على كافة المصارف المرخص لها من سلطة النقد بمزاولة العمل المصرفي في فلسطين" (سلطة النقد الفلسطينية، ٢٠٢٣)، حيث استبدلت بالنص التالي: "تطبق أحكام التعليمات على المصارف التقليدية

فقط، ولا تنطبق على المصارف الإسلامية المرخص لها من سلطة النقد بمزاولة العمل المصرفي في فلسطين" (سلطة النقد الفلسطينية، ٢٠٢٣)، وتمّ الطّلب من كافّة الجهات المختصة كلّ فيما يخصّه تنفيذ هذه التّعليمات، وطلب تطبيقها من تاريخ صدورها في التّاريخ المشار إليه أعلاه.

الرأي: يرى الباحث أن سلطة النقد قد تنبّهت إلى إشكال كبير كانت قد وقعت فيه، وهو المادة رقم (١) من التّعليمات رقم (٠٩) لسنة ٢٠٢١م، بخصوص إعادة جدولة الديون المتعثّرة بسبب جائحة كورونا، من خلال التّورق المنظم، حيث قامت مجموعة كبيرة من المعنّيين بالصّيرفة الإسلامية وأساندة الجامعات الفلسطينية بإصدار فتوى في ١٣/حزيران/٢٠٢١م، لرفض هذا الفعل، وتمّ الاجتماع بسلطة النقد وتوضيح الأمر، مما حدا بها إلى الاستجابة، وإصدار تعديل رسمي للمادة المشار إليها في التّعميم أعلاه يستثني المصارف الإسلامية من هذا النوع من المعالجة (شندي، ٢٠٢١)، ممّا يؤكّد الحرص على نقاء العمل المصرفي الإسلامي في فلسطين من أيّة شبهة قد تؤثر فيه، ويوصي الباحث بضرورة توخّي الحذر ومراعاة خصوصيّة المصارف الإسلامية الفلسطينية عند إصدار أية تعليمات تتعلّق بعمل المصارف الفلسطينية.

سادساً: تعميم رقم (٢٠٢٢/٢٧٦): صدر بتاريخ ٠١/١١/٢٠٢٢م، وموضوعه (بطاقات الدّفع)، حيث أكّد على أنه وفي إطار سعي سلطة النقد والهيئة العليا للرقابة الشرعيّة لتنظيم عمل المصارف الإسلامية، وفي ظلّ إصدار المعيار الشرعي المعدّل رقم (٦١) (الأيوبي، ٢٠٢٣) بشأن بطاقات الدّفع، واستناداً لقرار السّادة الهيئة العليا للرقابة الشرعيّة، يلغى العمل بالتّعميم رقم (٢٠٢٠/٤١) بشأن الضّوابط الشرعيّة لإصدار بطاقات الائتمان غير المغطّاة (هي بطاقات يتمّ بموجبها منح العميل سقف ائتماني يمكن من خلاله القيام بعمليات الشراء العادي أو الإلكتروني بالإضافة إلى السّحب النّقدّي، ويقوم العميل بتسديد المبالغ المستحقّة عليه خلال فترة محدّدة، وذلك مقابل استيفاء رسوم وعمولات) (سلطة النقد الفلسطينية، ٢٠٢٣، ٤١/٢٠٢٠: ٢)، وعلى المصارف الإسلامية التي تقدّم بطاقات الدّفع بكافّة أنواعها أو التي ترغب في تقديمها تصويب أوضاعها بما يتوافق مع متطلّبات المعيار الشرعي المشار إليه أعلاه، وطلبت تزويد الهيئة بتقرير معتمد من هيئة الرّقابة الشرعيّة في المصرف يبيّن مدى الالتزام بالضّوابط المحدّدة في المعيار.

الرأي: في اعتقاد الباحث أن سلطة النقد قد قامت بعمل مهمّ في هذا السّياق، من خلال تصويب وضع المصارف الإسلامية في موضوع بطاقات الدّفع غير المغطّاة (السرطاوي، ٢٠٢٣؛ حنيني، ٢٠٢٣؛ رزية،

(٢٠٢٣)، حيث إن الأصل في هذا النوع من البطاقات أن يكون بالتكلفة الفعلية للبطاقة فحسب، وكانت المصارف الإسلامية قد عملت وفق التعميم رقم (٢٠٢٠/٤١) (سلطة النقد الفلسطينية، ٢٠٢٣) على إضافة رسوم أخرى في سعر البطاقة زيادة على التكلفة الفعلية، من أجور موظفين وقرطاسية، فقامت سلطة النقد بتصويب هذا الوضع من خلال التعميم الجديد المشار إليه، وألزمتها بتطبيق ما ورد في المعيار الشرعي المعدل رقم (٦١) المشار إليه أعلاه، بخصوص الضوابط الشرعية للتعامل مع هذا النوع من البطاقات، ما يعني حرص سلطة النقد الفلسطينية على تطوير تعليماتها باستمرار، وتصويب ما يحتاج منها إلى تصويب، وصولاً إلى صيرفة إسلامية منضبطة في فلسطين.

الخاتمة:

وتشمل النتائج والتوصيات كما يلي:

- أولاً: النتائج: استناداً إلى ما تمّ بيانه حول موضوع "تعليمات سلطة النقد الفلسطينية النازمة لعمل المصارف الإسلامية العاملة في فلسطين -دراسة تحليلية تفويمية"، خلّص البحث إلى جملة من النتائج الأساسية الآتية:
 ١. تأسست سلطة النقد الفلسطينية في العام ١٩٩٤م، بعيد إنشاء السلطة الوطنية ودخولها إلى الأراضي الفلسطينية.
 ٢. حققت سلطة النقد الفلسطينية جملة من الإنجازات المهمة على الصعيد المالي والمصرفي في فلسطين، وحصلت إثر ذلك على عدد من الجوائز الدولية بهذا الخصوص.
 ٣. تأخر دخول المصارف الإسلامية إلى الأراضي الفلسطينية ما يقرب العقدين من الزمان، بسبب سياسات الاحتلال الإسرائيلي وسعيه للسيطرة على جميع مفاصل الحياة الفلسطينية.
 ٤. تعمل في الأراضي الفلسطينية ثلاثة مصارف إسلامية: البنك الإسلامي الفلسطيني، والبنك الإسلامي العربي، وبنك الصفا.
 ٥. تسعى سلطة النقد الفلسطينية إلى المحافظة على الاستقرار النقدي والمالي في الأراضي الفلسطينية، وتعزيز النمو الاقتصادي المستدام.

٦. أصدرت سلطة النقد الفلسطينية مجموعة من التعليمات التي تنظم عمل المصارف الإسلامية العاملة في فلسطين.
 ٧. تراعي سلطة النقد الفلسطينية في تعليماتها كلّ ما يستجدّ بشأن المصارف الإسلامية، فهي تعمل على التطوير والتعديل والإضافة.
 ٨. تعليمات سلطة النقد الفلسطينية النّاطمة لعمل المصارف الإسلامية الفلسطينية في غالبها كافية ومناسبة، وفيها حرص على مصرفية إسلامية فلسطينية منضبطة.
 ٩. هناك حاجة ملحة لتطوير بعض التعليمات الخاصة بالمصارف الإسلامية وإصدار تعليمات أخرى جديدة؛ سعياً لتعزيز العمل المصرفي الإسلامي في فلسطين وانضباطه.
- ثانياً: التوصيات:** في ضوء ما سبق من نتائج يوصي البحث سلطة النقد الفلسطينية بما يلي:
١. إصدار تعليمات خاصة بالكادر البشري الذي يتقدّم للعمل في المصارف الإسلامية من حيث التأهيل الشرعي والفني، بما يحافظ على خصوصية هذه المصارف الإسلامية وانضباطها بالأحكام الشرعية.
 ٢. إصدار تعليمات واضحة وصريحة تحدّد النسب التي يُسمح للبنوك التقليدية امتلاكها من أسهم المصارف الإسلامية؛ منعاً من استحواذ البنوك التقليدية على المصارف الإسلامية ومعالجة الوضع القائم.
 ٣. إصدار تعليمات تنظم العلاقة بين سلطة النقد وهيئة الرقابة الشرعية العليا التابعة لها، مع ضرورة أن تكون هناك تعليمات واضحة تحدّد أسس اختيار أعضاء هذه الهيئة.
 ٤. إجراء تعديل على نظام حوكمة هيئات الرقابة الشرعية للمصارف الإسلامية؛ بحيث تكون المقابلات والتعيين والمكافآت والتدوير والاستبدال بعيداً عن الإدارات المباشرة للمصارف؛ تحقيقاً لاستقلالية هذه الهيئات وهيبتها.
 ٥. إصدار تعليمات واضحة لتنظيم العلاقة بين هيئة الرقابة الشرعية العليا وهيئات الرقابة الشرعية المحلية للمصارف الإسلامية الفلسطينية تحدّد بشكل واضح ودقيق صلاحيات كلّ منهما.
 ٦. إصدار تعليمات خاصة بالمصارف الإسلامية تؤكد على الالتزام الشرعي للمؤسسة وما فيها من موظفين.
 ٧. تطوير تعليمات التورق المنظم بما يؤكد على أنه ليس منتجاً، وأنه للحاجة إذا توقّرت شروطها، كما في المعيار الشرعي رقم (٣٠).

٨. تطوير تعليمات التدقيق الشرعي ليضاف إليها التدقيق الشرعي الخارجي؛ للتأكد من التزام المصارف بتوصيات هيئات الرقابة والتدقيق الشرعي الداخلي، أسوة بما هو حاصل في التدقيق المالي.
٩. تطوير تعليمات توزيع الأرباح بما يضمن تحقيق مقتضيات العدالة بين أصحاب حقوق الملكية وأصحاب الحسابات الاستثمارية.
١٠. أهمية وجود إجراءات رادعة تمنع تجاوز تعليمات سلطة النقد الفلسطينية من قبل المصارف الفلسطينية.
١١. السعي الجاد لتحويل التعليمات النازمة لعمل المصارف الإسلامية الفلسطينية إلى نصوص قانونية تراعي مصالح جميع الأطراف.
١٢. العمل على إصدار قانون خاص ينظم عمل المصارف الإسلامية الفلسطينية ويراعي خصوصيتها وانضباطها بأحكام الشريعة الغراء.

قائمة المصادر والمراجع:

- البنك الإسلامي العربي، فلسطين، التقرير السنوي عن العام ٢٠٢٠م.
- البنك الإسلامي العربي، فلسطين، التقرير السنوي عن العام 2021م.
- البنك الإسلامي العربي، فلسطين، التقرير السنوي عن العام ٢٠٢٢م.
- البنك الإسلامي الفلسطيني، الموقع الإلكتروني: <http://islamicbank.ps/new/>.
- البنك الإسلامي الفلسطيني، الإدارة العامة للبنك، الأرشيف.
- البنك الإسلامي الفلسطيني، التقرير السنوي عن العام ٢٠٢١م.
- جامعة بيرزيت، المقتفي، الموقع الإلكتروني،
<http://muqtafi.birzeit.edu/pg/getleg.asp?id=11259>
- سلطة النقد الفلسطينية، الموقع الإلكتروني،
<https://www.pma.ps/ar/AboutPMA/VisionandMission>
- سلطة النقد الفلسطينية، الموقع: <http://www.pma.ps/ar-eg/home.aspx>
- سلطة النقد الفلسطينية، رام الله، الأرشيف.

- شندي، إسماعيل محمد، التّحدّيات التي تواجه المصارف الإسلامية العاملة في فلسطين وسبل التغلّب عليها، بحث منشور في المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية، العدد ٢، ٢٠٢١م.
 - شندي، إسماعيل محمد، الرّقابة الشرعيّة على المصارف الإسلامية العاملة في فلسطين، الواقع وآليات التطوير، ورقة علمية محكمة مقدّمة إلى الملتقى الدوليّ الرابع، إدارة الرّقابة والتّدقيق الشرعي في المصارف الإسلامية -الواقع وآفاق التّغيير، الأكاديمية الدوليّة للمالية والتّحكيم بتونس، نابل، في ٢٦-٢٧/٢/٢٠٢٢م.
 - العنزي، عصام خلف، إلزام الجهات الرّقابية للبنوك الإسلامية بالحطّ من الدين عند السّداد المبكر، بحث ألقى في مؤتمر أيوفي السنوي السّابع عشر للهيئات الشرعيّة، المنعقد في مملكة البحرين، في ٧-٨/٤/٢٠١٩م.
 - المجلس التشريعي الفلسطيني، الموقع الإلكتروني:
http://plc.gov.ps/ar/index/plc_law_details/65
 - المسالمة، حسن حسين، الرّقابة الشرعيّة في المصارف الإسلامية العاملة في الضفة الغربية بين النظرية والتطبيق، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القدس، فلسطين، ٢٠٠٩م.
 - مصرف الصّفا، فلسطين، التقرير السنوي عن العام ٢٠٢١م.
 - مصرف الصّفا، فلسطين، الموقع الإلكتروني: <http://www.safabank.ps/ar/page/brief>
 - هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات الماليّة الإسلامية (AAOIFI)، المعايير الشرعيّة.
 - وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية، وفا، الموقع الإلكتروني:
https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=7165
- المقابلات:**
- مقابلة مع الدكتور أيمن جبرين جوبلس، عضو هيئة الرّقابة الشرعيّة في البنك الإسلامي الفلسطيني، بتاريخ: ٢٠/٠٧/٢٠٢٣م.
 - مقابلة مع الدكتور أيمن مصطفى الدّباغ، عضو سابق في هيئة الرّقابة الشرعيّة في البنك الإسلامي العربي/فلسطين، وعضو هيئة التدريس في كليّة الشريعة والدراسات العليا في جامعة النّجاح الوطنيّة، بتاريخ: ١٠/٠٧/٢٠٢٣م.

- مقابلة مع الأستاذ الدكتور حسام الدين عفانة، رئيس وعضو هيئة الرقابة الشرعية في البنك الإسلامي الفلسطيني سابقاً، ورئيس هيئة الرقابة الشرعية لشركة تمكين للتأمين/فلسطين، ومراقب شرعي لشركة الرئوتة للتمويل الإسلامي/فلسطين، وعضو هيئة التدريس في جامعة القدس، بتاريخ: ٢٠٢٣/٠٧/١٨م، وأخرى بتاريخ: ٢٠٢٣/٠٧/٨م.
- مقابلة مع الأستاذ الدكتور عروة عكرمة صبري، عضو ورئيس سابق في هيئة الرقابة الشرعية في البنك الإسلامي العربي/فلسطين، والعضو الحالي في الهيئة العليا للرقابة الشرعية في سلطة النقد الفلسطينية، وعميد كليتي الدعوة والقرآن في جامعة القدس، بتاريخ: ٢٠٢٣/٠٧/١١م، وأخرى بتاريخ: ٢٠٢٣/٠٧/١٦م.
- مقابلة مع الدكتور علاء صبحي رزيّة، رئيس هيئة الرقابة الشرعية في البنك الإسلامي الفلسطيني، وأستاذ المصارف الإسلامية في جامعة النجاح الوطنية، بتاريخ: ٢٠٢٣/٠٧/١٤م، وأخرى بتاريخ: ٢٠٢٣/٠٧/٢٠م.
- مقابلة مع معالي الدكتور علي محمد السرطاوي، خبير مالي ومصرفي لدى سلطة النقد الفلسطينية، وعضو ورئيس سابق في هيئة الرقابة الشرعية في البنك الإسلامي الفلسطيني، ورئيس حالي في هيئة الرقابة الشرعية لشركة التكافل الفلسطينية للتأمين، وعضو هيئة التدريس في كلية القانون في جامعة النجاح الوطنية، بتاريخ: ٢٠٢٣/٠٧/١١م، وأخرى بتاريخ: ٢٠٢٣/٠٧/١٩م.
- مقابلة مع الدكتور محمد وجيه حنيني، عضو هيئة الرقابة الشرعية في البنك الإسلامي العربي/فلسطين، وعضو هيئة التدريس في جامعة بير زيت، بتاريخ: ٢٠٢٣/٠٧/١٤م، وأخرى بتاريخ: ٢٠٢٣/٠٧/١٩م.
- مقابلة مع الدكتور محمود عبد الكريم ارشيد، متخصص في الاقتصاد الإسلامي، وعضو هيئة التدريس في قسم المصارف الإسلامية في جامعة النجاح الوطنية ورئيسه سابقاً، والمراقب الشرعي في بنك الأقصى الإسلامي سابقاً، بتاريخ: ٢٠٢٣/٠٧/١٨م.

نماذج من الوسائل الحسية التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم في تعليم الصحابة

الباحثة: فاطمة حوري فرج المومني

وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية - الأردن

E-mail: fatimaalmomani2@gmail.com

الملخص:

جاء هذا البحث بعنوان " نماذج من الوسائل الحسية التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم في تعليم الصحابة" وتتاول البحث خمسة من الوسائل الحسية التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم وهي: الإشارة بالأصابع واليد، واستخدام الحصى، واستخدام العصا، والرسم على الأرض، والعروض والتوضيحات العملية، ومما خلص إليه البحث : أن النبي صلى الله عليه وسلم استخدم الكثير من الوسائل الحسية في تعليمه للصحابة، فاستخدم الأصابع بكافة أعدادها، واليد واليدان في تعليم الصحابة، كما أنه استخدم الوسائل المتاحة في تعليم الصحابة فاستعمل الحصى والعصا والرسم على الرمال، كما استخدم التطبيق العملي التوضيحي، وهو من أكثر النماذج استخداما منه صلى الله عليه وسلم خاصة في تعليم الصحابة أمور العبادة من طهور ووضوء وصلاة وغيرها من العبادات.

الكلمات المفتاحية: نماذج، الوسائل الحسية، تعليم الصحابة.

Abstract:

This research was entitled “Examples of the sensory means that the Messenger, may God bless him and grant him peace, used in teaching the Companions.” The research dealt with five of the sensory means that the Messenger, may God bless him and grant him peace, used, which are: pointing with the fingers and hand, using pebbles, using a stick, drawing on the ground, and presentations. And practical clarifications, and among the conclusions of the research: that the Prophet, may God bless him and grant him peace, used many sensory means in teaching the Companions, so he used fingers in all their numbers, and the hand and both hands in teaching the Companions, and he also used the available means in teaching the Companions, so he used pebbles, a stick, and drawing in the sand, as well as He used the practical, illustrative application, and it is one of the most widely used examples from him, may God bless him and grant him peace, especially in teaching the Companions matters of worship, such as purification, ablution, prayer, and other acts of worship.

Keywords: models, sensory means, teaching of the Companions.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد: إن وسائل التعليم بالمجتمعات بتطور وتوسع مستمر، وتتعدد مجالات التعليم وتتوسع بتوسع المجتمعات وازدياد حاجاتها، وطرق التعليم كثيرة ومتنوعة وبعض هذه الأساليب صالحة لجانب تعليمي متخصص بأمر معين وبعضها عام يصلح لكل الجوانب.

ووسائل التعليم بكافة أشكالها تطبق أحيانا بشكل بديهي دون تخطيط مسبق ومن أهم الوسائل التعليمية ، الوسائل التعليمية الحسية الملموسة وخير المصادر التي نأخذ منها هذه الوسائل، هو رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فبالإضافة إلى أنه نبي ورسول، فإنه يتمتع بخصائص عديدة تجعل منه خير معلم وخير مربى، فنستنبط من أقواله وأفعاله وسائل تعليمية وتربوية تكون أساسا في التعليم بكافة مجالاته ومراحل تطوره.

الرسول صلى الله عليه وسلم اجتمعت فيه العديد من الصفات وكان يقوم بالعديد من المهام فكان نبيا رسولا ، وكان حاكما وقاضيا ومفتيا وقائدا عسكريا ، وكان أباً وكان زوجاً ومعلماً ومربياً وكان إماماً وواعظاً وكان تاجراً صدوقاً وغيرها الكثير من المهام التي كان يتولاها صلى الله عليه وسلم، وهذه الصفات بمجملها يستحيل أن تجتمع بشخص واحد غير الرسول صلى الله عليه وسلم، ولذلك كانت الوسائل التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم في تعليم الصحابة هي أفضل الوسائل التعليمية وأدومها، ومن هذا المنطلق جاء هذا البحث متحدثاً عن الوسائل الحسية التي أتبع من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم لتعليم الصحابة رضوان الله تعالى عليهم.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة بما يلي:

١. أنها تتحدث عن نماذج حسية تطبيقية استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم في التعليم ومازال الناس وأهل الاختصاص بحاجة إلى هذه النماذج بالتعليم.

٢. أن هذه الدراسة تناولت الوسائل الحسية دون غيرها من الوسائل المستخدمة في تعليم الصحابة.

٣. أن هذه الدراسة تناولت نماذج حسية تطبيقية ذات أهمية فاعلة ودورها الكبير في التعليم بوقتنا الحاضر.

أهداف الدراسة:

تكمن أهداف هذه الدراسة بما يلي:

١. التسهيل على طلبة العلم والتربويين، بالرجوع إلى الوسائل الحسية التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم في تعليم الصحابة رضوان الله تعالى عليهم.

٢. تتضمن هذه الدراسة الوسيلة التعليمية الحسية مع بيان أثر كل وسيلة على الجانب التعليمي والتربوي.

مشكلة الدراسة:

جاء الرسول صلى الله عليه وسلم إلى البشرية نبيا ورسولا وكان خير معلم ومفهم للناس، ومنذ نشوء البشرية والتعليم في تطور وتقدم، وفي كل مرحلة من مراحل التعليم وتوسع مجالات التعليم تظهر الحاجة إلى التوسع في الوسائل التعليمية المتبعة في إيصال المعلومة، ومن أفضل الوسائل المتبعة، الوسائل الحسية التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم في التعليم وجاءت هذه الدراسة مجيبة عن السؤالين الآتيين:

السؤال الأول: ما هي أهم الوسائل الحسية التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم في تعليم الصحابة؟

السؤال الثاني: ما هي الآثار المتحققة من استخدام الوسائل الحسية في التعليم؟

حدود البحث:

تتمثل حدود البحث في تناول المسائل التي حوتها النصوص الشرعية الصحيحة من الأحاديث النبوية والآثار الواردة في كتب الحديث وكتب شروحات الحديث وكتب السير والآثار.

الدراسات السابقة:

- دراسة بعنوان: " منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في التربية من خلال السيرة النبوية " ٢٠٠٨م بحث للباحثة منال موسى دبابش بإشراف الأستاذ الدكتور محمود خليل أبو دف وهو رسالة ماجستير في أصول التربية ٢٠٠٨ الجامعة الإسلامية غزة.
- وقعت الدراسة في ٩٤ صفحة، تناولت الأسس التربوية التي يقوم عليها منهج الرسول التربوي من خلال السيرة النبوية، وتناولت أساليب تربية النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه من خلال سيرته النبوية والملاحظ في هذه الدراسة أنها تناولت منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في تعليم الصحابة، وتطرق إلى الوسائل التي اتبعها الرسول صلى الله عليه وسلم لتعليم الصحابة، وكانت معظم الدراسة تتحدث عن التربية بشكل عام، وتطرق إلى أساليب التعليم والتربية دون توسع بها، فكان الحديث عن أساليب التعليم مختصر

بصفحتين فقط، وما سأقوم به في هذا البحث بيان الوسائل التي استخدمت من الرسول صلى الله عليه وسلم في تعليم الصحابة وهذا ما كان مفقود في دراسة الباحثة منال موسى دبابش

– دراسة بعنوان: "من أساليب التربية النبوية" للدكتور عثمان قدرى مكانسي (٢٠١٥).

وقعت الدراسة في ٥٨ صفحة تناولت الدراسة الأساليب التربوية المتبعة من الرسول صلى الله عليه وسلم مع التطرق لبعض الوسائل التي اتبعها في تعليم الصحابة وما يؤخذ على هذه الدراسة أنها ركزت على أساليب الخطاب والحوار أكثر من تركيزها وبيانها للوسائل الحسية في التعليم، وهذا الجانب (الوسائل الحسية) هو محور الحديث في بحثي هذا.

منهجية الدراسة:

استخدم الباحث في هذا البحث المناهج الآتية:

١. المنهج الاستقرائي: حيث قام الباحث بجمع المادة العلمية من الكتب المتخصصة في التربية

الإسلامية وكتب الحديث والتفسير وشروحها وكتب اللغة وغيرها.

٢. المنهج الاستنباطي: وذلك من خلال استنباط الأساليب والطرق من الأحاديث والآثار المختارة.

وسيتبع الباحث في بحثه الإجراءات الآتية:

– توثيق الأقوال وعزوها إلى مصادرها الأصلية، وذلك بذكر اسم المؤلف واسم الكتاب ودار النشر

ورقم الطبعة مع ذكر رقم الجزء والصفحة.

– توثيق الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية.

– توثيق الأحاديث والآثار وتخريجها من مصادرها الأصلية.

مخطط البحث:

المبحث الأول: مفهوم الوسيلة الحسية والتعليم في اللغة والاصطلاح.

المطلب الأول: مفهوم الوسيلة الحسية لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: مفهوم التعليم لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: وسائل حسية استخدمت في تعليم الصحابة.

المطلب الأول: الإشارة بالأصابع واليد.

المطلب الثاني: استخدام الحصى.

المطلب الثالث: استخدام العصا.

المطلب الرابع: الرسم على الأرض.

المطلب الخامس: العروض والتوضيحات العملية.

الخاتمة:

النتائج والتوصيات

المصادر والمراجع

المبحث الأول: مفهوم الوسيلة الحسية والتعليم في اللغة والاصطلاح.

يتناول هذا المبحث التعريف بمصطلحات البحث، فيبين مفهوم الوسيلة الحسية في اللغة والاصطلاح، ويبين أيضاً مفهوم التعليم لغة واصطلاحاً.

المطلب الأول: مفهوم الوسيلة الحسية لغة واصطلاحاً.

أولاً: الوسيلة لغة:

تأتي كلمة الوسيلة بمعانٍ عنده، فهي بمعنى المنزلة والدرجة والقربة وتأتي بمعنى العمل. (انظر: ابن منظور ، لسان العرب، ج ١١، ص ٧٢٤. ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص ١٨٥) قال ابن منظور في لسان العرب: "الوسيلة: المنزل عند الملك. والوسيلة: الدرجة. والوسيلة: القربة. ووسل فلان إلى الله وسيلة إذا عمل عملاً تقرب به إليه". (ابن منظور: لسان العرب، ج ١١، ص ٧٢٤)

والوسيلة: ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به، وجمعها: وسائل. يقال: وسل إليه وسيلة، وتوصل. (ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص ١٨٥)
ويقال وسلت إلى ربي وسيلة، أي: عملت عملاً أتقرب به إليه. وتوصلت إلى فلان بكتاب أو قرابة، أي: تقربت به إليه. (الفراهيدي ، كتاب العين، ج ٧، ص ٢٩٨).
وفي حديث الأذان: " اللهم آت محمدا الوسيلة "، قال ابن الأثير: هي في الأصل ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به، والمراد به في الحديث القرب من الله - تعالى - . (الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، ج ٣١، ص ٧٥).

ثانياً: الحسية لغة:

الحسية في اللغة: اسم مؤنث مفرد منسوب إلى حسّ. وهو مصدر صناعي. (معجم اللغة العربية المعاصرة ، ج ١، ص ٤٩٦).
والحسية بمعنى المحسوسة بالجوارح، يقال إشارة حسية: أي إشارة حسية بالجوارح والأعضاء. (التهانوي ، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، ج ١، ص ١٨٩)
والحسية إمّا ظاهرة تتعلّق بالحواس الظاهرة وإمّا باطنة تتعلّق بالحواس الباطنة ويراد بالحسي ما يدرك هو أو مادته بإحدى الحواس الظاهرة. (انظر: التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج ١، ص ٦٧٤)

ثالثاً: الوسيلة الحسية:

الوسيلة الحسية مصطلح مركب ولا يخرج معناه عن المعنى اللغوي لمصطلحي الوسيلة، والحسية.

فمن العريفات لمصطلح الوسيلة الحسية : بأنها مجموعة المواد والأدوات التي لا تعتمد على استخدام الألفاظ وحدها وإنما تعتمد على استخدام الخبرات الحسية المباشرة وغير المباشرة ، حتى يستخدم الطالب حواسه المختلفة من بصر وسمع ولمس وشم وتذوق .

(<https://sites.google.com/site/a220132125/17>)

والوسائل المحسوسة: هي التي يكون فيها المتعلم في تفاعل مباشر مع الوسيلة التعليمية الواقعية والحقيقية ويستعمل معظم حواسه، فهو يشارك فيها بالأداء والعمل.

(<https://sites.google.com/site/mmmmmjtyik/muhannadyahya-1>)

ويمكن أن نعرف الوسائل الحسية بأنها: مجموعة من الأدوات التي تستخدم في إيصال المعلومة للمتعلم وتعتمد اعتمادا مباشرا على الأمور المادية المحسوسة، بحيث يستعمل فيها المتعلم حواسه.

المطلب الثاني: مفهوم التعليم لغة واصطلاحا.

أولاً: التعليم في اللغة.

التعليم: تنبيه النفس لتصور المعاني. والتعلم: تنبيه النفس لتصور ذلك، وربما استعمل في معنى الإعلام إذا كان فيه تكثير نحو قوله تعالى: {تعليمونهم مما علمكم الله} (سورة المائدة، آية: ٤). قال: وتعليم آدم الأسماء هو أن جعل له قوة بها نطق ووضع أسماء الأشياء، وذلك بإلقائه في روعه، وكتعليمه الحيوانات كل واحد منها فعلا يتعاطاه، وصوتا يتحراره ". (الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، ج ٣٣، ص ١٢٣)

ومن معان التعليم : الإلهام كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} (سورة الشمس: آية ٨). (أبو البقاء الحنفي الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص ١٧٣)

ثانياً: التعليم اصطلاحاً:

يعرف التعليم بأنه: عملية تيسير التعلم أي اكتساب المعرفة والمهارات والمبادئ والمعتقدات والعادات.

(<https://ar.wikipedia.org/wiki/تعليم>)

ومن تعريفات التعليم : بأنه عملية منظمة تهدف إلى اكتساب الشخص المتعلم للأسس العامة البانية للمعرفة، ويتم ذلك بطريقة منظمة ومقصودة وبأهداف محددة ومعروفة. (<https://mawdoo3.com/> تعريف_التعليم) ويمكننا أن نعرف التعليم بأنه: مجموعة من العمليات المنظمة والمخطط لها، تهدف إلى إيصال المعرفة بكافة أشكالها إلى المتعلم.

المبحث الثاني: وسائل حسية استخدمت في تعليم الصحابة.

يتناول هذا المبحث مجموعة من الوسائل الحسية التي استخدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم في تعليم الصحابة، متمثلة بالإشارة باليد والأصابع واستخدام الحصى والعصا في التعليم، واستخدام وسيلة الرسم على الرمال وبعض العروض العملية والتوضيحية التي استخدمت من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم في تعليم الصحابة.

المطلب الأول: الإشارة بالأصابع واليد.

وردت أحاديث عديدة تخبر بدلالاتها أن الرسول صلى الله عليه وسلم استخدم الأصابع واليد على وجه العموم في تعليم الصحابة في بعض المواقف، وفي بعض الأحيان كان صلى الله عليه وسلم يستخدم إصبعاً واحداً أو اثنين أو ثلاثة أو بكامل أصابعه في الدلالة على أمر معين، واستخدم أيضاً الإشارة بيده تارة وبكلتا يديه تارة أخرى، وفيما يلي بيان بعض الأحاديث التي تبين ذلك:

أولاً: استخدام الإشارة بالأصابع في تعليم الصحابة.

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه - وأشار يحيى بالسبابة - في اليم، فليُنظر بم ترجع؟». (مسلم ، المسند الصحيح

المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، ج٤، ص ٢١٩٣، ح ر ٢٨٥٨) في هذا الحديث تبين أن يحيى وهو أحد رواة الحديث أشار بالسبابة، ومعلوم أن الراوي إذا استخدم الإشارة في الحديث وطبقها أمام المستمعين فإن الفعل منسوب إلى المروي عنه، وهو هنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ففي الحديث دلالة صريحة على استخدام الإشارة بالإصبع كوسيلة لتعليم الصحابة الكرام فيكون باستخدام الإشارة مدلول أوضح وتأثير أكبر على الصحابة من مجرد السماع فقط ، فأعطي التشبيه بمن وضع إصبعه في اليم (أي البحر).

- وفي صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وقال بإصبعيه السبابة والوسطى. (البخاري ، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب فضل من يعول يتيما ، ج٨، ص٩، ح ر ٦٠٠٥)

وفي رواية أنه فرج بين إصبعيه قليلا. (أحمد بن حنبل ، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٣٧، ص٤٧٦، ح ر ٢٢٨٢٠)

وفي هذا الموقف للدلالة على منزلة كافل اليتيم منه يوم القيامة استخدم صلى الله عليه وسلم الإشارة بالإصبعين؛ ليكون لها أثر واضح بالنفس ولأن الإشارة في هذا الموقف أبلغ من الكلام لو قيل قولاً.

- عن أبي سعيد الخدري أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " - وأشار النبي صلى الله عليه وسلم بكفه بخمس أصابع -: ليس فيما دون خمسة أواق صدقة، وليس فيما دون خمسة أوسق صدقة، وليس فيما دون خمس ذود صدقة ". (الصنعاني ، المصنف، كتاب الزكاة، باب من قال يترك لرب الحائط قدر ما يأكل هو وأهله وما يعري المساكين منها لا يخرص عليه ج٤، ص٢٠٩، ح ر ٧٤٥٠)

في هذا الحديث استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم الخمسة أصابع وهذا من باب التأكيد على العدد الوارد في الحديث وهذا أسلوب تربوي ذات دلالة وتأكيد على المعنى المراد بالحديث .
والأمثلة في هذا الباب كثيرة فحياته صلى الله عليه وسلم مليئة بالمواقف التعليمية سواء كانت باستخدام الأصابع أو غيرها.

ثانيا: استخدام اليد الواحدة في تعليم الصحابة.

- أبا هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يقبض العلم، ويظهر الجهل والفتن، ويكثر الهرج»، قيل يا رسول الله، وما الهرج؟ فقال: «هكذا بيده فحرفها، كأنه يريد القتل». (البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس ، ج ١، ص ٢٨، ح ٨٥)

في هذا الحديث افتقدت الإجابة اللفظية واستخدمت الإشارة فقط، فالاعتفاء بحركة اليد للدلالة على القتل أكبر دليل على أهمية استخدام الإشارة وجواز الاحتجاج بها.

ثالثا: استخدام كلتا اليدين في تعليم الصحابة

- في صحيح البخاري في الحديث عن الغسل، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أما أنا فأفيض على رأسي ثلاثا، وأشار بيديه كلتيهما». (البخاري: صحيح البخاري، كتاب الغسل، باب من أفاض على رأسه ثلاثا ، ج ١، ص ٦٠، ح ٢٥٤)

إشارة الرسول صلى الله عليه وسلم بيديه لبيان كيفية أخذ الماء بكيفية تأكيد على أهمية استخدام الرسول صلى الله عليه وسلم في تعليم الصحابة، وهذا حاله صلى الله عليه وسلم في كل أمر يحتاج منه إلى توضيح أو تأكيد أو زيادة تنبيه.

المطلب الثاني: استخدام الحصى.

- عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، قال: مر بي عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري، قال: قلت له: كيف سمعت أباك يذكر في المسجد الذي أسس على التقوى؟ قال: قال أبي: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت بعض نسائه، فقلت: يا رسول الله، أي المسجدين الذي أسس على التقوى؟ قال: فأخذ كفا من حصباء، فضرب به الأرض، ثم قال: «هو مسجدكم هذا» لمسجد المدينة، قال: فقلت: أشهد أنني سمعت أباك هكذا يذكره. (النيسابوري: صحيح مسلم، كتاب الحج، باب بيان أن المسجد الذي أسس على التقوى هو المسجد النبوي، ج ٢، ص ١٠١٥، ح ر ١٣٩٨)

قال الإمام النووي في شرح الحديث: "وأما أخذه صلى الله عليه وسلم الحصباء وضربه في الأرض فالمراد به المبالغة في الإيضاح لبيان أنه مسجد المدينة، والحصباء بالمد: الحصى الصغار." (النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج ٩، ص ١٦٩)

وهذا واضح أيضا من قبل الشراح والفقهاء، بأن حركات الرسول صلى الله عليه وسلم وإشاراته لها دلالة على الحكم ودلالة على المعنى المراد، فهي محط اعتبار في الدلالة والحكم ووسيلة تعليم.

المطلب الثالث: استخدام العصا.

- عن أبي سعيد الخدري، أن النبي صلى الله عليه وسلم غرز بين يديه غرزا، ثم غرز إلى جنبه آخر، ثم غرز الثالث فأبعده، ثم قال: «هل تدرون ما هذا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «هذا الإنسان، وهذا أجله، وهذا أمله يتعاطى الأمل والأجل، يختلجه دون ذلك». (ابن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ١٧، ص ٢١٢، ح ر ١١١٣٢)

وفي كتاب (البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف) : " سَبَّبه عَنْهُ أَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَرَزَ عوداً ثُمَّ غَرَزَ إِلَى جنبه آخر ثُمَّ غَرَزَ الثَّالِثَ فَأَبْعَدَهُ ثُمَّ ذَكَرَهُ " (الحُسَيْنِي الحنفي، البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف، ح ٢، ص ٢٥٥)

في هذا الحديث عدة أساليب تربوية: فالملاحظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم غرز العصا في الأرض قبل أن يتحدث بأي شيء وبعد أن أكمل غرز العصي في الأرض، بدأ بالحديث مبيننا ما يريد إيصاله للصحابه، ففي فعله صلى الله عليه وسلم لفت نظر الصحابة لما سيقوم به بعد غرز العصي ، فشَدَّ انتباههم أولاً ثم تحدث عما يريد بالإشارة إلى كل عصا لوحدها مع بيان المراد منها فأحداها سماها أمل الإنسان أخرى سما بالأجل وهكذا أوصل صلى الله عليه المراد من الحديث بأفضل وأبلغ صورة .

المطلب الرابع: الرسم على الأرض.

- عن جابر بن عبد الله، قال: كنا عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فخط خطاً، وخط خطين عن يمينه، وخط خطين عن يساره، ثم وضع يده في الخط الأوسط، فقال: "هذا سبيل الله". ثم تلا هذه الآية: {وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} [الأنعام: ١٥٣]. (ابن ماجه ، سنن ابن ماجه ، أبواب السنة، باب اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ج ١، ص ٨، ح ١١٠)

قال المباركفوري: "قوله: {خط لنا} أي خط لأجلنا تقريباً وتفهماً وتعليماً لنا؛ لأن التصوير والتمثيل إنما يسلك ويصار إليه لإبراز المعاني المحتجبة، ورفع الأستار عن الرموز المكنونة؛ لتظهر في صورة المشاهد المحسوس، فيساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه". (المباركفوري ، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، ج ١، ص ٢٦٥)

المطلب الخامس: العروض والتوضيحات العملية.

تعددت العروض والتطبيقات العملية من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم في تعليم الصحابة وخاصة في أمور العبادات ونختار منها نموذجا عن الوضوء وآخر في الصلاة مع العلم بأن النماذج في هذا المطلب كثيرة ، وأكثر بكثير من المطالب السابقة.

- عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «يا رسول الله كيف الطهور فدعا بماء في إناء فغسل كفيه ثلاثا، ثم غسل وجهه ثلاثا، ثم غسل ذراعيه ثلاثا، ثم مسح برأسه فأدخل إصبعيه السباحتين في أذنيه، ومسح بإبهاميه على ظاهر أذنيه، وبالسباحتين باطن أذنيه، ثم غسل رجليه ثلاثا ثلاثا»، ثم قال: «هكذا الوضوء فمن زاد على هذا أو نقص فقد أساء وظلم - أو ظلم وأساء -». (السَّجِسْتَانِي ، سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب الوضوء ثلاثا ثلاثا، ج ١، ص ٣٣، ح ١٣٥)

وهذا الحديث صريح في أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعلم أصحابه بالتطبيق العملي الحسي أمامهم.

- في صحيح مسلم أن نفرا جاءوا إلى سهل بن سعد، قد تماروا في المنبر من أي عود هو؟ فقال: أما والله إني لأعرف من أي عود هو، ومن عمله، ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أول يوم جلس عليه، قال فقلت له: يا أبا عباس، فحدثنا، قال: أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى امرأة - قال أبو حازم: إنه ليسمىها يومئذ - «انظري غلامك النجار، يعمل لي أعوادا أكلم الناس عليها» فعمل هذه الثلاث درجات، ثم أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوضعت هذا الموضع، فهي من طرفاء الغابة. ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عليه فكبر وكبر الناس وراءه، وهو على المنبر، ثم رفع فنزل القهقري حتى سجد في أصل المنبر، ثم عاد، حتى فرغ من آخر صلاته، ثم أقبل على الناس فقال: «يا أيها

الناس إني صنعت هذا لتأتموا بي، ولتعلموا صلاتي». (مسلم: صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز الخطوة والخطوتين في الصلاة، ج ١، ص ٣٨٦، ح ر ٥٤٤)
في هذا الحديث صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه فعل ذلك أمامهم ليتعلموا منه الصلاة وذلك بلفظ (ولتعلموا صلاتي)، وهذا التصرف منه في تعليم الصحابة ليس مقتصرًا على الصلاة كونها عماد الدين، وإنما في كل أمر من أمور الدين نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم يستخدم الوسيلة المناسبة لتعليم الصحابة وإيصال المعلومة إليهم .

الخاتمة:

في ختام هذا البحث لا بدّ أن نعلم أن ما ذكر في هذا البحث غيض من فيض والنماذج والأحاديث في هذه الأبواب كثيرة يصعب حصرها، وما ذكر، ذكر من باب التبيان والدلالة ولم يذكر على سبيل الحصر، وكما أن النماذج الحسية التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرة فإن هناك الكثير من الوسائل التعليمية التي استخدمها، خاصة في أسلوب الخطابة والدعوة والقضاء والفتيا وغيرها الكثير في سيرته صلى الله عليه وسلم.

النتائج والتوصيات:

النتائج:

خلص البحث إلى عدة نتائج أهمها:

- أن النبي صلى الله عليه وسلم استخدم الكثير من الوسائل الحسية في تعليمه للصحابة .
- أن النبي صلى الله عليه وسلم استخدم الأصابع بكافة أوضاعها واليد واليان في تعليم الصحابة.
- أن النبي صلى الله عليه وسلم استخدم الوسائل المتاحة في تعليم الصحابة فاستعمل الحصى والعصا والرسم على الرمال.

- أن النبي صلى الله عليه وسلم استخدم التطبيق العملي التوضيحي وهو من أكثر النماذج استخداماً منه صلى الله عليه وسلم خاصة في تعليم الصحابة أمور العبادة من طهور ووضوء وصلاة وغيرها من العبادات.

التوصيات:

توصي الباحثة بـ:

- عقد ندوات متخصصة في النماذج التي استخدمت من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم في التعليم على وجه العموم
- عقد دورات تدريبية لطلاب الجامعات خاصة طلاب العلم الشرعي وتدريبهم على هذه النماذج.
- زيادة عدد الكتب التي تتحدث عن دور الرسول صلى الله عليه وسلم في توظيف المتاح من الموارد في التربية والتعليم.

المصادر والمراجع:

- محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منطور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط ٣ - ١٤١٤ هـ.
- مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي.
- أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، كتاب العين، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د ط.
- محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د ط.

- د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة ، عالم الكتب، ط ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت بعد ١١٥٨هـ)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ط ١ - ١٩٩٦م.
- أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، د ط.
- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د ط
- محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

- عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت ٢١١هـ)، المصنف، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط ٢ .
- محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٢، ١٣٩٢ .
- إبراهيم بن محمد بن محمد كمال الدين ابن أحمد بن حسين، برهان الدين ابن حمزة الحُسَيْنِي الحنفي الدمشقي (ت ١١٢٠هـ)، البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف، المحقق: سيف الدين الكاتب، دار الكتاب العربي - بيروت، د ط.
- ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجه، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط ١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحمانى المباركفوري (ت ١٤١٤هـ)، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند، ط ٣ - ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م.
- أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَّجِسْتَانِي (ت ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، د ط .

- <https://ar.wikipedia.org/wiki/تعليم>
- https://mawdoo3.com/تعريف_التعليم
- <https://sites.google.com/site/a220132125/17>
- <https://sites.google.com/site/mmmmmjtyik/muhannadyahya-1>

ظاهرة الفساد الاقتصادي وأثرها على النمو الاقتصادي في الدول الإسلامية في ضوء مؤشرات منظمة الشفافية العالمية

الباحث: عمار رياض المومني

E-mail: momani_ammam@yahoo.com

الملخص:

لتحقيق أهداف الدراسة تم بناء واستخدام نموذج قياسي يربط العلاقة بين النمو الاقتصادي ومجموعة من المتغيرات الاقتصادية التي من ضمنها متغير مدركات الفساد في الدول الإسلامية ، كما تم تقدير للنموذج بطريقة المربعات الصغرى باستخدام بيانات مقطعية للدول الإسلامية للعام ٢٠١٤ .
وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها أن الفساد موجود في كافة المجتمعات مع تباين واضح بين الدول المتقدمة والإسلامية، والإسلام قدم من الآليات والأدوات ما يكفل تجنبه، كما بينت النتائج وجود أثر سلبي بدلالة إحصائية مقبولة للفساد على النمو الاقتصادي في الدول الإسلامية.
كما أوصت الدراسة إلى ضرورة إصلاح المنظومة الأخلاقية والقيمية، والعمل بمبدأ الشفافية وتفعيل كافة آليات حماية المال في المنظور القانوني والإداري الإسلامي.
الكلمات المفتاحية: الفساد الاقتصادي، مؤشر مدركات الفساد، النمو الاقتصادي، منظمة الشفافية الدولية، النموذج القياسي.

Abstract:

The study aimed to Corruption Perceptions prepared by Transparency International Agency, and to the concept of corruption in the Quran and Sunnah and the tools and mechanisms to avoid and reduce public Corruption. Also it aimed to study the reality of corruption in Islamic countries, and measuring the impact of corruption on economic growth in these countries.

To achieve the objectives of the study, the corruption perceptions index in both Islamic and developed nations has been presented and analyzed. An econometric model linking the corruption index and other independent variables to economic growth has been introduced. The model has been estimated by the ordinary least squares technique using cross sectional data of Islamic states for year 2014.

The study concluded that corruption exists in all societies with a clear contrast between the developed and the Muslim countries, and Islam has the proper mechanisms and tools that ensure the avoidance and reduction of corruption, also, the results show the existence of a statistical significant negative impact of corruption on economic growth in Muslim countries.

Also, the study provides a series of recommendations, including the need to repair the moral and value system, and operate on the principle of transparency and activate all mechanisms in Islam to protect money from legal and administrative perspective.

Key Words: economic corruption, Corruption Perception Index, economic growth, International Transparency Agency , Islamic Economics.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين حمدا يليق بجلاله وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على سيد الخلق وإمام المرسلين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

لقد أضحت الفساد مشكلة حقيقية متطورة تواجه النظم الديمقراطية والديكتاتورية والنظم الاقتصادية جميعها الرأسمالية والاشتراكية والمختلطة. وتشير بعض التقديرات أن العالم يتحمل ما نسبته ٤% من إنتاجه ككلف للفساد الإداري والاقتصادي. ولعل ما نشر مؤخرا من وثائق يؤكد ضخامة حجم الفساد في العالم وتورط ليس فقط موظفي القطاع العام أو الخاص فيه لا بل أسماء بارزة وقيادية في العالم. وقد أسهمت

التغيرات الاقتصادية وما شهدته العالم من عولمة وإصلاحات سياسية في كشف جوانب عديدة للفساد وإيجاد حركة مناهضة له في كافة أنحاء العالم.

لقد أفاق العالم على الأزمة المالية والاقتصادية العالمية عام ٢٠٠٨م، وكان لها ما كان من آثار سلبية مدمرة على الاقتصاد العالمي، وقد اسهب علماء الاقتصاد والمال في تحري أسبابها ولعل من أهم ما تم التطرق إليه الفساد الاقتصادي وغياب منظومة القيم والأخلاق. كما شهدت العديد من الدول العربية ما سمي بالربيع العربي حيث كشفت الدراسات أن للفساد بصوره المختلفة دور هام في تأجيج الثورات وتدمير المجتمعات، وهو بحق عقبة كأداء أمام التنمية المستدامة، كما أن آثاره وآلياته ومضاعفاته تؤثر في بنية المجتمع وقيمه في الوقت الذي يعيق التنمية ويقوض الشرعية السياسية ويهمش الغالبية ويقصيها ناهيك عن آثاره السلبية على الفقر والبطالة والاستقرار الاجتماعي والسياسي.

أهمية الدراسة:

يعد الفساد الاقتصادي من الظواهر الخطيرة التي تواجه البلدان وعلى الأخص الدول النامية منها لما له من تأثير كبير على عملية البناء والتنمية الاقتصادية. وقد لاقت هذه المشكلة موضع اهتمام الكثير من الباحثين والدارسين، وعليه فإن أهمية الدراسة تكمن في أهمية الموضوع الذي تناقشه لتقصي اثر الفساد على النمو الاقتصادي في الدول الإسلامية من خلال توظيف احد النماذج الإحصائية القياسية كمحاولة لإثبات أو رفض ما تذهب إليه النظرية الاقتصادية.

مشكلة الدراسة:

لقد تناولت دراسات عديدة علاقة الفساد بالنمو الاقتصادي ، وأكدت نتائجها بأن الفساد الذي يشوب الكثير من الممارسات الحكومية هو عامل رئيس في تردي الأداء الاقتصادي في العديد من الدول المتقدمة منها والنامية . إن الدين الإسلامي يحارب الفساد بكافة أشكاله وصورة ، ومن المأمول أن تكون مؤشرات الفساد

في الدول الإسلامية مقارنه بغيرها من الدول في حدودها الدنيا وألا تشكل عائقا أمام الأداء الاقتصادي فيها .
وحيث أن الدول الإسلامية لم تحظى بدراسة مستقلة فجاءت هذه الدراسة لتجيب عن السؤال الرئيس الآتي:
ما هي آثار الفساد الاقتصادي على النمو الاقتصادي في الدول الإسلامية؟
أهداف الدراسة:

دراسة وتحليل اثر الفساد الاقتصادي على النمو الاقتصادي في الدول الإسلامية.
التوصل إلى أبرز النتائج التي من خلالها يتم صياغة التوصيات التي يكون لها الأثر الإيجابي في حل
المشكلة.

الدراسات السابقة:

هناك عدد من الدراسات والمقالات العربية التي تناولت الفساد الاقتصادي من منظور إسلامي، من
حيث المفهوم والأسباب والآثار وطرق المعالجة إسلاميا ،كما يوجد العديد من الدراسات الأجنبية التي
بمجملها حاولت استقصاء اثر الفساد على النمو الاقتصادي، وعليه فقد تم تقسيم الدراسات السابقة إلى
قسمين: الدراسات العربية والدراسات الأجنبية.

أولا: الدراسات العربية:

بداية أود الإشارة إلى أن هناك تقاطع كبير في هذه الدراسات كونها دراسات وصفية تناقش
موضوعات متشابهة لحد كبير، فعلى سبيل المثال، قام الباحث (عمر، 2000) في تبيان الإجراءات
العملية الإسلامية لعلاج الفساد ،حيث تم التركيز على جوانب رئيسية: المفاهيم الإسلامية حول مشكلة
الفساد، والإجراءات الوقائية من الفساد، والإجراءات العلاجية للفساد الاقتصادي في الإسلام.

أما الجابري (2002)، فقد تحدث عن الفساد الاقتصادي: أشكاله وأسبابه وآثاره، حيث تناول الباحث
جملة من الموضوعات وركز على أنواع الفساد وبالذات الفساد المنظم، كما ركز على الإجراءات الوقائية

والعلاجية لمكافحة الفساد في الإسلام، وفي جزئية من الدراسة تحدث عن الآثار الاقتصادية الكلية التي يحدثها الفساد.

وفي مقالة لأبي حمور (2002) عن الفساد ومنعكساته الاقتصادية والاجتماعية ، تناول الباحث ظاهرة الفساد في المجتمعات الحديثة والأشكال التي تتخذها هذه الظاهرة، كما ركزت المقالة على الفساد ومفهومه ومستوياته وبيان آثاره وانعكاساته السلبية على مسار التنمية من الناحية الاقتصادية والاجتماعية. وقد تناول الباحث خميس (2003)، مكافحة الفساد من منظور إسلامي ، وما عرضه يتمثل لحد كبير مع ما جاء في دراسة عمر والجابري، حيث قام الباحث بالحديث عن مفهوم الفساد وأنواعه وأسبابه والأحكام المترتبة عليه، إضافة إلى موقف الشريعة الإسلامية من الفساد والمفسدين. وأخيرا قام الباحث بلغسة (2014) في عرض مفهوم الفساد الاقتصادي وآثاره المتوقعة على التنمية والعدالة الاجتماعية في الجزائر، حيث استعرض الباحث الجانب النظري والتحليلي للدراسة وتطرق إلى تعريف الفساد وأنواعه وأسبابه وأهم الوسائل المتاحة التي يمكن استخدامها للقضاء على ظاهرة الفساد، كما بين المواطن التي يكثر بسببها الفساد وكيفية علاجها.

قام الباحثان شليفير وفيينشي (Shelifier and Vishny) عام (1993) بدراسة ناقشت فكرتين أساسيتين عن الفساد وعلاقته بالتنمية، الأولى وتعلق بهيكلية المؤسسات الحكومية ودورها في تحديد الفساد، إذ بينت الدراسة أن الحكومات الضعيفة لا تراقب مؤسساتها وبالتالي استفحال الفساد يؤثر سلبا على النمو الاقتصادي ويرفع من مستويات الفقر، أما الفكرة الثانية فقد أشارت إلى عدم قانونية الفساد وممارسته بطريقة سرية تخلق تشوهات أكثر تكلفة من الضريبة، ولذلك فالفساد في الدول النامية مكلف ويعيق التنمية.

وفي عام 1995، وبدراسة للباحث مورو (Mauro) ، قام بتحليل بعض صور الفساد وعدم الاستقرار في بعض الدول، وبعد تحليل البيانات ل (65) بلد للفترة 1980-1983، عن

الفساد والنمو الاقتصادي، وجد أن الفساد يقلل من الاستثمار وبالتالي يؤثر سلباً في النمو الاقتصادي.

وفي دراسة للباحث تانزي (Tanzi) عام (1997) هدفت إلى استقصاء اثر الفساد على الاستثمار العام والنمو الاقتصادي باستخدام بعض العلاقات الإحصائية وبيانات عن (68) بلدا للفترة 1980-1983، وقد أكدت نتائج الدراسة وجود علاقة عكسية بين كل من مؤشر الفساد والاستثمار العام والنمو الاقتصادي. وقد عزى الباحث هذه النتائج إلى مساهمة الفساد في رفع كلفة الاستثمار العام في الخدمات والبنية الأساسية والتقليل من نوعيتها إضافة لمساهمته في خفض الإيرادات الحكومية.

كما قام الباحث شان جين وي (Shan Jin Wei) عام (1997) بدراسة حاول فيها تقصي اثر الفساد على الاستثمار الأجنبي المباشر ، حيث درس عينة تتألف من (14) بلدا مصدرا للاستثمارات و (45) مستقبلا لها خلال الفترة 1990-1991، وقد بينت نتائج الدراسة وجود علاقة سلبية بين الفساد وحجم الاستثمارات الأجنبية.

وفي عام (2000) أجرى الباحث باك هونج مو (Pak Hung Mo) دراسة عن اثر الفساد على النمو الاقتصادي كما تتبع قنوات تأثير الفساد على النمو. حيث قام الباحث في دراسة مقطعية تتألف من (54) دولة نامية ومتقدمة بتقدير بعض النماذج القياسية وأكدت نتائجها أن للفساد تأثير سلبي على النمو الاقتصادي لكونه يسهم في تقليص الاستثمار وزيادة عدم الاستقرار في المجتمع.

ومما تقدم يتضح أن الدراسات السابقة بالعربية لم تنطرق إلى أي تحليل كمي أو أي مقياس من مقاييس الفساد، كما لم تحاول أي منها إبراز أثر الفساد على الاقتصاد. أما الدراسات الأجنبية وبالرغم من اهتمامها في قياس اثر الفساد على النمو الاقتصادي ومتغيرات اقتصادية أخرى لم تخص أي منها الدول الإسلامية في التحليل، وعليه فالدراسة الحالية تتميز بالتعرف على أثر الفساد على النمو الاقتصادي في

الدول الإسلامية وذلك باستخدام إحدى النماذج القياسية وتوظيف البيانات المقطعية المتوفرة عن الدول الإسلامية في عام ٢٠١٤.

فرضيات الدراسة:

تقوم الدراسة على اختبار الفرضيات التالية:

- ١- للفساد الاقتصادي تأثير سلبي على معدلات النمو الاقتصادية في الدول الإسلامية.
- ٢- في الاقتصاد الإسلامي منظومة من الوسائل والأليات سواء لتجنب الفساد أو مواجهته حالة وجوده أشمل وانجح مما هو متاح في النظم الوضعية.

منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي فيما يتعلق بالجانب النظري بالاعتماد على الأدبيات المتوفرة بهذا الخصوص. كما تعتمد على المنهج الكمي في الجانب التطبيقي حيث سيتم توظيف وتقدير وتفسير ومناقشة نتائج النموذج القياسي المستخدم لمعرفة اثر الفساد على النمو الاقتصادي.

مصادر البيانات:

سيكون أهم المصادر هي نشرات صندوق النقد الدولي المختلفة إضافة إلى ما هو متاح على موقع منظمة الشفافية الدولية والبنك الدولي والأمم المتحدة.

حدود الدراسة:

إدراكاً لأهداف الدراسة فإنها ستتركز على الفساد الاقتصادي في القطاع العام وذلك لعدم وجود مقياس للفساد في القطاعين، كما أنها ستدخل في التحليل الإحصائي الدول الإسلامية المذكورة أدناه والتي يتوفر عنها البيانات ، (قطر، ماليزيا، البحرين، الأردن، السعودية، عمان، الكويت، الجزائر، تونس، مصر، لبنان، اليمن، ليبيا، أفغانستان، السودان، أوزبكستان، طاجيكستان، أوغندا، إيران، الكامبيرون، كازاخستان،

أذربيجان، موريتانيا، الإمارات،، موزمبيق، مالي، ألبانيا، إندونيسيا، جيبوتي، الغابون، بوركينا فاسو، السنغال، بنين، بنغلادش، غينيا، غينيا بياسو، تشاد، المغرب، وتركيا) . وحيث أن البيانات تارة تتوافر عن بعض الدول وتارة لا تتواجد تم اختيار عام 2014 لاستخدامه في التحليل .

النموذج القياسي

لمعرفة أثر الفساد على النمو الاقتصادي ، تم توظيف نماذج إحصائية قياسية منها ما هو بسيط من حيث متغيراته ومنها ما هو أكثر تعقيدا وشمولية، ولتحري أثر الفساد وظفت بعض الدراسات ما يسمى بالدراسات المقطعية أي بتوظيف البيانات الخاصة بمجموعة الدول المدروسة في سنة محددة، والبعض الآخر وكون عينة الدراسة صغيرة وظف البيانات المقطعية- الزمنية، بمعنى يوظف البيانات الخاصة بعينة الدراسة لسنوات محدودة متتابعة.

ولمعرفة أثر الفساد على النمو الاقتصادي في الدول الإسلامية، قام الباحث بتوظيف إحدى النماذج المستخدمة في دراسات سابقة مع تعديل طفيف عليه وذلك لسهولة من ناحية وتوافر البيانات المتعلقة بمتغيراته في معظم الدول الإسلامية.

لقد استخدم الباحث (Pak Hung Mo) دالة الإنتاج التقليدية التي تربط حجم الإنتاج بالمدخلات الإنتاجية:

$$Y=f(K, L) \dots (1) \text{ حيث } Y \text{ ترمز إلى الناتج المحلي الإجمالي، و } K \text{ إلى رأس المال، و } L \text{ إلى قوة العمل.}$$

$$dY = f_K dK + f_L dL \dots (2) \text{ حيث } dY \text{ الجانب الأيسر يعني إجمالي التغير في الإنتاج، و } f_K \text{ إلى الناتج الحدي}$$

لرأس المال، و dK إلى تغير رأس المال، و f_L إلى الناتج الحدي للعمل، و dL إلى تغير العمل. وبعد بعض

المعالجات الرياضية يمكن إعادة صياغة النموذج على النحو الآتي:

$Y_g = f(I/Y, dLL)$ ، حيث Y_g تشير إلى معدل النمو في الناتج المحلي الإجمالي، و I/Y إلى نسبة الاستثمار من الناتج المحلي الإجمالي، و dLL إلى معدل النمو في قوة العمل. والنمو في الإنتاج قد يؤثر فيه متغيرات غير تلك الواردة في النموذج أعلاه، فيمكن تضمين دالة الإنتاج لها، وعليه فقد تم إضافة متغير مؤشر الفساد للدالة (CO) بحيث تصبح بصورتها النهائية:

$$Y_g = f(I/Y, dLL, CO) \dots (3)$$

ولغايات تقدير الدالة أعلاه يمكن صياغتها على النحو الآتي:

$$Y_g = b_0 + b_1 I/Y + b_2 dLL + b_3 CO + e \dots (4)$$

حيث (b_0) يشير إلى الثابت (أي قيمة Y_g عندما تكون قيم المتغيرات الثلاثة مساوية للصفر)، و (b_1) إلى تأثير المتغير I/Y على معدل النمو، و (b_2) إلى أثر معدل نمو القوى العاملة على النمو في الإنتاج، و (b_3) إلى أثر مؤشر الفساد على الناتج المحلي. وحيث أن المتغيرات الثلاثة مجتمعة قد لا تفسر كافة التغيرات التي تحدث للمتغير التابع فعادة يضاف للمعادلة رمز e ليشير إلى أثر المتغيرات غير المضمنة في النموذج وليميز الدالة الإحصائية عن الرياضية التي لا يظهر فيها هذا الرمز.

رابعاً: تقدير النموذج القياسي:

باستثناء بيانات مؤشر الفساد، فإن كافة بيانات الدراسة قد تم الحصول عليها من النشرات الإحصائية لصندوق النقد الدولي. وحيث أن بعض البيانات مفقودة عن بعض الدول فإن عينة الدراسة قد استقرت على أربعين (٤٠) دولة إسلامية لعام ٢٠١٤. بالنسبة لمؤشر الفساد للدول الإسلامية فقد تم الحصول على بياناته من نشرات منظمة الشفافية الدولية. وحيث أن معلومات القوى العاملة في الدول الإسلامية غير متوفرة لعينة الدراسة فقد تم استخدام معدل النمو السكاني (Popg) كمؤشر بديل للنمو السكاني.

يوضح الجدول رقم معاملات ارتباط المتغيرات بعضها ببعض (قيمة عددية تقيس قوة ارتباط بين متغيرين)، وبعض السمات الإحصائية للمتغيرات وبالذات الوسط الحسابي (مجموع قيم المشاهدات على

عددها)، والانحراف المعياري (وهو الجذر التربيعي للتباين، والتباين عبارة عن معدل مربعات انحرافات القيم عن الوسط الحسابي).

جدول رقم (١)

معاملات الارتباط والإحصاء الوصفي لمتغيرات الدراسة

المتغير	Yg	I/Y	Popg	Corrup
Yg	1			
I/Y	.45	1		
Popg	.38	-.41	1	
Corrup	-.22	-.52	-.56	1
Mean الوسط الحسابي	2.67	20.45	1.3	23
(SD) الانحراف المعياري	.008	6.3	1.41	.15

ويتضح من الجدول أعلاه اتجاه وقوة الارتباط، حيث أعلى درجة له تكون واحد صحيح وأقلها صفر. فارتباط المتغير مع نفسه يكون دائما واحد، والإشارة توضح اتجاه الارتباط . وعادة معاملات الارتباط لا تعكس علاقة سببية ولا تفسرها، بل تبين مدى وقوة الارتباط بينهما واتجاهه.

ولمعرفة أثر كل متغير من متغيرات الدراسة المستقلة وبالذات اثر الفساد على النمو تم تقدير الدالة رقم (4) باستخدام طريقة إحصائية معروفة تسمى طريقة المربعات الصغرى وهي من الطرق السهلة والمتاحة وموجودة في البرمجيات الإحصائية التي تستخدم لتقدير العلاقات بين المتغيرات التابعة والمستقلة. وفكرة هذه الطريقة

تقوم على تقليل مربعات الأخطاء بين القيم الفعلية للمتغير التابع والقيم المقدرة لها بعد تقدير العلاقة بينه وبين المتغيرات المستقلة.

بعد تقدير الدالة بطريقة المربعات الصغرى جاءت النتائج على النحو الآتي:

$$Yg = .24 + 12.2 I/Y + .08 Popg + .36Co$$

T (2.2)* (.26) (1.8)**

$R^2 = .33$ N=40

حيث (t) تشير إلى القيمة التائية لكل معلمة ووجود إشارة النجمة تعني وجود دلالة إحصائية عند مستوى معنوية (5%) والنجمتان إلى مستوى معنوية (10%)، أما (R^2) فيشير إلى ما يسمى عامل التحديد، حيث يبين القدرة التفسيرية للمتغيرات المستقلة للتغير الذي يحصل للمتغير التابع، أما (N) فتشير إلى عدد المشاهدات التي تم استخدامها.

وكما تشير النتائج أن للاستثمار تأثير إيجابي على النمو الاقتصادي، أما السكان فتأثيره إيجابيا ولكن تنقصه الدلالة الإحصائية، أما مؤشر الفساد فتأثيره سلبيا على النمو الاقتصادي وله دلالة إحصائية عند مستوى معنوية (10%)، أي كلما ازداد الفساد (اتجه نحو الصفر) كلما انخفض معدل النمو الاقتصادي. وهذا يتفق مع الإطار النظري، حيث أن الفساد قد يقلص الإنفاق على البنية التحتية ويرفع من كلفها ويقلل من نوعيتها، كما أنه يلحق الأذى بتوزيع الإنفاق ويعرقل النمو ويكرس عدم المساواة. وتتسجم هذه النتائج مع نتائج دراسات سابقة مثل دراسة (Pak, 2000) ودراسة (Eatzaz et al. 2012).

النتائج والتوصيات:

أولاً : النتائج :

- ١- تعد ظاهرة الفساد من الظواهر المركبة التي تختلط فيها الأبعاد الاقتصادية والسياسية والإدارية والاجتماعية، وتتجلى بممارسات متنوعة ساعد على ظهورها وانتشار ممارساتها العديد من الأسباب .
- ٢- لا يخلو أي مجتمع من الفساد فهو مفهوم نسبي يضعف حالة وجود منظومة الأخلاق والقيم وتطبيق الإجراءات القانونية والإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية ويزداد بغياب ذلك.
- ٣- مؤشر مدركات الفساد الذي يصدر عن منظمة الشفافية العالمية يهتم بالفساد الموجود بالقطاع العام ولا يعني ذلك ابتعاد القطاع الخاص عن ممارسات الفساد بصوره وأشكاله المختلفة .وقد أكدت البيانات الخاصة فيه أن الفساد موجود في الدول المتقدمة كما هو في الدول الإسلامية، ولكن حدته اعلى في معظم الدول الإسلامية مقارنة للمتقدمة.
- ٤- للفساد اثر سلبي على النمو الاقتصادي في الدول الإسلامية مما يؤكد اثره الكبير في أضعاف الاستثمار وإيجاد التشوهات في جانب الإيرادات والنفقات الحكومية ، وقد أشارت نتائج الدراسة إلى أن ارتفاع مؤشر الفساد بمقدار درجة تقلل من النمو الاقتصادي ما نسبته 36%.

ثانياً التوصيات:

- ١- تفعيل آليات حماية المال التي اكد عليها الإسلام ومنها : الرقابة والمحاسبة ،تطبيق معيار الكفاية في اختيار الموظفين وعدالة الأجور وإحصاء الثروة قبل تولي المناصب وتفعيل أجهزة حماية المال العام كديوان الحسبة والمظالم .
- ٢- تبسيط بيئة الأعمال وبما يكفل القضاء أو الحد من فرص دفع الرشاوى وقبول الهدايا والهبات .
- ٣- إيجاد إجراءات واضحة ومسألة صارمة تحكم عملية تخصيص واستخدام الأموال .
- ٤- ضرورة اصدر دليل للحوكمة في القطاع العام ، بحيث يسهم في تعزيز تحقيق النزاهة والشفافية والعدالة.
- ٥- ولتدعيم حوكمة القطاع العام لا بد من تطبيق معايير المحاسبة الإسلامية إن وجدت أو على الأقل معايير المحاسبة الدولية.
- ٦- تفعيل دور السلطة القضائية، ودعم صلاحياتها، ومنحها الصلاحيات الكاملة لإنزال العقوبات بكافة من يثبت تورطه بالفساد .
- ٧- إنشاء نظام رقابي فعال مستقل مهمته الإشراف ومتابعة الممارسات التي تتم من قبل كبار المسؤولين وكافة العاملين في الوزارات والمؤسسات .
- ٨- العمل على إصلاح الدمار الهائل في المنظومة الأخلاقية والقيمة بمشاركة الأسرة والمدرسة والمسجد وكافة مؤسسات المجتمع.

قائمة المراجع:

- أبو حمور، حسن، ٢٠٠٢، الفساد ومنعكساته الاقتصادية والاجتماعية ، مجلة جامعة دمشق - المجلد الثامن عشر .
- الجابري ،عبدالله ،٢٠٠٢، الفساد الاقتصادي أنواعه، أسبابه، أثارة وعلاجه، جامعة أم القرى، المؤتمر العالمي الثالث للاقتصاد الإسلامي .
- خميس، عبدالحق، ٢٠٠٣، مكافحة الفساد من منظور إسلامي - مركز الدراسات والبحوث-الرياض، المؤتمر العربي الدولي لمكافحة الفساد.
- عمر ، محمد عبد الحليم ،٢٠٠٠، الإجراءات العملية الإسلامية لعلاج الفساد الاقتصادي، جامعة الأزهر ندوة الفساد الاقتصادي والواقع المعاصر - العلاج الإسلامي.
- Mauro, Paolo,(1995)," Corruption and Growth", the quarterly journal of Economics. Vol. 110, No. 3: 681-712.
- Mo, pak hung, 2001, "Corruption and Economic Growth", Journal of Comparative Economics.
- Shelifer,A.and R.W. Vishny (1993),"Corruption" ,the Quarterly journal of Economics,vol.108:599-617
- Tanzi,V.and H . Davoodi (1997) ",Corruption ,Public Investment and Growth", IMF working paper 79/139,Washington,d.c
- Wei,S. (1997), "how Taxing is Corruption on International Investors", National Bureau of Economic Research, working paper no .6030.

